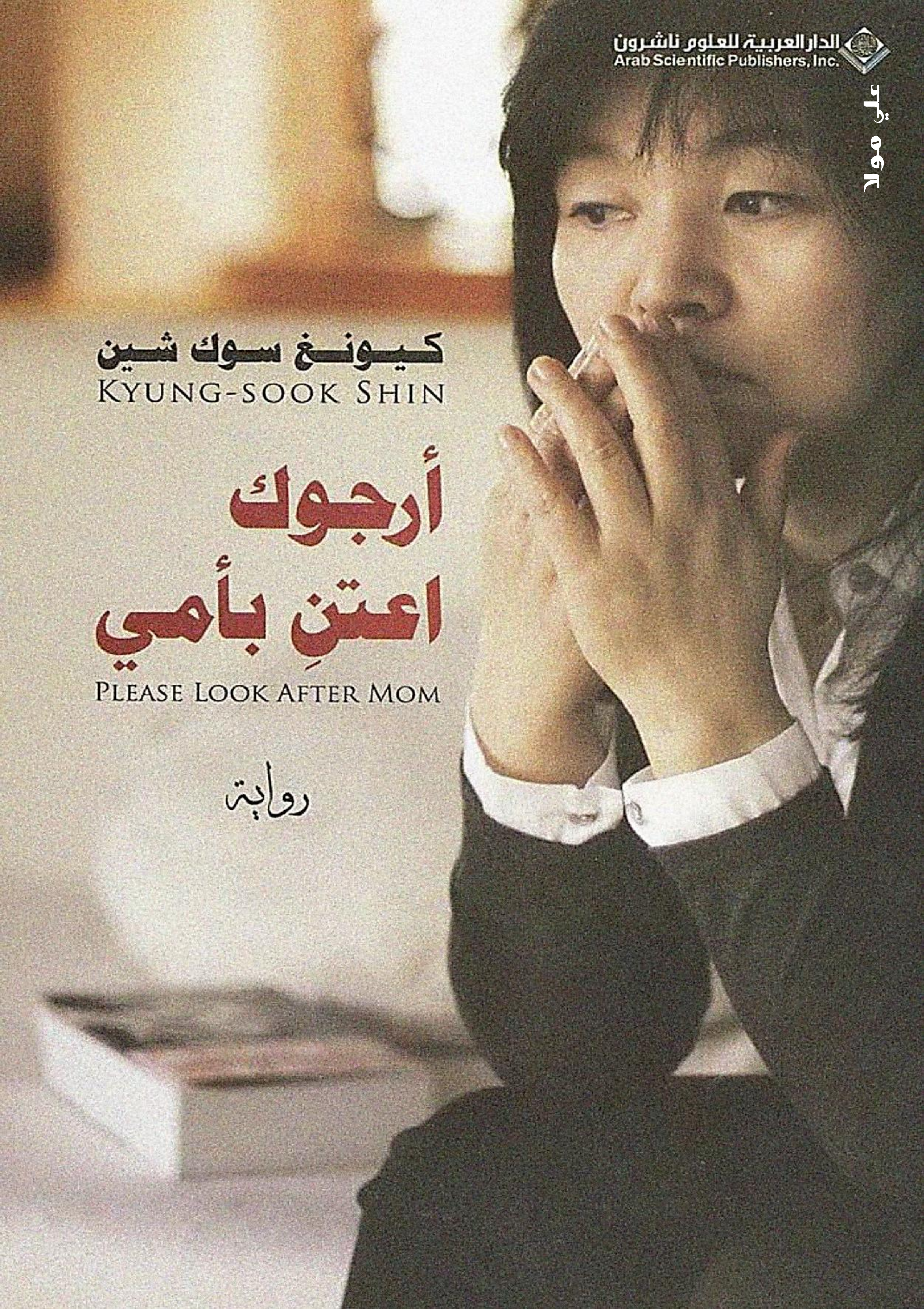

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
علي مولا
كيونغ سوك شين
KYUNG-SOOK SHIN
أرجوك
اعتنِ بأمي
PLEASE LOOK AFTER MOM
رواية

# أرجوك اعتنِ بأمي

PLEASE LOOK AFTER MOM

رواية


كيونغ سوك شين

KYUNG-SOOK SHIN


ترجمها إلى الإنكليزية

تشاي يونغ كيم

التعريب

أفنان محمد سعد الدين

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة




الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL


أرجوك
اعتنِ بأمي
Please Look After Mom




يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

**Please Look After Mom**

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من:

Published in arrangement with Barbara J Zitwer Agency,
New York, USA and Imprima Korea Agency

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينهما وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.






**الطبعة الأولى**

**1432 هـ - 2011 م**

**ردمك 978-614-01-0304-7**






عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb



التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت - هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة: **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت - هاتف 786233 (1-961+)

# 1

# لا أحد يدري

## بعد مضي أسبوع واحد على اختفاء الوالدة

يجتمع أفراد العائلة في منزل شقيقكِ الأكبر **هايونغ تشول** ويتبادلون الأفكار في ما بينهم ثم يُجمعون الرأي على توزيع نشرات إعلانية على المارّة في المكان الذي شوهدت فيه الوالدة آخر مرة. وبعد ذلك، تتفقون على أول خطوة يجب أن تتخذوها، ألا وهي كتابة مسوّدة النشرة. تُعتبر النشرة الإعلانية بالطبع استجابة بديهية يبديها المرء عندما تواجهه أزمة من هذا النوع. وبالرغم من أن المرأة المفقودة هي والدتهم، فلا يشعر أفراد العائلة بأنه في وسعهم أن يفعلوا أكثر من مجرد كتابة تقرير عن اختفاء الوالدة، والبحث في المنطقة، وسؤال المارة إن كانوا قد رأوا امرأة تشبهها. يقول شقيقكِ الأصغر الذي يملك متجر ألبسة للبيع على الإنترنت إنه قد نشر إعلاناً في موقعه عن اختفاء والدتكِ ووضع فيه صورتها وطلب من الناس أن يتصلوا بأحد أفراد العائلة إن رآها أحدٌ منهم. إنكِ تودين أن تبحثي عن والدتكِ في الأماكن التي تظنين أنه من المحتمل أن تتواجد فيها، ولكنك تدركين أنها لا تعرف أي مكان في هذه المدينة. يكلفك **هايونغ تشول** بمهمة كتابة النشرة لأنك تكسبين رزقك من العمل بالكتابة، فتحمرين خجلاً وكأن أحداً ضبطك وأنت ترتكبين عملاً غير مشروع، وتشعرين بأنك غير واثقة من مدى المساعدة

التي قد تسهم فيها كلماتك للعثور على الوالدة.

عندما تذكرين أن تاريخ ميلاد والدتكِ هو 24 تموز 1938، يصحح والدكِ معلوماتكِ قائلاً إنها قد ولدت عام 1936. تظهر السجلات الرسمية أنها ولدت عام 1938، ولكن، يتضح لك الآن أن هذا التاريخ غير صحيح. إنها المرة الأولى التي تسمعين فيها عن هذا الأمر، فيشرح والدكِ أنه كان من عادة الناس في ذلك الوقت من الماضي أن يتصرفوا على هذا النحو، إذ إن العديد من الأطفال لم يكونوا يعيشون أكثر من ثلاثة أشهر، فأصبح من عادة الناس أن يربوا الأطفال لبضع سنوات ثم يسجلوهم بشكل رسمي. وعندما توشكين أن تكتبي أنها ولدت عام 1936 بدلاً من 1938، يقول **هايونغ تشول** إنه يجب عليك أن تكتبي أنها ولدت عام 1938 لأن هذا هو التاريخ الرسمي. ومع أنك تعتقدين أنه لا يتوجب عليك الالتزام بالدقة إلى هذه الدرجة لأنك تكتبين مجرد نشرة إعلانية منزلية ولا تعملين في مكتب حكومي، فإنك تشطبين التاريخ وتعاودين كتابة التاريخ الأول بإذعان وأنت تتساءلين إن كان الرابع والعشرون من تموز هو يوم ذكرى ميلاد والدتكِ الحقيقي.

قبل سنوات عدة، اقترحت عليكم والدتك ألا تخصصوا يوماً معيناً للاحتفال بذكرى ميلادها، والسبب في قولها هذا هو أن ذكرى ميلاد الوالد تحلّ قبل ذكرى ميلادها بشهر واحد. وقد اعتدتِ وإخوتكِ أن تذهبوا إلى بيت والديكما في بلدة **تشونغ أب** للاحتفال بذكرى ميلاد أفراد العائلة والمناسبات الأخرى. إن عائلتكم المقربة تشتمل على اثنين وعشرين فرداً مجتمعين. ولطالما أحبت الوالدة أن يجتمع أولادها وأحفادها معاً ويثيروا الجلبة في أنحاء المنزل. وقبل وصول الجميع ببضعة أيام، كانت تعد طبق الكيمتشي المؤلف من تشكيلة من الخضار

المخللة وتتوجه إلى السوق لتشتري لحم البقر ومعجون الأسنان والفراشي الإضافية، ثم تسحق السمسم لتستخرج منه الزيت وتحمص حبوب السمسم والبيريلا وتطحنها كي تقدم لكل واحد من أولادها مرطباناً منها قبل مغادرتهم. وبينما هي تنتظر وصول أفراد العائلة، كانت الحيوية تهيمن على والدتكِ بشكل ملحوظ وتجعل كلماتها وإيماءاتها موحية بالفخر العارم وهي تتحدث إلى الجيران أو المعارف. كما اعتادت الوالدة أن تحتفظ في خزانة المؤونة الصغيرة بمرطبانات زجاجية من جميع الأحجام مليئة إلى حوافّها بعصير الخوخ والتوت البري ومعجون السمك أو البطلينوس المخمر الذي تعده في مواسمه بهدف إرساله إلى أفراد العائلة في المدينة. وعندما سمعت أن البصل مفيد للصحة، أعدت كمية من عصيره، وقبل أن يحل الشتاء، أعدت عصير اليقطين المنقوع بعِرق السوس. وهكذا، فقد بدا بيت والدتكِ أشبه بالمصنع لأنها كانت تشغل نفسها على مدار العام بإعداد الصلصات ومعجون الفاصولياء المخمر والأرز المقشور وإنتاج أطعمة أخرى للعائلة. في غضون ذلك الوقت، بدأت رحلات الأولاد إلى **تشونغ أب** تصبح أقل وتيرةً، مما دفع الوالدة والوالد لتكثيف زياراتهما إلى **سول**. وبعد ذلك، أصبحتم تخرجون لتناول العشاء للاحتفال بذكرى ميلاد كل منهما لأنكم وجدتم ذلك أكثر راحة. فاقترحت الوالدة قائلة: "لنحتفل بذكرى ميلادي في يوم ذكرى ميلاد والدكما". وذكرت أن الاحتفال بذكرى ميلادها بشكل منفصل يشكل عبئاً عليكم لأن ذكرى ميلادها وميلاد زوجها يحلان في فصل الصيف الحار ولأن طقوس تبجيل الأسلاف تحل بعد ذكرى ميلادها بيومين فقط. في بادئ الأمر، رفض أفراد العائلة أن يفعلوا هذا بالرغم من إصرار الوالدة، واقترحتم أن يذهب بعضكم للاحتفال معها إن كانت تجد صعوبة في الحضور إلى المدينة. وبعد ذلك، بدأتم

جميعاً تمنحون الوالدة هداياها في يوم ذكرى ميلاد الوالد. وهكذا، فقد بدأتم تتجاهلون ذكرى ميلادها شيئاً فشيئاً، وتراكمت لدى الوالدة، التي لطالما أحبت أن تشتري الجوارب لجميع أفراد العائلة، أزواج الجوارب التي لم يعد أولادها يحضرون لأخذها.

الاسم: بارك سو نيو
تاريخ الميلاد: 24 تموز 1938 (69 عاماً)
الأوصاف: قصيرة القامة ذات شعر أسود مشوب بالبياض ووجنتين بارزتين. شوهدت آخر مرة ترتدي قميصاً سماوي اللون وسترة بيضاء وتنورة عاجيّة اللون.
المكان الذي شوهِدت فيه آخر مرة: محطة قطار الأنفاق في العاصمة سول.

تختلف آراء أفراد العائلة حول صورة الوالدة التي يجب أن تنشريها في الإعلان. إذ يتفق الجميع على أنها ينبغي أن تكون من أحدث الصور، ولكن، لا أحد لديه صورة حديثة لها، فتتذكرين أن الوالدة بدأت في مرحلة معينة من حياتها تكره التقاط الصور لنفسها، وأصبحت تتسلل خلسة حتى من الصور العائلية. إن أحدث صورة عائلية للوالدة هي تلك المأخوذة في ذكرى ميلاد الوالد السبعين، وتبدو فيها الوالدة جميلة إذ كانت ترتدي ثوباً أزرق فاتحاً، وكان شعرها مصفّفاً في صالون الحلاقة وتضع أحمر شفاه. يظن أخوكِ الصغير أن الوالدة تبدو في هذه الصورة مختلفة جداً عن الهيئة التي بدت عليها قبل أن تختفي، وأن أحداً لن يتعرف إليها على أنها الشخص نفسه حتى لو عُزِلت صورتها وكُبِّرت. ويذكر أنه نشر هذه الصورة على الإنترنت، فاستجاب له الناس قائلين:

"إن والدتك جميلة ولا تبدو من نوع الأشخاص الذين قد يضلون الطريق". تقررون جميعاً أن تبحثوا عن صورة أخرى للوالدة، فيقترح عليك **هايونغ تشول** أن تضيفي كلاماً آخر إلى الإعلان. وعندما تحدقين إليه غير مدركة مغزى كلامه، يقول لك أن تفكري في عبارات أفضل تداعب أوتار قلب القارئ. تُرى ما هي الكلمات التي تداعب أوتار القلب؟ عندما تصوغين إحدى الجمل على الشكل التالي: من فضلكم ساعدونا لنعثر على والدتنا، يقول إن هذا عادي جداً. وعندما تكتبين: والدتنا مفقودة، يقول إن كلمة "والدة" رسمية جداً وإنه يجب عليك أن تكتبي كلمة "أم" بدلاً منها. وعندما تكتبين: أمنا مفقودة، يقول إنها طفولية جداً. وعندما تقولين: من فضلكم اتصلوا بنا عندما ترون هذه المرأة، يصيح عليك قائلاً: "أي نوع من الكُتّاب أنتِ؟" وهكذا، تجدين نفسك عاجزة عن صياغة جملة واحدة ترضي **هايونغ تشول**.

يقول أخوكِ الثاني: "ستحركين أوتار قلوب الناس فقط إن ذكرت أن هناك جائزة نقدية".

وعندما تكتبين: سنكافئكم بسخاء، تعترض زوجة أخيك على هذا الكلام لأن الناس لن يُبدوا اهتماماً إلا إن كتبت رقماً محدداً.

"كم ينبغي لي أن أكتب؟".

"مليون وان؟".

"هذا غير كاف".

"ثلاثة ملايين وان؟".

"أعتقد أن هذا المبلغ قليل أيضاً".

"إذاً، خمسة ملايين وان".

لا يبدي أحد اعتراضاً على هذا المبلغ. فتكتبين: سنكافئكم بمبلغ خمسة ملايين وان، ثم تضعين نقطة. فيقول أخوك الثاني إنه ينبغي لكِ

أن تكتبيها على الشكل التالي: الجائزة: خمسة ملايين وان. ويقترح أخوك الأصغر أن تكتبي كلمة خمسة ملايين بخط غامق. ويتفق الجميع على أن يرسلوا إليكِ عبر البريد الإلكتروني صورة للوالدة إن عثروا على واحدة أفضل من الصورة المتوفرة، فتتولين مهمة إضافة المزيد إلى الإعلان وعمل النسخ، ويتطوع أخوكِ الصغير لأخذها وتوزيعها على جميع أفراد العائلة. تقترحين قائلة: "يمكننا أن نستخدم شخصاً يوزع نسخ الإعلان"، فيقول هايونغ تشول: "يجب علينا وحدنا أن ننفذ هذا، لذا، سنوزعها بأنفسنا إن تسنى لنا وقت فراغ خلال أيام الأسبوع، ثم نتفرغ جميعاً لإنجاز المهمة في عطلة نهاية الأسبوع".

فتتذمرين قائلة: "كيف سنعثر على أمي ونحن نتحرك بهذا البطء؟".

يرد عليك هايونغ تشول: "ينبغي لنا ألاّ نجلس مكتوفي الأيدي، لذا، فنحن نبذل كل ما في وسعنا".

"ماذا تقصد بقولك إننا نبذل كل ما في وسعنا؟".

"سنضع إعلانات في الصحف".

"إذاً، فبذل ما في وسعنا يقتصر على مجرد شراء مساحة إعلانية في الصحيفة، أهذا قصدك؟".

"إذاً، ماذا تريدين أن تفعلي؟ أينبغي لنا جميعاً أن نتخلى عن أعمالنا غداً ونهيم على وجوهنا في أنحاء المدينة؟ لو أنه من المحتمل أن نعثر على أمي بهذه الطريقة، فسأفعل هذا بنفسي".

تمسكين عن الجدل مع هايونغ تشول لأنك تدركين أنك تدفعينه لتولي أمر كل شيء كعادتك. تتركون الوالد في بيت هايونغ تشول وتتوجهون إلى بيوتكم. ولو لم تغادروا، لواصلتم الجدال كما فعلتم طوال الأسبوع الماضي بأكمله. إذ إنكم التقيتم لمناقشة سبل العثور على الوالدة. فبدأ بعضكم بنبش شتى الطرائق التي أساء فيها الآخرون

إليها في الماضي. وهكذا، بدأت كل القصص التي دفنتموها في الماضي وتجنبتم الخوض فيها لحظة بلحظة تكبر وتتفاقم. وأخيراً، بدأتم جميعاً تصرخون في وجوه بعضكم بعضاً، وتدخنون بعصبية، وتصفقون الأبواب بغضب.

عندما سمعتم في بادئ الأمر أن الوالدة مفقودة، ثارت ثائرتكم وبدأتم تسألون بعضكم بعضاً: لماذا لم يذهب أحد أفراد عائلتكم الكبيرة ليصطحبها ويصطحب والدكم من محطة قطارات **سول**؟

"وأين كنت أنت؟".

"أنا؟"، تمسكين فجأة عن الكلام. إذ إنك لم تعرفي باختفاء والدتك إلاّ بعد مرور أربعة أيام على اختفائها. أخذتم جميعاً توجهون إصبع الاتهام إلى بعضكم بعضاً لفقدان الوالدة. وشعرتم جميعاً بالإهانة والإساءة.

تغادرين منزل **هايونغ تشول** وتستقلين قطار الأنفاق متوجهة إلى البيت، ولكنك تنزلين في محطة **سول** حيث اختفت والدتك. يمر الكثير من الناس بجانبك ويصدمون كتفيك بأكتافهم بينما تتوجهين في طريقك إلى المكان الذي شوهدت فيه الوالدة آخر مرة. تنظرين إلى ساعتك؛ إنها تشير إلى الثالثة، وهو الوقت نفسه الذي خُلِّفت فيه الوالدة وحدها. يدفعك الناس وأنت تقفين على الرصيف الذي انفصلت فيه والدتك عن والدك. فلا يعتذر شخص واحد لك. لقد شقّ الناس طريقهم بهذا الشكل أيضاً عندما وقفت والدتك هناك حائرة لا تدري ما تفعل.

تُرى إلى أي مدى في الماضي قد تمتد ذاكرة المرء حيال إنسان ما؟ وبشكل أدقّ ذاكرتك عن أمك؟

منذ سمعت عن اختفاء والدتك، أصبحت عاجزة عن التركيز على

فكرة واحدة، وحاصرتك ذكريات طواها النسيان منذ أمد بعيد، وراحت تخطر ببالك بشكل غير متوقع. قبل سنوات عدة، وقبل أن تنتقلي من بلدتك الأم لتعيشي في المدينة الكبيرة، رافقتك والدتك إلى متجر الملابس في السوق، حيث اخترت فستاناً عادياً، ولكنها اختارت لك بدلاً منه فستاناً ذا كشاكش على حزامه وحاشيته. وقالت: "ما رأيك بهذا؟".

فقلت وأنت تدفعينه عنك: "كلا".

"لِمَ لا؟ جربيه". وفتحت أمك، وهي لا تزال شابة آنذاك، عينيها على وسعهما وكأنها لا تفهم موقفك. بدا الفستان المكشكش بعيداً بُعدَ السماء عن الأرض عن المنشفة المتّسخة المربوطة حول رأس الوالدة والتي اعتادت أن تلفها حول رأسها لتمتص عرقها عندما تنهمك بالعمل كما تفعل كل النساء المزارعات.

"إنه طفولي".

قالت الوالدة: "حقاً؟"، ولكنها رفعت الفستان وظلت تتفحصه وكأنها لا تريد التخلي عنه، "لو كنت مكانك لجربته".

فقلت وأنت تشعرين بالذنب لأنك قلت عنه طفولياً: "إن هذا ليس حتى ذوقك".

قالت أمك: "لا، فأنا أحب هذا النوع من الملابس، ولكن، لم يتسنَّ لي وأنا صغيرة أن أرتدي مثلها".

كان ينبغي لي أن أجرب ذلك الفستان. تثنين ركبتيك وتجلسين القرفصاء في المكان الذي ربما فعلت فيه أمك الشيء نفسه. لقد أصررت آنذاك على شراء الفستان العادي، وبعد مرور بضعة أيام على ذلك، وصلت إلى هذه المحطة نفسها مع والدتك، فشقت طريقها وهي تمسك بيدك بإحكام عبر جمع من الناس بأسلوب قد يخيف حتى الأبنية

الشاهقة التي تطل من الأعلى، ثمّ توجَّهَت عبر الساحة لتنتظر **هايونغ تشول** تحت برج الساعة. كيف يمكن لامرأة كهذه أن تختفي؟ عندما تظهر الأضواء الأمامية لقطار الأنفاق في المحطة، يهرع الناس إلى الأمام ويلقون نظرات خاطفة عليك وأنت جالسة على الأرض وهم ربما منزعجون من اعتراضك طريقهم.

عندما أفلتت قبضة يد والدك يد والدتك، كنت في **الصين**، إذ إنك ذهبت مع زملائك الكتّاب إلى معرض **بكين** للكتاب. وبينما أنت تقلبين نسخة مترجمة إلى اللغة الصينية لكتابك في المعرض، راحت والدتك تهيم على وجهها في محطة **سول**.

"لماذا لم تستقلَّ سيارة أجرة بدلاً من ذلك يا أبي؟ لم يكن هذا ليحدث لو أنك لم تستقلَّ قطار الأنفاق؟".

فقال الوالد إن هذا ما خطر بباله حينها: لماذا أستقلّ سيارة أجرة في حين أن محطة القطار العادي مرتبطة بمحطة قطار الأنفاق؟ هناك لحظات يعاود ذهن الإنسان زيارتها بعد أن يحدث شيء ما ولا سيما إن كان مكروهاً، فيفكر في سرّه قائلاً: ما كان ينبغي لي أن أفعل هذا!. عندما قال والدك لإخوتك إنه ووالدتك يستطيعان أن يصلا إلى بيت **هايونغ تشول** بنفسيهما، سمح لهما إخوتك بفعل ذلك خلافاً لكل المرات السابقة. لماذا فعلوا ذلك؟ لقد اعتاد أحد أشقائك أن يتوجه إلى محطة **سول** أو محطة الحافلات السريعة ليُقلّ والديك عندما يقرران الحضور للزيارة. ترى ما الذي دفع الوالد، الذي لطالما فضّل ركوب سيارة أحد أفراد العائلة أو سيارة أجرة عندما يأتي إلى المدينة، ليقرّر استقلال قطار الأنفاق في ذلك اليوم بالتحديد؟ في ذلك اليوم، اندفع الوالد والوالدة باتجاه قطار الأنفاق الذي وصل لتوه، فأسرع الوالد لركوب القطار وهو

يحمل حقيبة الوالدة، وعندما نظر خلفه، لم يجدها. كانت المحطة يومئذٍ مزدحمة، فانجرفت والدتك بعيداً عن والدك وسط الزحام وانطلق القطار مغادراً بينما هي تحاول أن تضبط اتجاهها. عندما خُلِّفت الوالدة وحدها في محطة قطار الأنفاق وليس في حوزتها شيء، غادرتِ أنت معرض الكتاب وتوجهت إلى ساحة **تيانانمين**. لقد كانت تلك ثالث مرة تزورين فيها **بكين**، ولكنك لم تتوجهي إلى ساحة **تيانانمين** من قبل، بل نظرت إليها من داخل حافلة أو سيارة. عرض الطالب، الذي كان يرشد مجموعتكم، أن يصطحبكم إلى هناك قبل الذهاب لتناول العشاء، فوافق أفراد المجموعة جميعاً على هذه الفكرة. تُرى ما الذي فعلته أمك لوحدها في محطة **سول** وأنت تترجلين من سيارة الأجرة أمام **المدينة المحرمة**؟ تمشَّى أفراد مجموعتك داخل **المدينة المحرمة** ولكنهم عاودوا الخروج منها مجدّداً، إذ إن ذلك المعلم كان مفتوحاً بشكل جزئي فقط بسبب أعمال إعادة التشييد، بالإضافة إلى أن وقت الإغلاق أوشك أن يحين. لقد أصبحت مدينة **بكين** بأسرها في ذلك الوقت قيد الإنشاء من أجل تحضيرها لدورة الألعاب الأولمبية في العام التالي. فتذكرت مشهداً من فيلم **الإمبراطور الأخير** يعود فيه **بوي** المسن إلى **المدينة المحرمة** حيث أمضى طفولته ويُري سائحاً شاباً صندوقاً خبأه داخل العرش في الماضي. وعندما يفتح غطاء الصندوق يجد الجدجد الذي رباه كحيوان أليف لا يزال حياً في داخله. ترى هل تاهت أمك، بينما أنت توشكين على التوجه إلى ساحة **تيانانمين**، في غمرة الحشد الصاخب المتدافع من حولها؟ هل انتظرت على أمل أن يأتي أحد ليصطحبها؟ لقد كانوا يعيدون تعبيد الطريق الواصل بين **المدينة المحرمة** وساحة **تيانانمين**، فاستطعت أن تري الساحة، ولكنك لم تتمكني من الوصول إليها إلا من خلال عبور متاهة معقدة. بينما أخذت

تتأملين الطائرات الورقية تحلق في الهواء، انهارت أمك على الأرض بيأس وهي تنادي اسمك. وبينما كنت تشاهدين بوابات ساحة تياننمين الفولاذية تنفتح وسرية الشرطة تتقدم إلى الأمام وسيقانهم مرفوعة إلى الأعلى لينزلوا العلم الوطني الأحمر ذا الخمس نجوم، راحت أمك تهيم على غير هدًى عبر متاهة محطة سول. إنك تدركين أن هذا هو ما حدث فعلاً لأن هذا هو ما رآه الناس الذين تواجدوا في المحطة في ذلك الوقت. فقد قالوا إنهم رأوا امرأة مسنة تمشي ببطء شديد، وأحياناً تجلس على الأرض أو تقف بوجه خالٍ من التعبير بجانب الدرج المتحرك ثم تركب أحد القطارات التي وصلت. بعد بضع ساعات من اختفاء والدتك، ركبت وجماعتك سيارة أجرة عبرتم بها المدينة في الليل إلى شارع سناك المزدحم، وجلستم متلاصقين تحت الأضواء الحمراء، وارتشفتم الشراب الصيني، وتناولتم القريدس المطهي بزيت الفلفل الحار.

ترجل الوالد من القطار في المحطة التالية وعاد أدراجه إلى محطة سول، ولكنه اكتشف أن والدتك قد اختفت.

"كيف تاهت لمجرّد أنها فقط لم تركب معه في القطار نفسه؟ هناك لافتات في كل مكان. إن الوالدة تعرف كيف تجري مكالمة هاتفية بسيطة من أحد أكشاك الهاتف". وأصرت زوجة أخيك على أن مكروهاً قد وقع للوالدة وأنه من غير المنطقي ألا تستطيع العثور على بيت ابنها لمجرد أنها لم تستطع الركوب في القطار نفسه مع الوالد. وهكذا، فلا بد من أن مكروهاً قد حدث لها. إن هذه وجهة نظر شخص يظن أن الوالدة لا تزال على حالتها السابقة الطبيعية.

عندما قلت: "من الممكن للوالدة أن تتوه"، نظرت إليك زوجة

أخيك بعينين مفتوحتين على وسعهما بدهشة. فشرحت لها قائلة: "إنك تدركين كيف أصبحت أمي في هذه الأيام". فتغيرت ملامح زوجة أخيك وكأنه ليس لديها فكرة عمّا تتحدثين، ولكن أفراد عائلتك يعرفون كيف أصبحت والدتك في هذه الأيام، وبدأ يخامرهم شكٌّ في أن يفلحوا في العثور عليها.

* * *

## متى أدركت للمرّة الأولى أن أمك لا تجيد القراءة؟

لقد كتبت للمرّة الأولى عندما دوّنت رسالة أملتها عليك أمك لترسليها إلى **هايونغ تشول** بعد انتقاله إلى المدينة بوقت قصير. تخرَّج **هايونغ تشول** من المدرسة الثانوية في القرية الصغيرة التي ولدتم فيها جميعاً ودرس في البيت ليتقدم لامتحان الخدمة المدنية ثم انطلق إلى المدينة في مهمته الأولى. وهكذا، افترقت الوالدة للمرة الأولى عن أحد أولادها. في ذلك الوقت من الماضي، لم يكن لدى عائلتك هاتف، فاقتصرت طريقة التواصل في ما بينكم على الرسائل، وكان **هايونغ تشول** يرسل إليها الرسائل مكتوبة بخط كبير. ولطالما أشعر الحدس والدتك بموعد وصول رسائل **هايونغ تشول**. وقد اعتاد ساعي البريد أن يصل حوالى الساعة الحادية عشرة صباحاً ومعه حقيبة كبيرة معلقة على دراجته. ففي الأيام التي كانت رسائل **هايونغ تشول** تصل فيها، اعتادت الوالدة أن تأتي من الحقول أو من الجدول حيث تغسل الملابس لتتلقى الرسالة شخصياً من ساعي البريد ثم تنتظرك لتأتي من المدرسة وتقودك إلى الشرفة الخلفية وفي حوزتها رسالة **هايونغ تشول** قائلةً: "اقرأيها بصوت عالٍ".

اعتاد **هايونغ تشول** أن يستهل رسائله بعبارة "أمي الغالية"، وكأنه

يستعين بكتاب عن كيفية كتابة الرسائل، ثم يسأل عن أحوال العائلة ويقول إنه بخير وإنه يأخذ ملابسه إلى زوجة ابن عم أبيه مرة في الأسبوع لتغسلها له كما طلبت منها الوالدة. وذكر في إحدى رسائله أيضاً أنه يأكل طعاماً جيداً وأنه عثر على مكان لينام فيه لأنه بدأ يسهر الليل بأكمله في العمل. وطلب منها ألا تقلق بشأنه. وكتب **هايونغ تشول** أيضاً أنه يشعر بأنه أصبح قادراً على تحقيق كل آماله في هذه المدينة، وأن هناك رغبات عديدة يتمنى أن يحققها. وكشف حتى عن طموحه في أن يبلغ أعلى مراتب النجاح ويمنح والدته حياة أفضل. وأضاف **هايونغ تشول** البالغ من العمر عشرين عاماً بشجاعة قائلاً: لا تقلقي بشأني يا أمي، ومن فضلك اعتني بصحتك". عندما اختلست النظر إلى أمك حين كنت تقرأين الرسالة، رأيتها تتأمل نبات القلقاس المزروع في الباحة الخلفية، والمرطبانات الفخارية المليئة بأنواع الصلصة. ولاحظت أن أذني والدتك تكادان أن تبدوَا منتصبتين كأذني أرنب محاولةً ألاّ تفوت كلمة واحدة من رسالة ابنها. بعد أن فرغتِ من قراءة الرسالة، أملت عليك والدتك رسالتها لتدوّنيها، فكانت كلمات الوالدة الأولى: "عزيزي **هايونغ تشول**". فكتبت: عزيزي **هايونغ تشول**؛ لم تقل لك والدتك أن تضعي نقطة بعد الجملة، ولكنك فعلت ذلك من تلقاء نفسك. وعندما قالت: "**هايونغ تشول**"، كتبت: **هايونغ تشول!** وعندما توقفت الوالدة بعد ذكر اسمه، وكأنها نسيت ما تريد أن تقوله، دسستِ خصلات من شعرك القصير خلف أذنيك وانتظرت بيقظة أن تتابع أمك كلامها والقلم الجاف في يدك وأنت تحدقين إلى أدوات القرطاسية. وعندما قالت: "لقد أصبح الطقس بارداً"، كتبت: لقد أصبح الطقس بارداً. لطالما أتبعت والدتك عبارة عزيزي **هايونغ تشول** بعبارة عن الطقس. ثم قالت: "لقد تفتحت الزهور الآن مع أننا لسنا في فصل الربيع بل في الصيف،

ولهذا فقد بدأ حقل الأرز يجف ويتكسر". "لقد حان موسم الحصاد. وبدأ نبات الفاصولياء يغمر الحقل". لطالما تحدثت والدتك باللهجة المحلية، ولكن ليس إن أرادت أن تملي عليك رسالة **لهايونغ تشول**. تابعت والدتك الرسالة قائلة: "لا تقلق حيال أي شيء في البيت، واعتنِ بنفسك. إن هذا هو الشيء الوحيد الذي تريده والدتك منك". لطالما بدت رسائل الوالدة مغمورة بفيض من المشاعر. "أنا آسفة لأنني لم أستطع أن أقدم لك أي مساعدة". بينما كنتِ تكتبين كلمات والدتك بحرص، رأيت دمعة تسيل على خدها. كما اعتادت والدتك أن تختم رسالتها بالكلماتِ نفسها، وهي: "احرص على أن تأكل كل وجباتك، أمك المحبة".

لأنك الثالثة بين خمسة أبناء، فقد شهدت حزن أمك وألمها وقلقها لمغادرة كل أخ من إخوتك للبيت. كانت تنهض فجر كل يوم بعد رحيل **هايونغ تشول** وتنظف مرطبانات الصلصة الفخارية اللامعة المصفوفة على الرف في الباحة الخلفية. وكانت البئر موجودة في الباحة الأمامية، لذا، فلطالما وجدتم إحضار الماء إلى الباحة الخلفية عملاً مرهقاً، ولكنها اعتادت أن تغسل كل مرطبان منها وتزيل كل الأغطية وتمسحها وتنظفها من الداخل والخارج إلى أن تصبح لامعة وهي تغني بهدوء: "لو لم يفصل البحر الشاسع بيني وبينك، لما وقع بيننا هذا الفراق المؤلم..."، وبينما هي تغمس قطعة القماش بالماء البارد وترفعها وتعصرها لتمسح المرطبانات، كانت تغني: "آمل ألاّ ترحل عني يوماً واحداً". فإن ناداها أحدهم في تلك اللحظة، التفتت والدموع تفيض من عينيها الواسعتين البريئتين.

كانت الوالدة تحب **هايونغ تشول** حباً جماً لدرجة أنها اعتادت أن تعد حساء الشعيرية خصيصاً من أجله ليجده عندما يعود إلى البيت بعد

بقائه إلى وقت متأخر من الليل في المدرسة ليدرس. وعندما ذكرتِ هذا الأمر في وقت لاحق لصديقكِ **يو بين**، أجابك قائلاً: "إنه مجرد حساء شعيرية. ما المهم في الأمر؟".

قلت: "ماذا تعني بقولك إنه ليس مهماً؟ لقد كان حساء الشعيرية أفضل وجبة في ذلك الوقت من الماضي، وطعاماً يأكله المرء سراً كي لا يضطر إلى اقتسامه مع أحد". وبالرغم من أنك شرحت له أهمية ذلك، فقد ظل يعتقد، وهو ابن المدينة، أن الأمر عديم الأهمية.

عندما دخل هذا الطبق اللذيذ الجديد المعروف بحساء الشعيرية حياتكم، تفوّق على كل طبق أعدته لكم الوالدة من قبل. فأصبحت الوالدة تشتري الشعيرية وتخفيها في مرطبان فارغ بين صف المرطبانات الفخارية لتعدها خصيصاً **لهايونغ تشول**. ومع ذلك، فقد كانت رائحة الشعيرية وهي تغلي توقظك وإخوتك حتى في منتصف الليل. فإن وبختكم الوالدة بصرامة قائلة: "عودوا إلى السرير جميعاً". نظرتم جميعاً إلى **هايونغ تشول** وهو على وشك أن يبدأ بالأكل، فجعله هذا يشعر بالأسى لحالكم ويقدم القليل لكل واحد منكم. علقت الوالدة قائلة: "كيف تستطيعون القدوم بلمح البصر عندما تشمون رائحة الطعام؟"، ثم ملأت قدراً أخرى بالماء وأعدت حساء شعيرية آخر وقسمته بينك وبين إخوتك، فسررتم كثيراً لأن يحصل كل واحد منكم على طبقٍ مليء بالحساء أكثر من الشعيرية.

بعد أن غادر **هايونغ تشول** إلى المدينة، بدأت الوالدة تمد يدها إلى المرطبان الفخاري الذي اعتادت أن تخفي فيه الشعيرية وتنادي باسم **هايونغ تشول** ثم تتخاذل ساقاها وتنهار على الأرض. فكنت تأخذين الخِرقة من يد الوالدة وترفعين ذراعها وتضعينها على كتفك، ولكنها تظل تبكي وتنهار وهي عاجزة عن التحكم بمشاعرها الغامرة حزناً على

غياب ابنها البكر.

عندما غرقت والدتك في الأحزان بعد أن غادر أشقاؤك، لم يعد في وسعك أن تفعلي شيئاً سوى أن تقرأي لها رسائل إخوتك بصوت عالٍ وتضعي ردودها في صندوق البريد وأنت في طريقك إلى المدرسة. في ذلك الوقت، لم تكن لديك أيّ فكرة عن سبب عدم تدخلها بكتابة الرسائل أو قراءتها. لماذا لم يخطر ببالك قط أن الوالدة لا تجيد القراءة ولا الكتابة مع أنها ظلت تعتمد عليك لفترة طويلة لقراءة الرسائل لها وكتابة الردود؟ ربما اعتبرت طلبها مجرد عمل منزلي آخر تطلبه منك كالتوجه إلى الحديقة لقطف بعض الخبازى، أو الذهاب لشراء الكيروسين. لا بد من أن الوالدة لم تكلف شخصاً آخر بتلك المهمة بعد أن غادرت إلى المدينة لأنك لم تتلقي أيّ رسالة منها. هل السبب في ذلك هو أنك لم تراسليها؟ ربما حدث ذلك بسبب توافر الهاتف. إذ بحلول الوقت الذي غادرت فيه إلى المدينة، تم وضع هاتف عمومي في بيت زعيم القرية، وذلك أول هاتف يتم تركيبه في مسقط رأسك المكوَّن من مجتمع زراعي صغير يمر فيه بين الحين والآخر قطار على طول السكك الحديدية التي تمتد بين القرية والحقول الواسعة. في صباح كل يوم، كان القرويون يسمعون زعيم القرية وهو يختبر المايكروفون ثم يعلن أن الشخص الفلاني ينبغي له الحضور ليتلقى مكالمة واردة من سول. فبدأ إخوتك يتصلون عبر الهاتف العمومي. وبعد أن تم وضع الهاتف، أصبح الناس الذين لهم أقارب في المدن الأخرى يجلسون متيقظين لأصوات المايكروفون حتى وهم في حقول الأرز أو الحقول الأخرى ويتساءلون عن الشخص المطلوب منه الرد على الهاتف.

* * *

## إما أن تعرف الأم وابنتها بعضهما بعضاً حقّ المعرفة ، أو فهما مجرد غريبتين

إلى أن حلّ فصل الخريف الماضي، كنت تظنين أنك تعرفين أمك حق المعرفة وتعرفين ما تحبه، وما يجب عليك فعله لتسترضيها عندما يثور غضبها، والكلام الذي تود سماعه. فإن سألك أحد عما تفعله أمك في هذه اللحظة، أجبت على الفور: "إنها على الأرجح تجفف نبات السرخس". أو "لا بد من أنها في دار العبادة. فاليوم يوم الأحد". ولكن، هذا الاعتقاد تبدد في الخريف الماضي، إذ إنك ذهبت ذات مرة لزيارتها من دون أن تعلميها مسبقاً، فاكتشفت أنك أصبحت بمثابة ضيفة في بيتها. إذ بدأت أمك تشعر بحرج متزايد من الباحة الفوضوية أو الشراشف المتّسخة. وفي إحدى المرات، التقطت منشفة عن الأرض وعلقتها، وعندما سقط الطعام على الطاولة، أسرعت لتزيله عنها. وألقت نظرة خاطفة لتتفقد ما لديها في الثلاجة. ومع أنك حاولت أن تمنعيها من الذهاب إلى السوق، فقد ذهبت. عندما يجلس المرء مع أفراد عائلته، يجب عليه ألاّ يشعر بالحرج من ترك الطاولة متسخة أو الذهاب للقيام بشيء آخر، ولكنك أدركت أنك أصبحت غريبة وأنت ترين أمك تحاول أن تخفي عنك الفوضى التي تعم حياتها اليومية.

إنك تدركين أنك أصبحت غريبة قبل ذلك الوقت، أي منذ انتقلت إلى المدينة. إذ بعد أن تركت البيت، لم تعد أمك توبخك قط. وقبل ذلك، اعتادت أن توبخك بقسوة إن ارتكبتِ أي خطأ مهما كان بسيطاً. ولطالما خاطبتك أمك وأنت صغيرة بقولها: "أنت! أيتها الفتاة!"، وخاصة عندما كانت تريد أن تفرّق بينك وبين الصبية، ولكنها اعتادت أن تناديك بذلك أيضاً عندما تطالبك بأن تعدّلي عاداتك، أو

تستهجن طريقتك في تناول الفاكهة، أو المشي، أو ملابسك، أو طريقة كلامك. ومع ذلك، فقد أصبح القلق يتملكها بشأنك في بعض الأحيان، فكانت تتأمل وجهك عن كثب وتتفحصك وملامح وجهها قلقة ولا سيما إن احتاجت إلى مساعدتك لتمليس زوايا الأغطية المنشاة، أو إن طلبت منك أن تضعي الوقود في فرن المطبخ القديم لطهي الأرز. في أحد الأيام الشتوية الباردة، ذهبتِ وأمك إلى البئر لتنظفا المزلج الذي يستخدم في طقوس تبجيل الأسلاف في العام الجديد، فقالت لك: "يجب عليك أن تبذلي جهداً في المدرسة لتتمكني من الانتقال إلى عالم أفضل". تُرى هل فهمتِ كلماتها في ذلك الوقت؟ كلما أمعنت أمك في التوبيخ، ازدادت مناداتك إياها بكلمة ماما. إن كلمة "ماما" مريحة وتنطوي على توسل خفي: من فضلك اعتني بي. من فضلك توقفي عن الصراخ في وجهي وربتي على رأسي بحنان. من فضلك قفي إلى جانبي سواء أكنت على خطأ أم على صواب. لم تتوقفي قط عن مناداتها بكلمة "ماما" حتى بعد اختفائها. وعندما تفكرين فيها الآن، تجبرين نفسك على الاعتقاد بأنها سليمة معافاة، إذ إنها تمثل في نظرك تلك الأم القوية التي لا يزعزعها أي شيء. إن تلك الأم هي الشخص الذي تلجأين إليه عندما يتملكك اليأس حيال شيء ما في هذه المدينة.

في خريف العام الماضي، لم تخبريها أنك قادمة لزيارتها، ولكن ليس السبب في ذلك هو أنك أردت أن تريحيها من عناء التحضير لوصولك. في ذلك الوقت، كنت في بوهانغ، وهي مدينة تقع بعيداً عن قرية والديك، ومع أنك نهضت عند بزوغ الفجر وغسلت شعرك وغادرت إلى المطار للتوجه إلى بوهانغ، فلم تكوني تعتزمين التوجه إلى تشونغ أب لزيارة والدتك. إذ إن الذهاب إلى تشونغ أب من

بوهانغ أصعب من الذهاب إليها من سول، لذا، فلم تتوقعي أن تفعلي هذا قط.

* * *

عندما وصلت إلى بيت والديك، وجدت البوابة مفتوحة وكذلك الباب الأمامي. كنت قد رتبت لموعد على الغداء مع صديقك يو بين في المدينة في اليوم التالي، ولهذا، فقد قررت العودة إلى البيت في القطار الليلي. بالرغم من أنك ولدت في هذه القرية، إلا أنها أصبحت مكاناً غير مألوف في نظرك، إذ لم يتبقَّ فيها من طفولتك سوى أشجار القراص الثلاث التي أصبحت الآن مكتملة النمو قرب الجدول. عندما ذهبت إلى بيت والديك، سلكت الطريق القصيرة المؤدية إلى الجدول بدلاً من الطريق الطويلة. ولو استمررت في المضي قدماً في الطريق، لأوصلتك إلى البوابة الخلفية لبيت طفولتك. قبل وقت طويل، كانت هناك بئر مشاعة تقع خارج البوابة الخلفية تماماً، وعندما بدأ تركيب المضخات الحديثة في كل البيوت، رُدِمت البئر. تلكأت قليلاً في ذلك المكان قبل أن تدخلي إلى البيت، ونقرت بقدمك على الإسمنت الصلب في المكان نفسه الذي كانت فيه تلك البئر الفياضة في الماضي، فغمرتك لواعج الحنين. ترى إلى أي حال آلت تلك البئر في الظلام تحت الشارع، تلك البئر التي زوّدت كل سكان الزقاق بالماء وظلت فياضة غزيرة؟ عندما رُدِمت البئر، لم تكوني هناك. وذات يوم، عدت إلى القرية للزيارة ولم تجدي البئر بل مجرد شارع إسمنتي. فربما لأنك لم تري البئر تُردم بأم عينك، لا يزال يخيل إليك أن البئر ستظل نبعاً متفجراً بالماء تحت الإسمنت الأصم.

تلكأت بجانب البئر برهة ثم دخلت من البوابة وأنت تنادين "أمي"، ولكنها لم تجب. رأيت ضوء الشمس الغاربة الخريفية يملأ باحة المنزل

التي تواجه الغرب، فدخلت إلى البيت بحثاً عنها، ولكنك لم تجديها في غرفة المعيشة ولا في غرفة النوم. لاحظت أن الفوضى تعم البيت؛ فقد رأيت قارورة ماء موضوعة على الطاولة وفنجاناً على حافة المغسلة وسلة قطع قماشية مقلوبة على السجادة في غرفة المعيشة وقميصاً متسخاً على الأريكة كماه منفرجان وكأن الوالد قد خلعه للتو. تسربت أشعة شمس فترة العصر المتأخر لتضيء المساحة الفارغة في الغرفة. ناديت ثانية: "أمي!"، ثم خرجت من الباب الأمامي إلى الباحة الجانبية، وهناك رأيت أمك مستلقية على الرصيف الخشبي في المخزن الصغير عديم الباب. فناديتها مرة أخرى، ولكنها لم تجب. انتعلت حذاءك واقتربت منها. ومن هناك استطعت أن تنظري إلى الباحة. منذ وقت بعيد، اعتادت أمك أن تعد الشعير المخمر. لقد أصبحت تلك مساحة مستغلة جيداً ولا سيما بعد أن تم ضم الزريبة الفارغة إليها. كانت أمك تكوّم مؤن المطبخ القديمة غير المستعملة على الرفوف التي نصبتها على أحد الجدران وتضع تحتها مرطبانات زجاجية للخضار المخللة المحفوظة. وقامت بنقل الرصيف الخشبي إلى المخزن بنفسها. وبعد أن هدم المنزل القديم وبني مكانه منزل غربي الطراز، أصبحت تجلس على الرصيف لتنجز الأعمال المطبخية التي كانت تجد صعوبة في إنجازها في المطبخ الحديث. فكانت تطحن الفلفل الأحمر بالهاون لتعد مخلل الكيمتشي وترهق نفسها في البحث عن الفول في الحقل لتقشره، وتعد صلصة الفلفل الأحمر، وتملح الملفوف لإعداد مخلل للشتاء، أو تجفف كعك الصويا المخمر.

رأيت بيت الكلب بجوار المخزن فارغاً والسلسلة ممددة على الأرض. فأدركت أنك لم تسمعي صوت نباحه عندما دخلت إلى البيت. وبينما أنت تنظرين في الأنحاء بحثاً عنه، اقتربت من أمك، ولكنها لم

تحرك ساكناً. لا بد من أنها كانت تقطف القرع الصيفي لتجففه في الشمس. إذ إنك وجدت لوح تقطيع وسكيناً وبعض القرع الصيفي موضوعة جانباً وشرائح صغيرة من القرع داخل سلة خيزران مهترئة. في البداية، تساءلت إن كانت الوالدة نائمة، ولكنك تذكرت أنها ليست من النوع الذي يحب القيلولة. فألقيت نظرة فاحصة على وجهها. ورأيتها تقبض بإحدى يديها على رأسها وتكابد بكل قوتها. وبدت شفتاها منفرجتين وجبينها مقطباً لدرجة أن وجهها أصبح مليئاً بتجاعيد عميقة.

"أمي!".

فلم تفتح عينيها.

"أمي! أمي!".

ركعت أمام أمك وهززتها بقوة، ففتحت عينيها قليلاً وقد بدتا حمراوين كالدم. ورأيت قطرات من العرق تبلل جبهتها. لم يبدُ على أمك أنها تميزك، وبدت ملامح وجهها المثقل بالألم أشبه بعقدة متشابكة مغمورة بالبؤس. لا يمكن أن ينبع تعبير شقي كهذا سوى عن معاناة دفينة. أغمضت والدتك عينيها مجدّداً.

"أمي".

تسلقت إلى الرصيف واحتضنت وجه أمك المعذب. ووضعت ذراعك تحت إبطها لتمنعي رأسها من الانزلاق عن ركبتيك. ما الذي قد يدفع أحدهم لتركها وحدها بهذه الحالة؟ وبدأت مراجل الغضب تغلي في أعماقك وكأن أحداً قد نبذها في المخزن وتركها، ولكنك غادرت بدورك وتركت أمك وحدها. إن صدمة عنيفة كهذه تفقد المرء صوابه وتشل تفكيره. هل يجب عليّ أن أتصل بسيارة إسعاف؟ أينبغي لي أن أدخلها إلى البيت؟ أين والدي؟ تسارعت هذه الأفكار في رأسك،

ولكن المطاف انتهى بك وأنت تتأملين أمك الممددة على حضنك. لم تري في حياتك وجهاً يبدو منقبضاً وبائساً إلى هذا الحد ويرزح تحت وطأة كل هذا الألم. سقطت يدها التي أخذت قبل قليل تضغط بها على جبينها بوهن على الرصيف. وراحت أمك تتنفس بمشقة من شدة إرهاقها، وارتخت أطرافها وكأنها أصبحت عاجزة عن بذل الجهد لمقاومة آلامها. "أمي!". وبدأ قلبك يخفق بعنف، وخطر ببالك أنها ربما تحتضر، ولكنّ عيني أمك انفتحتا بهدوء، وبدأت تعتاد على تواجدك. كان ينبغي أن تعتريها الدهشة لرؤيتك، ولكنّ عينيها لم تظهرا أي تعبير من هذا النوع. فقد منعتها شدة وهنها من أن تبدي أي ردَّ فعل. وبعد قليل، نادت اسمك ووجهها خالٍ من التعبير، وتمتمت شيئاً ما بضعف، فانحنيت قربها.

"عندما ماتت أختي عجزت حتى عن ذرف دمعة واحدة". بدا وجه الوالدة الشاحب شديد الغموض حتى إنك عجزت عن إيجاد كلام تقولينه.

أقيمت جنازة خالتك في الربيع، فلم تذهبي لحضورها، ولم تزوريها قط مع أنها ظلت تقاسي آلام المرض قرابة سنة من الزمن. وماذا كنت تفعلين بدلاً من ذلك؟ لقد اعتبرت خالتك بمثابة أمك الثانية وأنت صغيرة، إذ لطالما ذهبتِ خلال الإجازات الصيفية للإقامة في منزلها الذي يقع في السفح الآخر للجبل. من بين كل إخوتك، ربطتك علاقة وثيقة جداً بخالتك، وذلك على الأرجح بسبب شدة شبهك بأمك. ولطالما قالت خالتك: "أنت وأمك مخلوقتان من الطينة نفسها". كانت خالتك تطعم الأرانب معك وتضفر شعرك وكأنها تريد أن تستعيد ذكريات طفولتها مع أختها. واعتادت أن تطهيَ قدراً من

الشعير مع مقدار من الأرز فوقه وتحتفظ لك بالأرز. وفي الليل، كنت تتمددين على حضنها، وكانت تدسّ يدها تحت عنقك لتجعلها وسادة لك وتقص عليك قصصاً. مع أن خالتك غادرت هذا العالم، فقد ظللت تتذكرين رائحتها من تلك الزيارات في أيام الطفولة. لقد أمضت فترة شيخوختها وهي تعتني بأحفادها بينما يعمل والداهم في مخبز يديرانه. سقطت خالتك عن الدرج وهي تحمل طفلاً على ظهرها، فأُسعِفت إلى المستشفى، وهناك اكتشفوا أن السرطان منتشر في أنحاء جسدها كافة لدرجة أن الأوان قد فات لفعل أي شيء لعلاجها. فأطلعتك أمك على الخبر وقالت: "يا لأختي الكبرى المسكينة!".

"لماذا لم يكتشفوا المرض لديها حتى الآن؟".

"لأنها لم تذهب لإجراء فحص من قبل".

بدأت أمك تزور أختها وتأخذ لها طبقاً من العصيدة وتطعمها إياها بالملعقة بنفسها. كنت تصغين إلى أمك بهدوء وهي تقول: "ذهبت البارحة لزيارة خالتك، وأعددت لها بعض العصيدة، وكانت شهيتها جيدة". وكنتِ أول من اتصلت به أمك عندما وصلها خبر وفاة خالتك.

"لقد توفيت أختي".

فالتزمت الصمت.

"ليس عليك الحضور إن كنت مشغولة".

ولكن حتى لو لم تقل لك أمك ذلك، لما تمكنت من حضور جنازة خالتك لأن لديك مهلة نهائية يجب عليك الإيفاء بها. فقال لك **هايونغ تشول**، الذي ذهب إلى الجنازة، إن القلق قد تملكه من أن تصاب والدتك بانهيار، ولكنها لم تذرف دمعة واحدة وقالت له إنها لا ترغب في التوجه إلى المقبرة، فسألتِه قائلة: "أحقاً ذلك؟"، فقال **هايونغ تشول**

إنه اعتبر تصرفها ذلك غريباً أيضاً، ولكنه لم يخالف رغبتها.

في اليوم الذي رأيت فيه أمك مستلقية في المخزن، قالت لك، بينما بدا وجهها متشنجاً من شدة الألم، إنها لم تبكِ حتى عندما ماتت أختها.

"لِمَ لا؟ كان ينبغي لك أن تبكي إن أردت ذلك". شعرت بالراحة لأن أمك عادت إلى طبيعتها المعهودة بالرغم من أنها تحدثت من دون أن تبدي أيّ عاطفة.

طرفت أمك بعينيها بهدوء وقالت: "لم أعد أقوى على البكاء بعد الآن".

فلم تنبسي بحرف واحد.

"لأن رأسي يؤلمني ألماً مبرحاً لدرجة أنني أشعر به سينفجر".

بينما أنت تشعرين بشمس المغيب تُدفِّئ ظهرك، تأملت وجه أمك المتكئة على حضنك وكأنكِ ترينه للمرة الأولى. هل تعاني أمي من الصداع؟ أهو شديد لدرجة أنها لا تقوى حتى على البكاء؟ بدت عيناها الداكنتان، اللتان كانتا في الماضي براقتين ومستديرتين كعيني بقرة على وشك أن تلد، مخفيتين بين التجاعيد. وبدت شفتاها الشاحبتان الممتلئتان جافتين ومتشقّقتين. أمسكت بذراعها التي تركتها متأرجحة على الرصيف ووضعتها على بطنها، وحدقت إلى بقع الشمس الداكنة على ظاهر يدها المشبعة بعمر كامل أمضته في الكد والعمل الشاق. لم تعودي تجرئين على القول إنك تعرفين أمك حق المعرفة بعد الآن.

اعتاد خالك قبل أن توافيه المنية أن يأتي ليزور أمك كل يوم أربعاء. وكان قد عاد لتوه إلى تشونغ أب بعد حياة هائمة أمضاها يجوب البلاد طولاً وعرضاً. لم يكن يأتي للزيارة لسبب محدد، بل يقوم بمجرد

ركوب دراجته والتوجه إلى البيت ليرى أمك ثم يغادر. وكان في بعض الأحيان لا يدخل إلى البيت وإنما ينادي من البوابة قائلاً: "يا أختي! كيف حالك؟"، وقبل أن يتسنى لأمك الخروج إلى الباحة، كان ينادي قائلاً: "إنني مغادر الآن!"، ثم يركب دراجته وينطلق مبتعداً. كما تعلمين، لم تجمع بين أمك وخالك علاقة مقربة إلى هذا الحد، إذ إن خالك استدان الكثير من المال من والدك في الماضي ولم يسدّده قط. وكانت أمك أحياناً تفتح ذلك الموضوع بحسرة وتقول إنها لطالما شعرت بسبب خالك بأنها مدينة لوالدك وشقيقته. وبالرغم من أن خالك هو المدين لأبيك، فقد وجدت والدتك صعوبة في تقبل حقيقة بقائه مديناً لوالدك. وعندما مرت أربع أو خمس سنوات انقطعت فيها أخبار خالك، أخذت أمك تتساءل قائلة: "ترى ماذا يفعل خالكم في هذه الأيام؟"، فلم تعرفوا إن كانت أمكم قلقة بشأنه أو مستاءة منه.

في أحد الأيام، سمعت أمك أحداً يدفع البوابة الأمامية ويدخل قائلاً: "هل أنت في الداخل يا أختي؟"، كانت أمك جالسة معك تأكل اليوسفي، ففتحت الباب وهرعت خارجاً. تُرى من الذي جعلها تنفعل هكذا؟ فأثار تصرفها فضولك، وتبعتها خارجاً. توقفت أمك قليلاً على الشرفة وهي تنظر إلى البوابة وصاحت قائلة: "يا أخي!"، للشخص الواقف بجانبها وجرت إليه كالريح غير مبالية بقدميها الحافيتين. ضربت أمك صدره بقبضتي يديها وصاحت: "أخي! أخي!"، فراقبتها من الشرفة. وكانت تلك المرة الأولى التي تسمعينها فيها تنادي أحداً قائلةً "أخي". إذ إنها اعتادت أن تشير إلى أخيها بقولها "خالكم". إنك لا تدركين سبب الدهشة التي اعترتك لرؤية أمك تجري إلى خالك وتناديه "يا أخي" بصوت مفعم بالمشاعر بالرغم من أنك تعرفين أن لك خالاً، ولكنك أدركت آنذاك أن لأمك أخاً أيضاً! إنك أحياناً تضحكين

عندما تتذكرين ما فعلته أمك في ذلك اليوم وتتخيلين أمك المسنة تقفز من الشرفة وتجري عبر الباحة إلى خالك وتناديه قائلة "أخي" وكأنها طفلة صغيرة. لقد ظلت صورة تلك الأم عالقة في ذهنك، فلا تدركين أنك استغرقت وقتاً طويلاً لتستوعبي حقيقة واضحة وضوح الشمس. إذ لطالما اعتبرت أمك مجرد أم ولم يخطر ببالك قط أنها في الماضي اتخذت خطوتها الأولى في الحياة أو أنها كانت أصغر بثلاثة أعوام أو اثني عشر أو عشرين عاماً. إنك تعتبرين أمك أماً فقط وأنها ولدت لتصبح أماً وحسب، ولم يتبادر إلى ذهنك قط أنها إنسان يضمر المشاعر نفسها التي تضمرينها لإخوتك إلى أن رأيتها تجري بشوق نحو خالك. وجعلك هذا تدركين أيضاً أنها مرت بمرحلة الطفولة في الماضي. ومن حينها، بدأت تفكرين في أمك كطفلة وفتاة وامرأة شابة وعروس جديدة وأم أنجبتك لتوها.

* * *

لم يطاوعك قلبك أن تتركي أمك وتعودي إلى المدينة بعد أن رأيتها على تلك الحالة في المخزن. كان الوالد ذاهباً إلى **سوكتشو** بصحبة أشخاص من المركز الإقليمي للفنون المسرحية التقليدية الكورية ويفترض به أن يعود إلى البيت في غضون يومين. وبالرغم من أن حدة آلام الوالدة قد خفت، فلم تستطع أن تحرر نفسها من الصداع أو أن تبتسم؛ ناهيك عن أن تبكي. ولم تستطع حتى أن تعي اقتراحك عليها أن تذهب إلى المستشفى. وعندما ساعدتها على الدخول إلى البيت، مشت بحذر محاولة أن تكبت ألمها. قالت الوالدة إنها معتادة على نوبات الصداع، ولكن النوبات العنيفة لم تكن تباغتها إلا مرة بين الحين والآخر، وإنها لطالما استطاعت أن تتحملها حالما تنقضي أشد اللحظات ألماً.

تُرى هل كان أشقاؤك يعلمون بأمر صداع الوالدة؟ هل كان والدك على علم به؟

قررت أن تطلعيهم على الأمر وأن تدخليها إلى مستشفى كبير حالما تعودين إلى المدينة. وعندما أصبحت الوالدة قادرة على الحركة بمفردها، قالت: "ألا ينبغي لك العودة إلى المدينة؟". في وقت ما من الماضي، بدأت زياراتك تصبح أقصر فأقصر، فأصبحت تأتين لبضع ساعات فقط ثم تعودين إلى المدينة. تذكرت أن لديك موعداً في اليوم التالي، ولكنك قلت لأمك إنك ستبيتين لديها تلك الليلة. إنك لا تزالين حتى الآن تتذكرين الابتسامة التي أشرقت على وجهها لسماع هذا الكلام.

تركت الأخطبوط الحي الذي اشتريته من سوق السمك في المطبخ لأنك وأمك لا تعرفان كيف تطهيانه. وجلست مقابل والدتك إلى الطاولة كما الأيام الخوالي، وتناولتما بهدوء وجبة بسيطة مكونة من الأرز وأطباق جانبية أخرى مثل وجبة الخضار المخللة وجبن التوفو المدمس وسمك الأنشوفة المطهي وأعشاب البحر المشوية. وعندما لفت أمك قطعة من أعشاب البحر حول بعض الأرز كما اعتادت أن تفعل وأنت صغيرة وقدمتها لك، أخذتها وأكلتها. وبعد العشاء، تمشيت ووالدتك حول المنزل لتهضما طعامكما. لم يعد المنزل كسابق عهده من أيام طفولتك، ولكن الجانب الأمامي والباحات الخلفية ظلت متصلة ببعضها بعضاً. في الباحة الخلفية، كانت لا تزال هناك الكثير من المرطبانات الفخارية المصفوفة على الإفريز، إذ اعتادت أمك منذ طفولتك أن تملأ هذه المرطبانات بصلصة الصويا ومعجون الفلفل الأحمر والملح ومعجون الفاصولياء، ولكنها الآن أصبحت فارغة. بينما كنتما تمشيان، أخذت أمك أحياناً تقودك وأحياناً تتخلف عنك. سألتك

أمك فجأة عن سبب عودتك إلى البيت.

"لقد ذهبت إلى **بوهانغ**...".

"إن **بوهانغ** بعيدة من هنا".

"نعم".

"إن المسافة من **بوهانغ** إلى هنا أبعد من المسافة من **سول**".

"نعم، هذا صحيح".

"ما الذي جعلك تأتين من **بوهانغ** مع أنك تبدين مشغولة وليس لديك وقت للزيارة؟".

بدلاً من الإجابة عن سؤالها، تشبثت بيد أمك بيأس وكأنك تتشبثين بطوق نجاة في الظلام لأنك عجزت عن تفسير ما يختلج في صدرك من مشاعر. وقلت لأمك إنك في الصباح الباكر ذهبت لتلقي محاضرة في مكتبة **بريل** في **بوهانغ**.

قالت أمك: "مكتبة **بريل**؟".

"إن **بريل** هي الكتابة المخصصة من أجل المكفوفين، إذ يقرأون هذه الكتابة برؤوس أناملهم".

أومأت أمك برأسها. وبينما أنتما تدوران حول المنزل، حدّثتِ أمك عن رحلتك إلى **بوهانغ**. طوال سنوات عدة، أرسلت إليك مكتبة **بريل** دعوات كثيرة لتقومي بزيارتها، ولكنك كنت في كل مرة تعتذرين عن الزيارة بسبب ارتباطك بموعد مسبق. وفي مطلع فصل الربيع، تلقيت مكالمة أخرى، وكنت قد طبعت لتوك كتابك الأخير، فقال لك أمين المكتبة إنهم يريدون أن يطبعوه بطريقة **بريل**. **بريل**! لم تكوني تعرفين عنها أكثر من أنها كتابة خاصة بالمكفوفين كما قلت لأمك. أنصتِّ إلى أمين المكتبة بهدوء وكأنك تسمعين عن كتاب لم تقرأيه بعد. وقال لك أمين المكتبة إنهم يريدون إذناً منك، ولو لم يذكر أمين

المكتبة كلمة "إذن"، ربما لما وافقت على الذهاب إلى مكتبة بريل. فقد أثّرت فيك كلمة "إذن" وفهمت منها أن المكفوفين يريدون أن يقرأوا كتابك، وهم يطلبون إذنك ليطبعوا كتابك باللغة الوحيدة التي يستطيعون التواصل من خلالها... فأجبت قائلة: "بكل تأكيد". وانتابك فجأة شعور بأنك عديمة الحيلة. قال أمين المكتبة إن العمل على الكتاب سيكتمل في شهر تشرين الثاني، وإن اليوم العالمي لكتابة بريل يصادف أيضاً في شهر تشرين الثاني. وذكر أنهم يقدّرون لك فعلاً أن تحضري في ذلك اليوم وتشاركي في مراسم كتابة الإهداء على الكتاب. فتساءلت كيف وصلت الأمور إلى هذا الحد، ولكن لم يعد في وسعك التراجع عن تأكيدك الحضور. فخفف من صعوبة الأمر عليك أن الربيع كان لا يزال في بدايته وأن شهر تشرين الثاني بدا لك بعيداً جداً، ولكن الوقت مرّ بسرعة؛ فانقضى الربيع وحلّ الصيف، وانقضى وحلّ فصل الخريف، وسرعان ما حلّ شهر تشرين الثاني وأزف معه موعد الزيارة.

إن معظم الأشياء في العالم لا تأتي غير متوقعة إن فكر المرء فيها بعناية. فحتى الأشياء التي قد يظنها غير اعتيادية، هي في الواقع أشياء كان من المقرر لها أن تحدث. وإن صادف المرء أحداثاً غير اعتيادية، فهذا يعني غالباً أنه لا يفكر في الأمور ملياً. لقد كانت رحلتك إلى مكتبة بريل والأحداث التي تلت ذلك أشياء من الممكن أن تتوقعيها لو أنك منحت مكتبة بريل حقها من التفكير، ولكنك ظللت مشغولة طوال الربيع والصيف والخريف. وفي اليوم الذي توجهت فيه إلى مكتبة بريل، لم تفكري في الناس الذين أنت على وشك مقابلتهم، وإنما ظل القلق يتملكك من أن تتأخري على الموعد الذي ضربته عند الساعة العاشرة. بالكاد تمكنت من اللحاق برحلة الطائرة عند الساعة الثامنة ثم وصلت إلى بوهانغ وأخذت سيارة أجرة إلى مكتبة بريل ثم توجهت

إلى غرفة الانتظار. جلس المدير قبالتك بمساعدة أحد المتطوعين، فحياك بأدب قائلاً: "شكراً لأنك تكبدت عناء قطع كل تلك المسافة من أجل الحضور"، ومد يده ليصافحك، فصافحته وأنت تحاولين أن تخفي انفعالك وقلت بسرور: "أهلاً بك". تحدث المدير عن كتابك إلى أن أوشك الحفل أن يبدأ، فابتسمت وأومأت برأسك إلى هذا الرجل المكفوف الذي قرأ كتابك مع أنه لا يستطيع أن يرى ابتسامتك أو إيماءتك. كان ذلك اليوم هو اليوم العالمي لكتابة بريل، أي عطلتهم. عندما دخلت المدرج، وجدت أربعمئة شخص بانتظارك، بعضهم لا يزالون يدخلون بمساعدة المتطوعين، ورأيت نساء ورجالاً من كل الأعمار ولكن، لا أطفال. بدأ الحفل واعتلى بعض الأشخاص المنصة واحداً تلو الآخر وألقوا خطابات قصيرة، وتلقى بعض الأشخاص شهادات تقدير. وبعد ذلك، تحدثوا عن كتابك، فذهبت إلى المقدمة لتتلقي نسختك الخاصة منه بكتابة بريل، فوجدت أن كتابك الواحد أصبح مكوناً من أربعة مجلدات بكتابة بريل، وبلغت سماكة النسخ التي أعطاك إياها المدير ضعف سماكة كتابك، ولكنها بدت خفيفة الوزن. صفقوا لك وأنت عائدة إلى مقعدك والكتب في يديك. وبينما كان حفل توزيع الجوائز لتهنئة القراء مستمراً، فتحت أحد المجلدات، فأصابك الارتباك على الفور، إذ إنك لم تري سوى عدد هائل لا نهاية له من النقط على الورق الأبيض، وتخيلت نفسك تسقطين في حفرة سوداء مظلمة أو تمشين على درج تحفظينه عن ظهر قلب وتفكرين في شيء آخر ففوّتِّ درجة وتدحرجت نحو الأسفل. لقد ملأت كتابة بريل الورق الأبيض، وكل حرف منها عبارة عن نقطة مثقوبة بالإبرة. إنها في نظرك كلمات مبهمة تعجزين عن فك شيفرتها. قلت لأمك إنك قلبت الصفحة الأولى والثانية والثالثة ثم أغلقت الكتاب، وعندما لاحظت أن

أمك تتابع قصتك باهتمام، تابعت كلامك.

في نهاية الحفل، وقفت أمام الجميع وتحدثت عن عملك. وعندما وضعت الكتاب على المنصة ونظرت إلى الجمهور، استولى عليك الارتباك، إذ لم تعد لديك أيّ فكرة عما يجب أن تركزي عليه وأنت واقفة أمام أربعمئة شخص لا يبصرون.

فسألتك أمك قائلة: "إذاً، ماذا فعلت؟".

قلتِ لها إن الخمسين دقيقة التي مُنِحتِ إياها بدت ممتدة إلى ما لا نهاية؛ إذ إنك من نوع الأشخاص الذين ينظرون إلى عيني المرء عندما يتحدثون إليه مباشرة. فكنت أحياناً عندما تحدثين شخصاً ما تسردين عليه القصة كاملة أو ربما نصفها حسب الشعور الذي توحي به إليك عيناه. وكانت نظرات بعض العيون تدفعك للبوح بقصص لم تطلعي أحداً عليها قط. تساءلت في سرّك: تُرى هل تعرف أمي أنني هكذا؟ بينما أنت واقفة أمام أربعمئة شخص من المكفوفين، لم تعرفي إلى من تنظرين أو من أين تبدأين الكلام. نظرت إليهم، فرأيت بعض العيون مغمضة وبعضها نصف مفتوحة وأخرى مخفية خلف نظارات شمسية. وبدت بعض العيون تحدق من خلالك ومن خلال انفعالك. وبالرغم من أن كل العيون اتجهت نحوك، فقد هيمن الصمت عليك أمام عيون لا تستطيع أن تراك. وتساءلت عن الهدف من التحدث عن كتابك أمام هذه العيون التي لا ترى. ولكن، لم يكن من اللائق أن تتحدثي عن أشياء أخرى أو تسردي عليهم قصصاً من حياتك، فشعرتِ أن الحيرة قد غلبتك. فكان أول شيء قلته عبر المايكروفون هو: "عمّ ينبغي لي أن أتحدث؟"، فانفجروا جميعاً ضاحكين. ترى هل ضحكوا لأنهم ظنوا أنك تعنين أنك تستطيعين أن تقصي أيّ قصة؟ أو ليشعروك براحة أكبر؟ فأجاب رجل في منتصف العقد الرابع من عمره: "ألم

تأتي للتحدث عن كتابك؟". رأيت عيني الرجل موجهتين نحوك مع أنهما مغمضتان، فركزت عليهما وبدأت تتحدثين عن الإلهام الكامن وراء كتابك، والأشياء التي اختبرتها عاطفياً خلال كتابته، والآمال التي ملأتك في نجاح الكتاب بعد أن فرغتِ من كتابته. فأصابتك الدهشة لما فعله أولئك الناس، إذ إنهم، من بين كل من قابلتهم، أصغوا إلى كلماتك بأشد اهتمام. وأوحت إليكِ وضعيات أجسادهم درجة إصغائهم اليقظ. فقد راح أحدهم يومئ برأسه والآخر يدفع قدمه إلى الأمام وغيره يتكئ باتجاه الشخص الذي أمامه. بالرغم من أنك لم تكوني قادرة على فهم كلمة واحدة من كتابتهم، فقد قرأوا كتابك وطرحوا أسئلة حوله وشاركوك أفكارهم. قلت لوالدتك إنهم قد أفصحوا عن مشاعرهم الإيجابية حيال الكتاب أكثر من أي شخص آخر قابلته في حياتك، فقالت والدتك التي راحت طوال الوقت تصغي إليك بهدوء: "ومع ذلك، فقد قرأوا كتابك"، فالتزمتِ الصمت، ثمّ طلبت منك والدتك أن تتابعي كلامك، فواصلت سردك لأحداث ذلك اليوم.

عندما توقفت عن الكلام، رفع أحدهم يده وطلب أن يطرح عليك سؤالاً، فسمحت له بذلك. قلت لأمك: "بالرغم من أنه أعمى فقد قال إنه يهوى السفر"، وملأك هذا دهشة. تُرى أين يستطيع شخص أعمى أن يسافر؟ قال إنه قرأ رواية ألفتها قبل وقت طويل تدور أحداثها في البيرو، وفيها تسافر البطلة إلى مدينة ماتشو بيكتشو الأثرية. وكان هناك مشهد يسير فيه أحد القطارات إلى الخلف، فتمنى أن يركب ذلك القطار نفسه في البيرو، وسألك إن كنت قد ركبته بنفسك. إنك تعانين من ذاكرة ضعيفة لدرجة أنك غالباً ما تفتحين باب الثلاجة وتنسين لماذا فتحته، وتقفين هناك وأنت تشعرين بالبرودة تغمرك إلى أن تستسلمي وتغلقي الباب. ومع ذلك، فقد بدأت تتحدثين عن البيرو التي سافرت إليها

قبل أن تؤلفي ذلك الكتاب، وتحدثت عن مدينتي ليما وكوزكو التي مُنِحَت لقب سُرَّة العالم ومحطة سان بيدرو التي ركبت منها ذلك القطار متوجهة إلى ماتشو بيكتشو فجراً. ووصفت لهم ذلك القطار الذي كان يبدأ بالتقدم إلى الأمام ثم يتراجع إلى الخلف مرات عدة قبل أن ينطلق إلى ماتشو بيكتشو. قلت لوالدتك: "لقد تدفقت من فمي أسماء الأماكن والجبال التي كنت قد نسيتها". بينما أنت تشعرين بالصداقة من عيون لم ترَ من قبل، تلك العيون التي بدت متفهمة ومتقبلة لأي عيب فيك، تفوهت بأمر لم تذكريه قط عن ذلك الكتاب. فسألتك أمك: "ما هو ذلك؟".

"قلت إنني لو أردت أن أؤلفه ثانية لما ألفته بالطريقة نفسها".

فسألتك: "أمن المهم إلى هذا الحد أن تذكري هذا؟".

"نعم، لأنني كنت أرفض الأمر الواقع يا أمي".

حدقت إليك أمك في الظلام وقالت: "لماذا تخفين تلك الكلمات؟ يجب أن تعيشي حرة وأن تبوحي بمشاعرك الحقيقية"، ثمّ سحبت يدها من بين يديك وربتت على ظهرك. لقد اعتادت أن تغسل وجهك وأنت صغيرة بالطريقة نفسها بيديها الكبيرتين الحانيتين. قالت لك: "إنك تروين قصصاً جيدة جداً".

"أنا؟".

أومأت أمك برأسها وقالت: "نعم، لقد أعجبتني".

لقد أحبت قصتي؟ شعرت بالتأثر لكلامها لأنك أدركت أن ما قلته ليس جيداً إلى هذا الحد، إذ إنه مجرد حديث بينك وبينها عن تجربتك في مكتبة بريل. بعد أن غادرت بيتك إلى المدينة للمرة الأولى، أصبحت غالباً ما تتحدثين إليها وكأنك غاضبة منها وتردين عليها بجفاء قائلة: "ما الذي تعرفينه يا أمي؟ لماذا قد تودين فعل هذا كأم؟ ما الذي

تريدين معرفته؟". أدركت أن أمك لم تعد تملك القدرة على توبيخك. فإن سألتك قائلة: "لماذا تريدين الذهاب إلى هناك؟"، أجبتها باقتضاب: "لأنه علي الذهاب". وإن توجب عليك أن تستقلي طائرة لتشرفي على نشر كتابك في بلد آخر أو لحضور مؤتمر، أجبتها ببرود إن سألتك عن سبب سفرك قائلة: "لأن هناك عملاً علي أن أتولى إنجازه". طلبت منك أمك أن تتوقفي عن السفر بالطائرة قائلةً: "إن وقع حادث، لقي مئتا شخص حتفهم"، فأجبتها: "هناك عمل علي إنجازه". فإن سألتك أمك: "لماذا عليك القيام بكل هذا العمل؟" أجبتها بفظاظة: "إنني أعمل يا أمي". لقد وجدت صعوبة في مشاطرتها شؤون حياتك الخاصة التي لا علاقة لها بحياتها. ومع ذلك، فعندما تحدثت إليها عن شعورك بالضياع لرؤية نسخة كتابك بلغة **بريل** والفزع المتنامي الذي تملكك وأنت واقفة أمام أربعمئة شخص من المكفوفين، أصغت إليك بانتباه وكأن صداعها قد زال. متى كانت آخر مرة حدثت فيها أمك عن شيء حدث لك؟ في وقت ما، بدأت المحادثات بينك وبين والدتك تتقلص وتزداد بساطة ولا تتمّ وجهاً لوجه بل عبر الهاتف. وأصبحت كلماتك كلها تقتصر على سؤالك إياها إن كانت قد أكلت طعامها، وعن صحتها، وصحة الوالد، وأن تكون حذرة كي لا تصاب بالبرد، وأنك ترسلين إليها المال. وكانت والدتك تقول لك إنها أعدت طبق الخضار وأرسلت إليك شيئاً منه، وإن أحلاماً غريبة تراودها، وإنها أرسلت إليك الأرز أو معجون الفاصولياء المخمر، وإنها أعدت لك بعض الأعشاب الطبية وتطلب إليك ألا تقفلي هاتفك المحمول لأن الساعي قد يتصل بك قبل أن يوصل كل هذه الطرود.

* * *

ودعت الأشخاص في مكتبة **بريل** وأنت تحملين كيساً ورقياً

يحوي نسختك من الكتاب بلغة بريل. وكان لا يزال أمامك ساعتا فراغ قبل رحلة العودة، فتذكرت أنك نظرت عبر النافذة وأنت على المنصة مشيحة بوجهك عن أولئك الأشخاص المكفوفين ورأيت المرفأ المليء بالقوارب. ففكرت في سرّك: حسناً، بما أن هناك مرفأ، فلا بد من وجود سوق للسمك. فأوقفت سيارة أجرة وطلبت من السائق أن يقلك إلى هناك. لطالما أحببت زيارة السوق عندما تسافرين إلى أحد الأماكن للمرة الأولى. وجدت سوق السمك تموج بالصخب ورأيت شخصين خارج السوق يقطعان سمكة كبيرة يكاد حجمها يبلغ حجم سيارة. فسألت إن كانت سمكة تونا لأنها كبيرة جداً، ولكن البائع قال إنها من نوع سمك الشمس المحيطي. وهنا، تذكرت شخصية في كتاب قرأته، ولكنك لم تتذكري عنوانه. كانت تلك الشخصية تعيش في بلدة مطلة على البحر، وقد اعتادت أن تذهب إلى الحوض المائي الكبير في المدينة كلما عانت من مشكلة لتتحدث إلى أسماك الشمس وهي تسبح في أعماقه. واشتكت من أن والدتها قد أخذت كل مدخرات حياتها وهربت مع شاب أصغر منها سناً إلى مدينة أخرى، ولكنها في النهاية قالت: "ولكنني أفتقد إلى أمي. إنك الوحيدة التي أستطيع أن أقول لها هذا، يا سمكة الشمس". فسألت: "حقاً؟ هل اسمها سمكة الشمس؟"، فقال لك البائع: "إننا نسميها كذلك أيضاً". وحالما سمعت كلامه، تلاشى منك كل التوتر الذي شعرت به في المكتبة. لماذا فكرت في أمك وأنت تتجولين بين أكوام السمك الذي يساوي ثلث ثمنه في سول؟ رأيت أخطبوطاً حياً يبلغ حجم رأسه حجم رأس إنسان، وحيوان أذن البحر الطازج، وسمك الغمد وسمك الإسقمري والسرطان. تُرى، هل جعلتك سمكة الشمس تفكرين في والدتك للمرة الأولى في سوق السمك؟ هل أحيا

ذلك في ذاكرتك الوقت الذي كنت تنظفين فيه السمك مع أمك في البيت بجانب البئر؟ كنت تنظرين إلى يدي والدتك المتجمدتين وهما تقشران الموادّ العالقة باللحم. توقفت عند متجر لديه أخطبوطات كبيرة الحجم معلقة مُدلاّة من السقف، فاشتريت أخطبوطاً حياً ثمنه خمسة عشر ألف وان، واشتريت بعضاً من حيوان أذن البحر بالرغم من أنه من تربية المزارع وأُطعِم أنواعاً عدة من أعشاب البحر. وعندما قلت إنك ذاهبة إلى سول، عرض عليك البائع أن يضع لك مشترياتك في صندوق ثلج مقابل ألفي وان آخرَين. وبينما أنت خارجة من سوق السمك، أدركت أنه لا يزال أمامك وقت طويل قبل رحلتك. فحملت كتاب بريل بيدٍ وصندوق الثلج باليد الأخرى وركبت سيارة أجرة، وقلت للسائق إنك تريدين أن تذهبي إلى الشاطئ. فاستغرق الوصول إلى هناك ثلاث دقائق فقط. كان الشاطئ في شهر تشرين الثاني فارغاً باستثناء زوجين في موعد غرامي. وبينما أنت تمشين باتجاه الماء، كدت تقعين مرتين، فجلستِ على الرمل الناعم وحدقت إلى البحر. وبعد قليل، التفت لتنظري إلى المحال والأبنية التي تواجه المحيط عبر الشارع، وفكرت في أن الناس الذين يعيشون هناك يستطيعون أن يأتوا للسباحة في ليلة حارة ثم يعودوا إلى البيت ليأخذوا حماماً. أخرجت كتاب بريل من الكيس الورقي وأنت شاردة الذهن وفتحته، فلمعت النقط على الصفحة البيضاء في ضوء الشمس.

بينما أنت تمررين إصبعك على طول كتابة بريل التي يتعذر فهمها في الشمس، خطر ببالك أن تتذكري من علمك القراءة؛ إنه شقيقك الثاني. كنتما تستلقيان على بطنيكما على الشرفة في البيت القديم ووالدتك جالسة بجانبكما. كان شقيقك شخصاً لطيفاً لا يحب افتعال

المشاكل كبقية إخوتك، ولم يستطع أن يخالف أوامر أمك بأن يعلمك كيفية القراءة. فأرشدك وملامح وجهه موحية بالملل أن تكتبي الأرقام وأحرف العلة والأحرف الساكنة مرة تلو أخرى. حاولت أن تكتبي بيدك اليسرى، ولكنّ أخاك ضرب ظاهر يدك بمسطرة من الخيزران تنفيذاً لأوامر أمك. ومع أنه من الطبيعي أكثر بالنسبة إليك أن تفضلي يدك وقدمك اليسريين، فقد قالت لك أمك إنك ستبكين على الكثير من الأمور في الحياة إن استخدمت يدك اليسرى. فإن استخدمت يدك اليسرى لغرف الأرز في المطبخ، انتزعت أمك المغرفة من يدك ووضعتها بيدك اليمنى. وإن حاولت أن تستخدمي يدك اليسرى رغماً عنها، انتزعت المغرفة منك وضربت يدك اليسرى وهي تقول: "لماذا لا تصغين إليّ؟"، فأصبحت يدك اليسرى متورمة. وبالرغم من ذلك، فعندما لم يكن أخوك يراقبك، أعدت قلم الرصاص بسرعة إلى يدك اليسرى ورسمت دائرتين فوق بعضهما بعضاً لتكتبي رقم ثمانية باللغة الإنكليزية (8). فقال لك أخوك الذي أدرك على الفور أنك رسمت دائرتين فوق بعضهما بعضاً حالما رأى الرقم الذي كتبته، أن تمدي راحتي يديك وصفعهما بالمسطرة. وبينما أنت تتعلمين كيفية القراءة، كانت أمك تتأملك وأنت جاثمة على الشرفة بينما هي تصلح الجوارب أو تقشر الثوم. وعندما تعلمت أن تكتبي اسمك واسم أمك وتقرأي الكتب بتردد قبل أن تلتحقي بالمدرسة، أشرق وجه أمك كنبتة النعناع. فتطابقت صورة ذلك الوجه مع كتابة بريل التي تعجزين عن فك رموزها.

نهضت عن الرمل وأسرعت إلى الطريق من دون أن تزعجي نفسك بنفض الرمل عن ثيابك. فقد قررت ألا تستقلي الطائرة إلى سول. وبدلاً من ذلك، أخذت سيارة أجرة إلى تايجون ثم ركبت قطاراً إلى تشونغ

أب، وأخذت تفكرين طوال الوقت في أنك لم تري وجه أمك طوال فصلين كاملين.

* * *

## تتذكرين صفاً دراسياً من الماضي البعيد

في ذلك اليوم، راح ستون ولداً أو نحو ذلك يملأون استمارات الالتحاق بالمدارس المتوسطة. ولو لم تقدمي طلباً في ذلك اليوم بالذات، لما سُمِح لك بالالتحاق بالمدرسة الإعدادية. لم تدركي فعلياً ما يعنيه ألا تذهبي إلى المدرسة الإعدادية، إذ إنك كنت تشعرين بالذنب.

ففي الليلة السابقة، صاحت والدتك في وجه أبيك وهو طريح الفراش بسبب المرض، وقالت له: "إننا لا نملك أي شيء في حياتنا، فكيف ستعيش تلك الفتاة في العالم إن لم نرسلها إلى المدرسة؟". نهض والدك من السرير وغادر المنزل. فأخذت والدتك طاولة منخفضة عن الأرض وألقتها في الباحة بإحباط صائحةً: "ما الفائدة من تكوين أسرة إن لم يكن المرء يستطيع حتى أن يرسل أطفاله إلى المدرسة؟ أستطيع حتى أن أكسرها كلها". تمنيت لو تُهدِّئ أمك من روعها. فأنت لم تكوني لتمانعي عدم الذهاب إلى المدرسة، ولكن أمك لم تهدأ بمجرد رمي الطاولة، ففتحت باب القبو وأغلقته بعنف وانتزعت كل الغسيل عن الحبل وجعدته وألقت به على الأرض ثم أتت نحوك وأنت منكمشة بجانب البئر. فأخذت المنديل عن رأسها وقربته من أنفك. وأمرتك قائلة: "نظفي أنفك". استطعت أن تشمي رائحة العرق التي تفوح من منديل والدتك، ولم ترغبي في تنظيف أنفك ولا سيما بذلك المنديل كريه الرائحة، ولكن والدتك ظلت تأمرك بأن تنظفي أنفك بقوة قدر استطاعتك. وعندما ترددت، قالت لك إنك بهذه الطريقة لن تبكي.

أخذت تنظرين إلى أمك وملامح وجهك توحي بأنك على وشك البكاء. كان أسلوبها في منعك من البكاء هو أمرك بتنظيف أنفك. شعرت بأنك عاجزة عن مقاومتها، فنظفت أنفك بالمنديل.

توجهت والدتك إلى المدرسة في اليوم التالي واضعةً المنديل نفسه. وبعد أن تحدثت إلى معلمتك، أتت المعلمة إليك وسلمتك استمارة التحاق بالمدرسة. عندها، رفعت رأسك ونظرت إلى الصف وأنت تكتبين اسمك على الاستمارة ورأيت أمك تراقبك من القاعة. وعندما التقت عيناك بعينيها، خلعت المنديل عن رأسها ولوحت لك وهي تبتسم بسعادة.

عندما حان الوقت لدفع رسوم المدرسة الإعدادية، اختفى الخاتم الذهبي الذي اعتادت أن تضعه حول إصبع يدها اليسرى. لقد كان قطعة المجوهرات الوحيدة التي تملكها أمك. لذا، لم يبقَ حول إصبعها سوى ذلك الأخدود الذي شكّله وضعها للخاتم لسنوات.

* * *

## ظلّ الصداع العنيف يهدّ جسد الوالدة باستمرار

خلال الزيارة التي قمت بها إلى بيت طفولتك، استيقظت ظمآنة في منتصف الليل، فرأيت كتبك تلوح في الظلام. وعندما تهيأت للسفر إلى اليابان لتمضية عام هناك مع يو بين في إجازته، لم تعرفي ما تفعلين بكل كتبك، فأرسلت معظم الكتب التي بقيت لديك لسنوات إلى بيت والديك. وحالما تلقت والدتك الكتب، أفرغت غرفة وعرضتها فيها. وبعد ذلك، لم تحظي قطّ بالفرصة لأن تستعيديها. وفي ما بعد، عندما زرت بيت والديك، أصبحت تستخدمين تلك الغرفة لتبدلي ملابسك أو تخزني حقائبك فيها. وإن مكثت هناك لبعض الوقت، وضعت والدتك

ملاءاتك وفراشك في الغرفة لتنامي فيها.

بعد أن شربتِ الماء، تساءلت إن كانت والدتك نائمة بعمق، ففتحت باب غرفتها بحرص، ولكنك لم تجدي ما يدل على تواجدها هناك. فناديتها: "أمي!"، ولكنك لم تسمعي جواباً، ثمّ تحسست مفتاح النور على الجدار وأضأتِ المصباح، لكن، لم تجدي أمك هناك. أظلمتِ غرفة المعيشة وفتحت باب الحمام، ولكنك لم تجديها هناك أيضاً. ناديت وأنت تفتحين الباب الأمامي وتخرجين إلى الباحة: "أمي! أمي!"، فاخترقت رياح الصباح الباكر الباردة ثيابك. أضأت مصباح الباحة وألقيت نظرة خاطفة على الرصيف الخشبي في المخزن، فرأيت والدتك مستلقية هناك. ركضت نازلة الدرج واقتربت منها، فوجدتها عابسة كما رأيتها في وقت مبكر من اليوم وهي نائمة ويدها على رأسها. كانت حافية القدمين وأصابع قدميها ملفوفة تحتهما ربما من شدة البرد، فتبعثرت من ذاكرتك صورة العشاء البسيط والحديث الذي تبادلتماه عندما تمشيتما حول المنزل. كان ذلك صباح يوم من أيام شهر تشرين الثاني، فأحضرت ملاءة وغطيت أمك بها، ثمّ أحضرت جورباً وألبستها إياه وبقيت بجانبها إلى أن استيقظت.

* * *

فكرت والدتك في استنباط طرائق جديدة لكسب المال غير الزراعة، فأحضرت قالباً خشبياً ووضعته في المخزن، وأصبحت تحضر القمح الكامل الذي تحصده من الحقول وتسحقه وتمزجه في الماء وتضعه في القالب وتعد منقوع القمح. فإن اختمر المنقوع، فاحت رائحته في أرجاء البيت. لم يكن أحد يحب تلك الرائحة، ولكن الوالدة قالت إن هذه رائحة المال. كان هناك منزل في القرية يعدون فيه جبن التوفو، فبدأت الوالدة تحضر لهم منقوع القمح المخمر وهم يبيعونه

بدورهم لمعمل شراب الشعير ويعطون الوالدة المال. أصبحت الوالدة تخفي المال في زبدية بيضاء وتكدس سبع أو ثماني زبادٍ أخرى فوقها وتضعها فوق الخزانة. فأصبحت تلك الزبدية مصرف الوالدة الذي تضع فيه كل مالها. وعندما كنت تحضرين لها قسط المدرسة، كانت تخرج المال من الزبدية وتعده وتضعه في يدك.

* * *

في وقت متأخر من صباح ذلك اليوم، فتحت عينيك ووجدت نفسك مستلقية على الرصيف في المخزن. وأين كانت أمك؟ نظرت حولك، ولم تجديها، ولكنك استطعت أن تسمعي صوت التقطيع في المطبخ، فنهضت ودخلت إلى هناك. رأيت والدتك على وشك أن تقطع حبة لفت كبيرة بيضاء على لوح التقطيع، وبدت الطريقة التي حملت بها السكين غير مستقرة وليست الطريقة التي اعتادت أن تستخدمها لتقطع اللفت إلى شرائح لتعد السلطة بشكل محترف من دون حتى أن تنظر إلى يديها. فقد بدت يد الوالدة التي تمسك السكين غير مستقرة، وظلت السكين تنزلق على حبة اللفت وتسقط على لوح التقطيع، عندها شعرت بأنها على وشك أن تقطع إحدى أصابعها، فناديتها قائلة: "انتظري يا أمي!" وانتزعت السكين من يدها وقلت: "سأقوم أنا بهذا". تقدمت نحو لوح التقطيع، فتوقفت أمك قليلاً ثم تراجعت إلى الوراء. رأيت السلة الحديدية في حوض الجلي وفيه الأخطبوط الميت وقدراً من الستانلس ستيل على موقد الغاز. كانت أمك على وشك أن تضع طبقة من اللفت في قعر القدر، ثم تقوم بطهي الأخطبوط على البخار. فوددت أن تسأليها: أليس من المفترض أن تسلقي الأخطبوط لا أن تطهيه على البخار؟ ولكنك لم تطرحي السؤال. فرتبت والدتك شرائح اللفت في قعر القدر، ثم وضعت الأخطبوط كاملاً ووضعت الغطاء. وكانت هذه

هي الطريقة التي اعتادت أن تطهي بها جميع ثمار البحر.

لم تكن الوالدة معتادة على أكل السمك، ولم تعتد حتى أن تدعو الأسماك بأسمائها المناسبة. إذ إن أسماك الإسقمري والكراكي وغيرهما كلها بالنسبة إلى الوالدة مجرد أسماك. ولكنها كانت تميز بين أنواع البقول. فهناك فاصولياء الكلى وفول الصويا والفاصولياء البيضاء والسوداء. وإن أحضرت الوالدة سمكاً إلى مطبخها، فلا تُعدُّ طبق الساشيمي الياباني المؤلف من قطع السمك النيء أو تعد السمك المشوي أو المدمس، بل اعتادت أن تملحه وتطهيه على البخار فوق طبق من الأرز وتعد صلصة الصويا مع الفلفل الأحمر والثوم والفلفل الأسود. لم تتذوق الوالدة طبق الساشيمي في حياتها قط. وإن رأت الناس يأكلون السمك النيء، رمقتهم بنظرة تدل على الاشمئزاز ولسان حالها يقول: ما الذي يفعلونه؟ لقد أرادت الوالدة التي اعتادت طهي سمك الورنك على البخار منذ كانت في السابعة عشرة من عمرها أن تطهي الأخطبوط بالطريقة نفسها أيضاً. وسرعان ما امتلأ المطبخ برائحة اللفت والأخطبوط. وبينما أنت تراقبين والدتك تطهي الأخطبوط على البخار في المطبخ، خطرت ببالك ذكرى عن سمك الورنك.

لقد اعتاد الناس في مسقط رأس أمك أن يضعوا سمك الورنك على طاولة تقديم القرابين لطقوس الأسلاف. وكانت والدتك تنظم عامها بأكمله حول طقوس الأسلاف التي تقيمها مرة في الربيع ومرتين في كل من الصيف والشتاء. فكانت تجلس بجانب البئر وتنظف سبع سمكات ورنك كل عام إن احتسب المرء احتفال العام الجديد واكتمال القمر. كما اعتادت والدتك أن تشتري سمكاً كبيراً بحجم غطاء المرجل. فإن توجهت والدتك إلى السوق واشترت سمكة ورنك حمراء ووضعتها بجانب البئر، أدركتم أن طقوس الأسلاف قد أوشكت على الحلول.

كان العمل على تنظيف السمك في أثناء طقوس الأسلاف الشتوية عملاً شاقاً، إذ إن المياه تتحول في طقس الشتاء على الفور إلى جليد. كانت يداك تبدوان صغيرتين مقارنة بيدي والدتك القويتين. بعد أن تُحدِث أمك شقاً بالسكين على جلد السمكة بيديها الحمراوين المتجمدتين، كنت تسحبين الأغشية بأصابعك الصغيرة. وبعد ذلك، كانت والدتك تُحدِث شقاً آخر في السمك ثم تكرران كل العملية مجدّداً. إن هذا مشهد نموذجي من مشاهد الشتاء تجلسين فيه أنت وأمك القرفصاء بجانب البئر المغطاة بالجليد الرقيق وأنتما تسلخان جلد السمكة. ظل مشهد تنظيف السمك يتكرر كل عام وكأنه فيلم سينمائي يتكرر مرة تلو أخرى. في شتاء إحدى السنوات، تأملت أمك يديك المتجمدتين وأنت جالسة قبالتها وأعلنت قائلة: "من يأبه إن لم نسلخها". وامتنعت عن سلخ السمكة وأخذت تقطعها إلى أقسام بكل ثقة. وكانت تلك المرة الأولى التي توضع فيها سمكة على طاولة طقوس الأسلاف وجلدها غير مسلوخ. حينها، سأل والدك قائلاً: "ما خطب هذه السمكة؟"، فأجابته والدتك: "إنها السمكة نفسها، ولكن جلدها غير مسلوخ". فدمدمت شقيقة والدتك قائلة: "يجب أن تبذلي المزيد من العناية للطعام المقدم لطقوس الأسلاف"، فأجابت والدتك قائلة: "إذاً، حاولي أن تسلخيها بنفسك". في ذلك العام، بدأ الجميع يذكرون أمر الجلد غير المسلوخ كلما طرأ حادث سيئ. فعندما لم تثمر شجرة البرسيمون، وعندما أصيب أحد إخوتك وهو يلعب بالعصي بعَصًا في عينه، وعندما دخل والدك إلى المستشفى، وعندما تشاجر أبناء عمك، راحت عمتك تتذمر أن ذلك حدث لأن والدتك لم تزعج نفسها بسلخ جلد السمكة من أجل طقوس الأسلاف.

وضعت أمك الأخطبوط المطهي على البخار على لوح التقطيع

وحاولت أن تقطعه إلى شرائح، ولكن السكين أخذت تنزلق بالتحديد كما فعلت وهي تقطع اللفت، فقلت لها: "سأفعل أنا ذلك يا أمي"، فأخذت السكين وقطعت الأخطبوط الذي تفوح منه رائحة اللفت وغمست قطعة بصلصة الفلفل الأحمر والخل وقدمتها لأمك، إذ إن هذا هو ما لطالما فعلته من أجلك. في كل مرة، كنت تحاولين أن تلتقطيها من الهواء بعوديك، ولكن والدتك كانت تقول: "إن أكلتها بعوديك، فلن تجدي طعمها لذيذاً. هيا، افتحي فمك". والآن، حاولت أمك أن تأخذها بعوديها، فقلت لها: "إن فعلت ذلك، فلن تجدي طعمها لذيذاً. هيا، افتحي فمك". ودفعت قطعة الأخطبوط في فمها، ثمّ تذوقت واحدة أيضاً، فوجدت لحم الأخطبوط دافئاً وطرياً، وتساءلت في سرّك قائلة: أخطبوط على الفطور؟ ولكنك ووالدتك أكلتماه بأصابعكما وأنتما واقفتان في المطبخ. وبينما أنت تمضغين لحم الأخطبوط، راقبت يد أمك وهي تحاول أن تلتقط قطعة، ولكنها أوقعتها، فوضعت في فمها قطعة. وسرعان ما تخلت عن محاولة أكل الأخطبوط بنفسها وانتظرتك لتضعي القطع في فمها بنفسك. بدت يدها غير مستقرة، فقلت لها وأنت تأكلين الأخطبوط: "يا والدتي"، وكانت تلك المرة الأولى التي تنادينها فيها والدتي، "لنذهب إلى سول اليوم"، فأجابت والدتك قائلة: "لنذهب إلى الجبال".

"الجبال؟".

"نعم، الجبال".

"أهناك طريق يؤدي إليها من هنا؟".

"لقد شققت طريقاً إلى هناك بنفسي".

"لنذهب إلى سول ونتوجه إلى المستشفى هناك".

"لاحقاً".

"متى؟".

"عندما ينتهي امتحان دخول ابنة أخيك إلى المدرسة"، وكانت تشير بذلك إلى امتحان ابنة **هايونغ تشول**.

"في وسعك أن تذهبي إلى المستشفى معي بدلاً من الذهاب مع **هايونغ تشول**".

"إنني بخير، وسيكون كل شيء على ما يرام. سأذهب إلى الطبيب الصيني، وسأحصل على بعض العلاج الفيزيائي أيضاً لأنهم قالوا إن هناك مشكلة ما بعنقي".

لم تتمكني من إقناع أمك بالذهاب إلى المستشفى، إذ إنها ظلت مصرة على الذهاب لاحقاً. وبعد ذلك، سألتك عن اسم أصغر بلد في العالم.

أصغر بلد؟ حدقت إلى أمك وكأنها غريبة تسألك سؤالاً عشوائياً: ما هو أصغر بلد في العالم؟ وطلبت منك أمك أن تحضري لها مسبحة من خشب الورد إن ذهبت إلى ذلك البلد.

"مسبحة من خشب الورد؟".

"نعم، إنها مسبحة مصنوعة من خشب الورد"، ونظرت إليك بوهن.

"هل أنت بحاجة إلى مسبحة للتضرّع؟".

"كلا، ولكنني أريد مسبحة من ذلك البلد بالذات"، أمسكت أمك عن الكلام وأطلقت نفساً عميقاً ثم قالت: "إن ذهبت إلى هناك، فأحضري لي واحدة".

خيم الصمت عليك.

فأضافت أمك قائلة: "لأنك تستطيعين الذهاب إلى أي مكان".

انتهت محادثتك مع أمك عند هذا الحد، ولم تقل لك كلمة

أخرى في المطبخ. وبعد أن انتهيتما من تناول وجبة فطوركما المؤلفة من الأخطبوط المطهي على البخار، غادرت ووالدتك المنزل، فعبرتما بعض الحقول في الجبال التي تحيط بالقرية، ومشيتما فوق سلسلة من التلال. وبالرغم من أن ذلك لم يكن طريقاً يسلكه الناس عادة، فقد بدا الممر واضحاً. لقد شكلت الطبقة السميكة من أوراق البلوط على الأرض بساطاً تحت قدميك. وأخذت الأغصان التي تمتد إلى الطريق تلمس وجهك، فبدأت أمك التي تقدمتك في المشي تبعد الأغصان عن الطريق، وتركتها بعد أن عبرت، وطار طير محلقاً في السماء.

"هل تأتين إلى هنا كثيراً؟".

"نعم".

"مع من؟".

"وحدي. فلا أحد يرغب في الحضور معي".

هل كانت أمك تعبر هذا الطريق وحدها حقاً؟ لم يعد في وسعك فعلاً أن تقولي إنك تعرفين أمك. لقد كانت شدة الظلام في هذا الطريق حالكة لدرجة لا تسمح معها بأن يمشي فيه أحد وحيداً. وفي بعض الأجزاء، ازداد الخيزران كثافة لدرجة لم تعودي معها تستطيعين رؤية السماء.

"لماذا تمشين هنا وحدك؟".

"لقد أتيت إلى هذا المكان مرة بعد وفاة خالتك، فظللت أعود إليه مراراً".

بعد قليل، توقفت أمك عند قمة إحدى التلال، وعندما اقتربت منها ونظرت إلى حيث تنظر، صحت قائلة: "آه، إنه ذلك الممر!"؛ لقد غاب ذلك الممر عن ذاكرتك تماماً، ولكنك تذكرت الآن أنه طريق مختصر يؤدي إلى بيت جدتك الذي اعتادت أن تصطحبك إليه أمك

وأنت صغيرة. وبالرغم من أنهم شقوا طريقاً كبيراً يمر عبر القرية، فقد ظل الناس يسلكون هذا الطريق بين الجبال. لقد سلكت هذا الطريق مرة في أحد الأيام بينما انهمكت جدتك بالتحضير لطقوس الأسلاف وهناك دجاجة حية تسير خلفك معلقة بحبل. وبينما كنت تشقين طريقك، أفلتِّ الحبل وأضعت الدجاجة. وبالرغم من أنك بحثت عنها طوال الوقت، فلم تتمكني من العثور عليها. ترى أين ذهبت تلك الدجاجة؟ ترى هل تغير الطريق كثيراً؟ كنت تستطيعين السير في هذا الطريق وأنت مغمضة العينين، ولكنك الآن، لولا التلة لما عرفت أنه الممر نفسه. وقفت أمك هناك متأملة المكان الذي بني فيه بيت والدتها في الماضي. لم يعد أحد يعيش هناك بعد الآن. لقد كانت تلك القرية تأوي في ما مضى خمسين عائلة، ولكن جميع سكانها انتقلوا من منازلهم. لا تزال بعض المنازل الفارغة على حالها ولم تتهدم، ولكن الناس لم يعودوا يأتون إلى هذه القرية بعد الآن. ترى هل ذهبت أمك إلى هناك بمفردها لتستعيد ذكرى هذه القرية الخاوية التي ولدت فيها؟ أحطت خصر أمك بذراعك واقترحت عليها مجدّداً أن تأتي معك إلى سول، ولكنّها لم تجب، وبدلاً من ذلك، أحضرت الكلب. لقد شعرت بالفضول بادئ الأمر عندما لم تجدي الكلب في بيته، ولكن لم تسنح لك الفرصة أن تسألي عنه.

عندما أتيت إلى البيت في الصيف قبل عام من الآن، رأيت كلباً مربوطاً بجانب المخزن وهو يتصبب عرقاً، وكانت سلسلته قصيرة جداً لدرجة أنك شعرت أن الكلب اللاهث غير القادر على الابتعاد عن الشمس سيسقط ميتاً في أيّ لحظة. عندما طلبت من أمك أن تحل وثاق الكلب، قالت لك إنها إن فعلت ذلك، فسيخشى الناس الاقتراب

والمرور بجانب البيت. كيف طاوعها قلبها أن تربط الكلب هكذا ولا سيما في الريف؟ لقد تجادلت مع أمك بسبب الكلب حالما وصلت إلى البيت من دون أن تزعجي نفسك حتى بإلقاء التحية. وقلت لها: "لماذا تتركين الكلب مربوطاً هكذا؟ دعيه يتجول"، ولكن والدتك أصرت قائلة: "لا أحد حتى في الريف يترك كلبه يتجول في الأنحاء. إن الجميع يربطون كلابهم بالسلسلة وإلا ضاعت"، فأجبتها بسرعة قائلة: "إذاً، يجب عليك أن تشتري سلسلة أطول. إن ربطته بهذه السلسلة القصيرة، فكيف يفترض بالكلب أن يتحمل هذه الحرارة؟ هل تعاملينه هكذا لأنه لا يستطيع أن يتكلم ويدافع عن نفسه؟"، فقالت أمك إن هذه هي السلسلة الوحيدة في البيت، وهي السلسلة نفسها التي استخدمتها للكلب السابق، فقلت لها: "إذاً، لِمَ لا تذهبين وتشترين واحدة أخرى؟". ومع أنك حضرت إلى البيت بعد غياب طويل، فقد قدت سيارتك عائدة إلى البلدة قبل أن تدخلي المنزل واشتريت سلسلة طويلة جداً، حيث إنه أصبح في وسع الكلب أن يتجول في الباحة المجاورة. وعندئذٍ، انتبهت أن بيت الكلب صغير جداً، فتوجهت إلى الخارج مجدّداً وأنت تقولين إنك ستشترين بيت كلب جديداً، ولكن أمك منعتك من ذلك وأصرت على أن هناك نجاراً في القرية المجاورة، وأنها ستطلب منه أن يصنع بيتاً جديداً للكلب. إذ لم تستطع أمك أن تدرك السبب الذي يدفع المرء لإنفاق المال ثمناً لبيت حيوانٍ. قالت: "هناك قطع كثيرة من الخشب في كل مكان، وكل ما يجب على المرء فعله هو أن يثبتها بالمسامير من هنا وهناك. وتريدين أن تدفعي ثمن ذلك؟ لا بد من أنك تملكين الكثير من المال الفائض عن حاجتك". عندما غادرت إلى المدينة، أعطيتها شيكاً بملغ عشرين ألف وان وطلبت منها أن تعدك بأن تصنع للكلب بيتاً كبيراً. فوعدتك أمك بأن تفعل ذلك. وعندما عدت إلى سول، اتصلت

بها مرات عدة لتتأكدي من أنها طلبت من النجار صنع بيت للكلب. وبالرغم من أنه كان بمقدورها أن تكذب، فقد قالت: "سأفعل ذلك. سأقوم به قريباً". وعندما سمعت الجواب نفسه للمرة الرابعة، ثارت مراجل غضبك.

"لقد أعطيتك المال ثمناً لبيت الكلب وكل شيء آخر. إن الريفيين مريعون. ألا تشعرين بالأسى لحال ذلك الكلب؟ كيف يفترض به أن يعيش في ذلك المكان الضيق ولا سيما في هذه الحرارة؟ هناك قاذورات في الداخل، وقد داس المخلوق المسكين عليها كلها لأنك لا تتكبدين عناء إزالتها. كيف يستطيع كلب كبير كهذا أن يعيش في هذا المكان الصغير؟ إن لم تودي فعل ذلك، فاتركيه يتجول بحرية في الباحة! ألا تشعرين بالأسى لحال ذلك الكلب؟".

ساد الصمت في الجهة المقابلة، وبدأت تشعرين بالندم لقولك إن الريفيين مريعون.

انطلق صوت أمك الغاضب عبر الهاتف وهي تقول: "إنك لا تأبهين سوى لأمر ذلك الكلب وليس لأمر والدتك؟ أتخالين أمك من النوع الذي يسيء معاملة الكلاب؟ لا تملي عليّ ما يجب أن أفعله! سأربي كلبي بطريقتي الخاصة!"، وقطعت أمك الاتصال قبلك.

لطالما كنت أنت من تنهين الاتصال بأمك أولاً، قائلةً لها إنك ستتصلين بها لاحقاً ثم لا تتصلين؛ إذ لم يكن لديك متسع من الوقت لتجلسي وتصغي إلى كل الأشياء التي تريد أمك قولها لك. لقد أنهت أمك الاتصال، وكانت تلك المرة الأولى التي يثور فيها غضب أمك في وجهك منذ غادرت المنزل، إذ إن أمك اعتادت دائماً أن تعتذر لك وهي تعترف بأنها أرسلتك للعيش مع هايونغ تشول لأنها لم تستطع أن تقدم لك الرعاية الكافية. لطالما ابتدعت أمك كل الأعذار لتطيل

المكالمة معك عندما تتصلين بها، وبالرغم من أنها أنهت المكالمة معك، فقد خاب أملك من طريقة معاملتها للكلب وتملكتك الحيرة. كيف أصبحت أمك هكذا؟ لقد اعتادت أن تعتني بكل الحيوانات في البيت. وعندما كانت تأتي إلى سول للإقامة لمدة طويلة، كانت تصر بعد ثلاثة أيام على العودة إلى البيت لإطعام الكلب. كيف يمكن أن تصبح شخصية غامضة إلى هذا الحد الآن؟ لقد أزعجك أن تصبح أمك امرأة عديمة الإحساس.

بعد بضعة أيام، اتصلت بك أمك وقالت: "لم تكوني هكذا من قبل، ولكنك أصبحت باردة. فعندما تنهي أمك الاتصال معك بهذه الطريقة، يفترض بك أن تعاودي الاتصال بها".

لم يكن عنادك سبب عدم اتصالك بها، ولكن لم يتوفر لديك متسع من الوقت لتفكري في الأمر طوال تلك المدة. فقد تذكرت مرات عدة في اليوم كيف أنهت أمك الاتصال بغضب وفكرت في أنه ينبغي لك أن تتصلي بها، ولكنك لسبب أو لآخر أخذت تؤجلين الاتصال بها إلى آخر لائحة مهامك.

قالت أمك بغضب: "هل كل المثقفين هكذا؟"، وقطعت الاتصال مرة أخرى.

بحلول مهرجان حصاد اكتمال القمر، ذهبت إلى بيت والديك، ولاحظت وجود بيت كلب كبير بجانب المخزن، ورأيت طبقة ناعمة من القش مفروشة على الأرض بجانبه.

* * *

بينما كانت أمك واقفة بجانبك على التلة، بدأت تتحدث قائلة: "في شهر تشرين الأول، وبينما أنا أغسل الأرز في المغسلة لأعد الإفطار، شعرت بشخص ما يربّت على ظهري. وعندما التفت، لم أجد

أحداً. واستمر هذا الوضع لثلاثة أيام، فكنت أشعر بشخص ما يربّت على ظهري وكأنه يستدعيني، ولكنني عندما نظرت لم أرَ أحداً. في اليوم الرابع، وحالما استيقظت، ذهبت إلى الحمام، فوجدت الكلب مستلقياً بجانب المرحاض. لقد استشطت غضباً مني العام الماضي وقلت إنني أسيء معاملة الكلب، ولكنني وجدت ذلك الكلب يتجول حول السكك الحديدية وجلده مليء بالجرب، فشعرت بالأسى لحاله، ولهذا أحضرته إلى البيت وربطته ومنحته الطعام. ولو لم أربطه، لذهب إلى مكان لا أعرفه ولربما قبض عليه أحدهم وأكله... في ذلك اليوم، لم يُبدِ الكلب أيّ حركة. في البداية، ظننته نائماً، ولم يتحرك حتى عندما وكزته، فاكتشفت أنه ميت. كان يأكل جيداً ويهز ذيله في اليوم السابق، ولكنني وجدته ميتاً. لا أعرف كيف تحرر من سلسلته. في البداية، بدا كالهيكل العظمي ثم ازداد وزنه وأصبح وبره لامعاً، وكان ذكياً جداً. فقد كان يستطيع أن يصطاد الخلد"، توقفت أمك عن الكلام لتتنهد، "يقولون إنك إن آويت شخصاً فسيخدعك، ولكنك إن آويت كلباً فسيردّ لك الجميل. أعتقد أن ذلك الكلب قد رحل بدلاً مني".

هذه المرة تنهدتِ.

"في فصل الربيع الماضي، تبرعت ببعض المال لرجلِ دين متجول. فقال لي إن أحد أفراد العائلة سيموت في هذا العام، وعندما سمعت هذا، تملكني القلق. ظللت لعام كامل أفكر في الأمر. اعتقدتُ أنني سأموت. ولكن لأنني كنت أغسل الأرز لأطبخ لنفسي كل مرة، فقد مات الكلب بدلاً مني".

"ما الذي تتحدثين عنه يا أمي؟ كيف تصدقين هذه الترهات وأنت تذهبين إلى دار العبادة؟". فكرت في بيت الكلب الفارغ بجانب المخزن والسلسلة التي على الأرض، ووضعت ذراعك حول خصر أمك.

"لقد حفرت قبراً عميقاً في الباحة ودفنته".

لطالما أحبت أمك أن تبتدع قصصاً خيالية. في ليلة طقوس الأسلاف، اعتادت عمتك وخالاتك أن يأتين وفي حوزتهنّ أوعية من الأرز. كان الطعام في ذلك الوقت شحيحاً، ولهذا، فقد اعتاد الجميع المساهمة في جزء منه. وبعد انتهاء طقوس الأسلاف، كانت أمك تملأ أوعية الأقارب بالطعام ليأخذوه معهم إلى البيت. خلال الطقوس، كانت أمك تصف أوعية الأرز في الجوار ثم تقول إن الطيور طارت وحطّت على الأرز ثم غادرت. وإن لم تصدقيها، قالت: "لقد رأيتها بأمّ عيني! رأيت ستة طيور. إن الطيور تمثّل أسلافنا الذين أتوا ليأكلوا!". كان الآخرون يضحكون، ولكنك ظننت أنك رأيت آثار الخطوات على الأرز الأبيض. في إحدى المرات، ذهبت أمك إلى الحقول في الصباح الباكر وأخذت معها وجبة خفيفة لتأكلها لاحقاً، ولكنها وجدت أن شخصاً آخر سبقها وانحنى على الأرض ليقطع الأعشاب. وعندما سألته عن اسمه، قال إنه عابر سبيل توقف ليقطع الأعشاب لأنه وجد الكثير منها، فقامت أمك والغريب بقطع الأعشاب معاً، وشعرت بامتنان كبير لمساعدته لدرجة أنها شاطرته جزءاً من وجبتها. وأخذا يتحدثان عن هذا وذاك وهما يقطعان الأعشاب ثم افترقا عندما حلّ الظلام. وعندما عادت من الحقول وأخبرت عمتك أنها قطعت الأعشاب مع الغريب، تنشقت عمتك وسألتها عن شكله، فقالت لها: "لقد كان ذلك مالك الحقل، ولكنه مات من ضربة شمس في أحد الأيام وهو يقطع الأعشاب"، فسألتها قائلة: "ألم تخافي من البقاء في الحقول مع رجل ميت طوال اليوم يا أمي؟"، ولكن أمك أجابت غير مبالية: "لم يعترِني أي خوف. فلو توجب علي أن أقطع الأعشاب من الحقل كله بنفسي،

لاستغرق العمل يومين أو ثلاثة أيام، ولهذا، فأنا مسرورة جداً لأنه قدم لي يد المساعدة".

* * *

بعد زيارتك، لاحظت أن صداع أمك ظل يرهقها أكثر فأكثر. وسرعان ما فقدت شخصيتها الودودة وحيويتها، وبدأت تستلقي في كثير من الأحيان، ولم تعد تقوى حتى على التركيز على لعبة الورق التي تحبها، وهي من بين الأشياء القليلة التي تدخل السعادة على قلبها في الحياة، كما أصبحت حواسها واهنة. في أحد الأيام، وضعت أمك قدراً تحوي خرقاً على موقد الغاز لتغسلها ثم انهارت على أرض المطبخ ولم تعد تقوى على النهوض، فتبخر كل الماء واحترقت الخرق، وامتلأ المطبخ بالدخان، ولكن أمك لم تستطع الخروج. وكان المنزل ليحترق بأكمله لولا أن إحدى الجارات أتت لترى ما يجري بعد أن لمحت عاموداً من الدخان يتصاعد في الأفق.

ذات مرة، سألتك أختك التي لديها ثلاثة أولاد سؤالاً بشأن أمك وصداعها المستمر، وقالت بنبرةٍ بطيئة جادة: "هل تعتقدين أن أمك تحب البقاء في المطبخ؟".

"لماذا تسألين؟".

"إنني أعتقد نوعاً ما أنها لا تحب ذلك".

افتتحت أختك الصيدلانية صيدليتها وهي حامل بطفلها الأول، فجالست زوجة أخيك الطفل، ولكنها كانت تعيش بعيداً عن الصيدلية، وبهذا، عاش الطفل مع زوجة أخيك لبعض الوقت، وعملت أختك، التي لطالما عشقت الأطفال، في صيدليتها بالرغم من أنها لم تعد تستطيع أن ترى طفلها إلا مرة في الأسبوع. كانت رؤيتها وهي تفترق عن طفلها

مشهداً يفطر الفؤاد، ولكن أختك عانت الأمرَّين من هذا الوضع على ما يبدو أكثر مما عانى الطفل نفسه. إذ بالرغم من أنه استطاع التأقلم مع الحياة بعيداً عن أمه بشكل جيد جداً، فقد أخذت توصله بالسيارة في نهاية كل عطلة أسبوعية إلى بيت زوجة أخيك ودموعها تبلل خديها وهي تقود سيارتها في طريق العودة إلى البيت. ويوم الاثنين، كانت تقف في الصيدلية وعيناها متورمتان من البكاء. لقد عزّ عليك أن تريها في ذلك الوضع المحزن لدرجة أنك قلت لها: "هل يجب عليك فعلاً أن تقدمي كل هذه التضحيات لتديري صيدلية؟". عندما توجب على زوج شقيقتك أن يسافر إلى **الولايات المتحدة** ويقيم هناك لعامين من أجل التدريب، أغلقت أختك الصيدلية التي استمرت في إدارتها حتى بعد أن أنجبت طفلها الثاني، وقالت إنها تعتقد أن العيش في **أميركا** سيشكل تجربة مفيدة للطفلين. وفكرت أنت في سرّك: نعم من فضلك هوني على نفسك وخذي استراحة. ولكنّ أختك لم تأخذ استراحة قط بعد أن تزوجت. أنجبت أختك طفلها الثالث في **الولايات المتحدة** ثم عادت. والآن، أصبح يتوجب عليها أن تطهي لعائلة مكونة من خمسة أشخاص. قالت أختك إنهم ذات مرة أكلوا مئتي سمكة في شهر واحد.

فسألتها: "مئتي سمكة في شهر واحد؟ ألا تأكلون شيئاً سوى السمك؟"، فقالت أختك إن هذا صحيح.

لقد حدث هذا قبل أن تصل أمتعتهم من **أميركا**. ولم تكن أختك معتادة على البيت الجديد بعد، وكان طفلها الصغير لا يزال رضيعاً، ولهذا فلم يتوفر لديها وقت للذهاب إلى السوق، فأرسلت لها حماتها صندوقاً من السمك الصغير المملح والمجفف، فأكلوا الصندوق كله في غضون عشرة أيام. ضحكت أختك وقالت: "كنت أعد حساء الفول المبرعم وأشوي بعض السمك ثم أعد حساء الزوكيني مع السمك".

وعندما سألت حماتها من أين تستطيع الحصول على المزيد، اكتشفت أنها تستطيع أن تطلبها عبر الإنترنت. ولأنهم أكلوا الكمية الأولى بسرعة كبيرة، فقد طلبت هذه المرة ضعف الكمية.

"عندما وصلت الأسماك، غسلتها وعَدَدتُها، فوجدتها مئتي سمكة. وبدأت أغسل السمك لأتمكن من لفّ أربع أسماك أو خمس في كيس وأضعها في الثلاجة لأسهل على نفسي طهيها. وفجأة أردت أن أرمي بها جميعاً على الأرض"، ثمّ قالت أختك بهدوء: "وفكرت في أمي، وتساءلت عن المشاعر التي تملكت أمك طوال تلك السنوات في ذلك المطبخ القديم وهي تطهي لعائلتنا الكبيرة. أتتذكرين كم كنا نأكل؟ لقد كانت لدينا طاولتان صغيرتان مليئتان بالطعام وقدر أرز كبيرة جداً. وقد توجب عليها دائماً أن تحزم غداءنا بما في ذلك الأطباق الجانبية التي تعدها بأي شيء تستطيع الحصول عليه في الريف... كيف استطاعت أمي أن تنجز كل ذلك العمل يوميًّا؟ كان أحد الأقارب دائماً يقيم لدينا لأن والدنا أكبر إخوته. لا أعتقد أن أمي أحبت العمل في المطبخ على الإطلاق".

لقد فقدت حذرك، إذ إنك لم تفكري في أمك قط بشكل منفصل عن المطبخ. ولطالما اعتبرت أمك هي المطبخ والمطبخ هو أمك، ولم تتساءلي قط إن كانت أمك تحب العمل في المطبخ أم لا؟

* * *

في سبيل كسب المال، اعتادت أمك أن تربي ديدان القز وتخمر الشعير وتساعد في إعداد جبن التوفو. إن أفضل طريقة لكسب المال هي عدم إنفاقه. فكانت أمك توفر كل شيء، وأصبحت في بعض الأحيان تبيع مصباحاً قديماً أو حجرَ كيٍّ مهترئاً أو مرطباناً قديماً لأناس من خارج البلدة تعجبهم هذه الأغراض ويجدونها تحفاً أثرية. وبالرغم

من عدم تعلق أمك بأي من تلك الأشياء، فقد راحت تساوم الزبائن على السعر وكأنها بائعة محترفة. في البداية، ربما بدا على والدتك أنها تخسر، ولكنها كانت بعد ذلك تفوز بما تريده. إذ إنها كانت تصغي إليهم بهدوء ثم تقول: "إذاً، أعطوني فقط هذا المبلغ"، فكانوا يوبخونها قائلين: "مَن قد يدفع هذا المبلغ الكبير ثمناً لهذا الغرض عديم الفائدة؟"، فترد والدتك عليهم بالحجة قائلة: "إذاً، لماذا تتجولون في الأنحاء وتشترون هذه الأشياء؟"، وتستعيد مصباحها. فكانوا يتذمرون قائلين: "إنك تاجرة بارعة"، ثم يعطون أمك ما طلبته.

لم تدفع أمك في حياتها ثمناً كاملاً مقابل أي شيء، فقد اعتادت أن تنجز معظم الأشياء بنفسها، ولهذا، فقد ظلت يداها مليئتين دائماً. وكانت تخيط وتحوك وتحرث الأرض بلا كلل، ولم تخلُ حقول الوالدة من المحاصيل أبداً: فقد كانت في الربيع تزرع بذور البطاطا في الأخاديد وتزرع الخس وأزهار الأقحوان والخبازى والثوم والفلفل والذرة. وكانت تحفر حفراً تحت السياج حول البيت من أجل زراعة الكوسى والفول والسمسم والتوت والخيار في الحقول. وهكذا، فقد اعتادت أن تُمضي وقتها كله إما تعمل في المطبخ أو في الحقول حيث تقطف البطاطا والبطاطا الحلوة والزوكيني وتقلع الملفوف واللفت من الأرض. لقد أثبت لكم عمل الوالدة على مرّ الأيام أن لا شيء يثمر ما لم يبذر المرء بذوره أولاً. لم تكن الوالدة تدفع سوى ثمن الأشياء التي لا يمكن زراعتها بالبذور، مثل: الصيصان والفراخ التي تتجول في أنحاء الباحة في الربيع والخراف التي تربيها في الحظيرة.

في إحدى السنوات، وضعت أنثى الكلب تسعة جراء، وبعد مرور شهر على ذلك، تركت والدتك جروين ووضعت ستة جراء في السلة حتى امتلأت ثم وضعت واحداً بين ذراعيك وقالت لك: "اتبعيني".

بدت الحافلة التي استقللتها مع أمك مزدحمة جداً بأناس ذاهبين إلى البلدة ليبيعوا بضاعتهم المؤلفة من أكياس من الفلفل المجفف والسمسم والفول الأسود وسلال مليئة ببعض الملفوف واللفت. وعندما تجمعوا في صفٍّ في موقف الحافلة في البلدة، توقف المارة ليعقدوا صفقات مع الباعة. فوضعت الجرو الدافئ الذي كنت تحملينه مع الجراء الأخرى وجلست القرفصاء بجانب أمك وانتظرت أن تبيعها. بدت الجراء التي اعتنت بها أمك لشهر كامل ممتلئة الجسم ومعافاة ولطيفة ولا تظهر أي شكٍّ أو عدائية تجاه الناس. وراحت تهز ذيولها للناس الذين تجمعوا حول السلة وتلعق أيديهم. فبيعت جراء أمك قبل اللفت والملفوف والفول. وعندما باعت الجرو الأخير، وقفت وسألتك قائلة: "ماذا تريدين؟"، فحدقت إلى أمك التي نادراً ما تطرح عليك سؤالاً من هذا النوع.

"إنني أسألك: ماذا تريدين؟".

"كتاباً!".

"كتاباً؟".

"نعم، أريد كتاباً!".

تصرفت أمك وكأنها لا تعرف ما تقوم به، فنظرت إليك لدقيقة ثم سألتك أين يبيعون الكتب، فأرشدت أمك إلى متجر الكتب الموجود في مدخل السوق حيث تلتقي خمسة مفارق طرقات. فلم تدخل أمك إلى المتجر بل قالت لك: "اختاري واحداً فقط واسألي عن ثمنه ثم تعالي وأخبريني". حتى عندما اشترت لك حذاء مطاطياً، طلبت منك أن تجربي الفردتين، ثم انتهى المطاف بها وهي تدفع أقل مما طلب صاحب المحل، ولكنها طلبت منك أن تختاري الكتاب وتسألي عن ثمنه وكأنها لن تساوم على السعر. شعرت أن متجر الكتب أشبه بمرج

شاسع؛ إذ لم تكن لديك أيّ فكرة عن الكتاب الذي تريدين أن تختاريه. لقد أردت أن تشتري كتاباً لأنك اعتدت أن تقرأي الكتب التي يحضرها إخوتك إلى البيت من المدرسة، ولكنهم كانوا دائماً يأخذون الكتب منك قبل أن تقرأيها حتى نهايتها. وكانت مكتبة المدرسة تحوي كتباً مختلفة عن الكتب التي يحضرها **هايونغ تشول** إلى البيت. إنها كتب مثل: **السيدة سا تذهب إلى الجنوب**، أو **سيرة تشين يون بوك**. اخترت كتاباً بينما وقفت أمك بانتظارك خارج متجر بيع الكتب، وهو بعنوان **الكثير من الإنسانية**. فنظرت أمك، وهي على وشك أن تدفع ثمن كتاب غير مدرسي للمرة الأولى في حياتها، إلى الكتاب الذي اخترته.

وسألتك: "أهذا كتاب تحتاجين إليه؟".

فأومأت برأسك بسرعة لأن القلق تملكك من أن تغير رأيها. في الواقع، لم تكوني تعرفين موضوع الكتاب الذي كتب عليه أنه من تأليف الفيلسوف نيتشه، ولكنك قمت باختياره لمجرد أن العنوان أعجبك. أعطتك أمك ثمن الكتاب كاملاً. وعندما استقللتما الحافلة، جلست محتضنة الكتاب إلى صدرك بدلاً من الجرو وأنت تحدقين من النافذة، فرأيت امرأة عجوزاً محنية الظهر تنظر إلى المارة بيأس محاولة أن تبيع طبقاً من الأرز الدبق باقياً في سلتها المطاطية.

* * *

بينما أنت واقفة في الممر الجبلي تنظرين إلى قرية جديك القديمة، قالت لك أمك إن والدها أتى إلى البيت وهي في الثالثة من عمرها بعد أن أمضى حياته يتجول من قرية إلى أخرى منقباً عن الذهب والفحم. فذهب للعمل في موقع بناء محطة القطار الجديدة حيث تعرّض لحادث. نظر القرويون الذين أتوا ليخبروا جدتك عن الحادث إلى أمك وهي تركض وتلعب في الباحة وقالوا: "إنك تضحكين مع أن والدك

مات، أيتها الطفلة السخيفة".

"أتتذكرين هذا الكلام منذ كنت في الثالثة من عمرك؟".

"نعم، أتذكره".

حدثتك أمك عن شعورها بالاستياء أحياناً من أمها، أي جدتك، وقالت: "إنني واثقة من أنها قد تحملت عبئاً كبيراً في تربيتنا بعد أن أصبحت في عداد الأرامل، ولكن كان ينبغي لها أن ترسلني إلى المدرسة. لقد التحق أخي بمدرسة يابانية وكذلك أختي، فلماذا احتفظت بي في البيت؟ لقد عشت في ظلام الجهل من دون أي بصيص نور طوال حياتي...".

وافقت أمك أخيراً أن تتوجه معك إلى **سول** إن وعدتها ألا تخبري **هايونغ تشول**. وعندما غادرت المنزل معك، ظلت تلحّ عليك أن تعديها بذلك.

بينما أنتما تتنقلان من مستشفى إلى آخر لمعرفة سبب صداع أمك، ذكر لك أحد الأطباء أمراً مثيراً للدهشة: "لقد أصيبت أمك بسكتة دماغية قبل وقت طويل". سكتة دماغية؟ فقلت له إن هذا لم يحدث قط، ولكن الطبيب أشار إلى بقعة في صورة الأشعة وقال إنها تدل على إصابتها بالسكتة. فسألته قائلة: "كيف يمكن أن تصاب بسكتة من دون أن تشعر؟"، فقال لك الطبيب إن أمك قد شعرت بها بكل تأكيد، إذ إن الطريقة التي تجمّع بها الدم في دماغها تدل على أنها بلا شك شعرت بحدوث السكتة. وقال الطبيب إن أمك كانت ترزح تحت وطأة ألم مبرح.

"ماذا تقصد بقولك إنها عانت ألماً مبرحاً؟ لطالما بدت أمي معافاة تماماً".

قال الطبيب: "لا أظن أن هذا صحيح".

شعرت بوطأة الخبر كطعنة موجعة في الصميم. صرَّف الطبيب الدم المتجمع في دماغ أمك، ولكنّ صداعها لم يتحسن. فقد كانت أمك لتتحدث بشكل طبيعي وفجأة تمسك رأسها بعناية وكأنه قارورة زجاجية متصدّعة على وشك أن تنكسر ثم تعود إلى البيت وتستلقي على الرصيف الخشبي في المخزن.

* * *

"هل تحبين العمل في المطبخ يا أمي؟". عندما طرحت عليها هذا السؤال للمرة الأولى، لم تدرك أمك مغزى كلامك.

"هل تحبين العمل في المطبخ؟ هل تحبين الطبخ؟".

نظرت أمك إلى عينيك للحظة ثم قالت: "إنني لا أحب المطبخ ولا أكرهه، فأنا أطهي لأن هذا واجبي. عليّ أن أبقى في المطبخ كي يتسنى لكم جميعاً أن تأكلوا وتذهبوا إلى المدرسة. كيف يسع المرء أن يفعل ما يحلو له فقط؟ هناك أشياء يجب على المرء فعلها سواء أأحبّ ذلك أم لا". نظرت إلى ملامح وجه أمك ولسان حالها يقول: أي نوع من الأسئلة هذا؟ ثم تمتمت قائلة: "إن فعلتِ فقط ما تريدينه، فمن ذا الذي سينجز كل الأمور التي لا تحبين إنجازها؟".

"إذاً، قولي لي: هل تحبينه أم لا؟".

التفتت أمك حولها وكأنها على وشك أن تبوح بسر خطير، ثم همست قائلة: "لقد كسرت أغطية المرطبانات مرات عدة".

"كسرت أغطية المرطبانات؟".

"نعم، عندما لم أعد أشعر بأن هناك نهاية لهذا الوضع. إن المزارع على الأقل يحصل على السبانخ عندما يزرع بذور السبانخ وعلى الذرة عندما يزرع بذور الذرة... أما عمل المطبخ، فليست له بداية أو نهاية. إن المرء يتناول الفطور ثم يحين الغداء ثم يحين العشاء ثم تشرق الشمس

ويحين الفطور مجدّداً... ربما كان الوضع ليتحسن لو أنني استطعت أن أعد أطباقاً جانبية مختلفة، ولكنني ظللت أزرع المحاصيل نفسها في الحقول، ولهذا، فقد ظللت دائماً أعد الطعام نفسه. وإن اضطر المرء إلى تكرار العمل نفسه مرة تلو أخرى، أصابه هذا بالملل في نهاية المطاف. وهكذا، فإن بدأت أشعر بالمطبخ وكأنه سجن، ذهبت إلى آخر الباحة وأخذت أسوأ أغطية المرطبانات شكلاً وألقيت به بكل قوتي على أحد الجدران. لم تكن عمتك تعلم أنني أفعل هذا. فلو أنها علمت به، لقالت إنني مجنونة ترمي الأغطية في الأنحاء".

أخبرتك أمك أنها اعتادت أن تشتري غطاء جديداً خلال بضعة أيام لتضعه مكان الغطاء الذي كسرته. وقالت لك: "لقد بددت بعض المال، وعندما كنت أذهب لشراء الغطاء الجديد، كنت أعتقد أن ذلك مضيعة للمال، وهذا جعلني أشعر بشعور مريع، ولكنني لم أستطع كبح نفسي. فقد شكّل صوت الغطاء وهو ينكسر دواء لي وأمدني بإحساس بالحرية"، وضعت أمك إصبعها على شفتيها وقالت: "لا تخبري أحداً. إنها المرة الأولى التي أبوح فيها بهذا السر"، وارتسمت ابتسامة خبيثة على وجهها، "إن لم تودي أن تطبخي، فعليك أن تجربي كسر طبق ما. ومع أنك قد تشعرين في قرارة نفسك بالأسف لخسارته، ولكنك ستشعرين بالخفة الشديدة. إنك غير متزوجة، لذا، فلن تشعري بهذا الشعور على كل الأحوال".

أطلقت أمك تنهيدة عميقة ثم قالت: "ولكن لطالما غمرتني السعادة وأنا أراكم تكبرون. ومع أن شدة انشغالي منعتني حتى من شدّ منديلي على رأسي، فقد كنت أتأملكم وأنتم جالسون إلى الطاولة تأكلون وملاعقكم تصدر صوت رنين وهي تضرب الأطباق وأشعر بأنني لا أريد أي شيء آخر في العالم. لقد كنتم أطفالاً يسهل التعامل معكم،

فقد كنتم تأكلون طعامكم بكل شهية حتى لو أعددت لكم مجرد طبق خضار الزوكيني البسيط مع حساء الفول وتشرقون سعادة عندما أطهي لكم بعض السمك على البخار مرة بين الحين والآخر... لقد تمتّعتم وأنتم تكبرون بشهية كبيرة تكاد تخيفني. فقد اعتدت أن أترك لكم وعاء مليئاً بالبطاطا المسلوقة لتأكلوه بعد عودتكم من المدرسة ثم أجد الوعاء فارغاً عندما أعود إلى البيت. وإن ذهبت لأحضر بعض الأرز من أجل العشاء ولمست مغرفتي قعر مرطبان الأرز، شعرت بقلبي ينقبض خوفاً. ماذا سأطعم أولادي غداً صباحاً؟ وهكذا، فلم يخطر ببالي في تلك الأيام قط أن أفكر في حبي للعمل في المطبخ أو عدمه. فإن أعددت قدراً كبيرةً من الأرز وواحدةً أصغر من الحساء، فلم أفكر في مقدار التعب الذي يهدّ جسمي، بل شعرت بالسعادة لأن هذا الطعام سيدخل أفواه أطفالي. إنك على الأرجح لا تتخيلين الآن ما يعنيه هذا، ولكننا في ذلك الوقت من الماضي كنا دائمي القلق من أن ينفد الطعام منا. فقد شكل تأمين الطعام والبقاء على قيد الحياة أهم غاية لنا". أخبرتك أمك وهي تبتسم أنها تعتبر تلك الأيام أسعد أيام حياتها.

ولكن صداع والدتك سرق الابتسامات من وجهها.

* * *

تجدين الرجل الذي تلجأين إلى مساعدته على طباعة النشرات الإعلانية مرتدياً طقم ملابس قطنية قديمة مفصلاً بعناية شديدة. وبالرغم من أنك تعرفين أنه دائماً يرتدي ملابس قطنية قديمة، فلا تستطيعين أن تمنعي نفسك من التركيز عليها. بعد أن سمع الرجل خبر اختفاء أمك، يقول لك الآن إنه سيصمم النشرة بناء على نموذجك ويطبعه بسرعة في مطبعة يستخدمها معارفه في العمل. لم تعثري وإخوتك على أيّ صور

حديثة للوالدة، فتقررون أن تستخدموا صورة العائلة التي نشرها أخوك على الإنترنت. فينظر الرجل إلى وجه أمك في الصورة ويقول: "إن أمك جميلة جداً".

فجأة، ومن دون تفكير، تعلقين أن ملابسه جميلة جداً.

فيبتسم لسماع كلماتك ويقول: "لقد خاطتها أمي بنفسها".

"ولكن، ألم تمت؟".

"لقد فعلت ذلك وهي على قيد الحياة".

يخبرك أنه منذ طفولته لا يستطيع أن يرتدي سوى القطن بسبب إصابته بأنواع عدة من الحساسيّة. وعندما تلمس أيّ أقمشة أخرى جسمه، فإن جلده يصاب بحكة شديدة وشرًى. فنشأ وترعرع وهو يرتدي فقط الملابس القطنية التي تخيطها له أمه. فانطبعت صورة أمه في ذاكرته وهي دائماً تخيط الملابس. إذ توجب عليها أن تخيط بشكل مستمر لتصنع له كل شيء بنفسها بدءاً من ملابسه الداخلية وحتى جواربه.

عندما فتح خزانتها بعد وفاتها، وجد أكواماً من الملابس القطنية تكفيه لبقية حياته، أحدها هو الطقم الذي يرتديه اليوم. تُرى كيف كانت أمه تبدو؟ يتألم قلبك رثاء لحاله وأنت تصغين إلى كلامه. تسألين الرجل الذي يتذكر أمه الحبيبة قائلة: "هل تظن أن أمك عاشت حياة سعيدة؟".

يعبر الرجل عن نفسه بكلمات مؤدبة، ولكن ملامحه توحي إليك بأنك أهنتِ أمه.

فيقول: "لقد كانت أمي مختلفة عن نساء هذه الأيام".

# 2

## إنني آسفة، يا هايونغ تشول

تحت برج الساعة حيث اعتادت أمه أن تنتظره، تأخذ امرأة إحدى النشرات الإعلانية من يده وتتلكأ للحظة لتتأمل صورة الوالدة.

بعد أن عثر أخوك على بيت في المدينة، بدأت والدتك تأتي إلى محطة سول وهي تبدو كواحدة من لاجئي الحرب ماشيةً على الرصيف محملة بصرر متوازنة على رأسها ومعلقة على كتفيها وفي يديها بينما تبدو الأشياء التي لم تستطع حملها معلقة على خصرها. إنه لمن المثير للدهشة أنها ظلت تقوى على المشي بالرغم من كل هذه الأحمال. لو استطاعت أمك لأتت لزيارته وقد ثبّتت الباذنجان واليقطين على ساقيها. كانت تأتي عادة وجيوبها منتفخة ومليئة بالفلفل غير الناضج والكستناء المقشورة أو الثوم المقشور المغلّف بورق الصحف. فإن توجه أخوك إلى المحطة لملاقاتها هناك، رأى كومة من الرزم بجانب قدمي أمه وتعجب من قدرة امرأة واحدة على إحضار كل هذه الأشياء بمفردها. فكانت تقف بين الرزم وتنظر حولها ووجنتاها محمرتان وهي بانتظار وصوله.

تتقدم المرأة منه بتردد مشيرة إلى صورة أمه المطبوعة على الإعلان وتقول: "أرجو المعذرة، ولكنني أظن أنني رأيتها بجانب مكتب يونغسان تو دونغ". تبدو أمه في صورة الإعلان الذي أعدته أخته الصغرى مبتسمة

بسعادة ومرتدية ثوباً أزرقَ سماوياً. تابعت المرأة كلامها قائلة: "لم تكن ترتدي هذا الثوب، ولكن العينين متشابهتان جداً. إنني أتذكرهما لأنهما بدتا صادقتين ووديعتين". تنظر المرأة مجدّداً إلى عيني أمه في الصورة وتقول: "لاحظت وجود جرح في قدمها"، وتضيف قائلة إنها رأتها تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق إحدى فردتيه مغروزة بقدمها بجانب إبهامها وإن قطعة من لحمها بدت بارزة مشكلة أخدوداً على قدمها، وذلك ربما لأنها مشت مسافة طويلة. تقول المرأة إن الذباب أخذ يطنّ حولها ويستقر على الجرح المتقيح وإن أمه ظلت تلوح بيدها لتبعده وتبدو منزعجة. وبالرغم من أن الجرح بدا مؤلماً جداً، فقد ظلت تحدق إلى المكتب وكأنها لا تشعر به. لقد حدث كل هذا قبل أسبوع من الآن.

أسبوع؟

لا يدرك أخوك ما يجب أن يستنتجه من الكلام الذي قالته له المرأة. فيتابع توزيع الإعلانات بعد مغادرتها. لقد استنفرت عائلته بأكملها لتعليق الإعلانات وتوزيعها في كل مكان من محطة سول إلى ناميونغ دونغ، ومن المطاعم إلى متاجر الملابس والمكتبات ومقاهي الإنترنت. وعندما تم تمزيق الإعلانات لأنهم وضعوها في مكان لا يفترض بهم وضعها فيه، أعادوا تعليقها في المكان نفسه. لم يقيد أفراد العائلة نشر الإعلانات في المنطقة المحيطة بمحطة سول فقط، بل وزعوها أيضاً في سوق نامديمون وتشانغنيم دونغ وحتى في سوديمون. لم يتلقوا مكالمة هاتفية واحدة من الإعلان الذي نشروه في الصحف، ولكن بعض الناس اتصلوا فعلاً بعد قراءة الإعلانات. فتلقوا تلميحاً أن امرأة شبيهة بأمهم شوهدت في أحد المطاعم ثم خرجت مسرعة، ولكنهم اكتشفوا أنها ليست هي بل امرأة في مثل عمر والدتهم تعمل في ذلك المكان. وفي إحدى المرات، قال أحد المتصلين إنه دعا والدتهم إلى

بيته ولفظ عنوانه بوضوح عبر الهاتف. فأسرعوا إلى هناك والأمل يملأ نفوسهم، ولكن العنوان نفسه لم يكن حتى متواجداً. واتصل شخص آخر يقول إنه سيعثر على والدتهم من أجلهم إن دفعوا له مبلغ خمسة ملايين وان سلفاً، ولكن هذه المكالمات أصبحت نادرة بعد أسبوعين. وأصبح أفراد العائلة، الذين اعتادوا أن يسرعوا بقلوب مفعمة بالرجاء، يجدون أنفسهم غالباً جالسين تحت برج ساعة محطة سول والإحباط بادٍ عليهم. وعندما كان بعض الناس يجعدون الإعلان حالما يسلم إليهم ويلقونه على الأرض، كانت أخته الصغرى الكاتبة تأخذه وتملسه وتعطيه لشخص آخر.

تقف أخته التي أتت إلى محطة سول ويداها محملتان بالإعلانات إلى جانبه، وتلقي عليه نظرة خاطفة بعينيها الجافتين. فينقل إليها كلمات المرأة ويقول: "أينبغي لنا أن نذهب إلى مكتب يونغسان تو دونغ ونبحث عنها هناك؟"، فتسأله أخته: "ما الذي قد يدفع أمنا للذهاب إلى هناك؟"، وتقول بيأس: "يمكننا أن نمر به لاحقاً"، ثم تقول موجهة كلامها إلى الناس المارين بجانبها بصوت مرتفع وهي تسلمهم الإعلانات: "إنها أمنا. من فضلك، ألقِ نظرة عليها قبل أن ترميها". لا يميز أحد هوية أخته التي تنشر صورتها أحياناً في القسم الثقافي في الصحيفة اليومية عندما تنشر كتاباً جديداً. لا بد من أنه من الفعال أكثر أن يجمع المرء بين الصراخ وتسليم الإعلان كما تفعل أخته. فالناس لا يرمون الإعلانات حالما يأخذونها كما يفعلون بإعلاناته. ليست هناك أماكن كثيرة قد تذهب إليها الوالدة باستثناء منازل إخوته، وهذا هو أصل معاناته ومعاناة عائلته. فلو أن ثمة أماكن من المحتمل أن تتوجه إليها الوالدة، لركزوا بحثهم فيها، ولكن عدم وجود أماكن من هذا النوع ألزمهم بأن يمشطوا

المدينة بكاملها. عندما سألته أخته: "لماذا قد تذهب أمنا إلى هناك؟"، لم يدرك على الفور أنه استلم وظيفته الأولى في المدينة في ذلك المكتب نفسه لأن هذا حدث قبل ثلاثين عاماً.

اشتدت الرياح برودة، ولكن قطرات من العرق أخذت تبلل وجهه؛ يتجاوز عمر هايونغ تشول الخمسين ببضع سنوات ويعمل مدير تسويق لشركة تطوير لأبنية الشقق. إن اليوم هو السبت، وليس يوماً من أيام العمل، ولكن، لو لم تختفِ أمه لذهب الآن إلى بيت العرض في سونغدو؛ إذ إن شركته تستقبل زبائن لوحدات سكنية في مجمع شقق كبير هناك سرعان ما سيتم استكماله. لقد عمل ليلَ نهارَ ليتوصل إلى إشغال تلك الشقق بنسبة 100 بالمئة. طوال فصل الربيع، كان مسؤولاً عن الحملة الإعلانية. فعمل على اختيار سيدة منزل عادية كعارضة بدلاً من اللجوء إلى عارضات الأزياء المحترفات النموذجيات. وخلال ذلك الوقت، لم يكن يصل إلى البيت قبل منتصف الليل. فقد انشغل كثيراً ببناء بيت العرض وتناول العشاء مع الصحفيين واستمالتهم. وفي أيام الأحد، اعتاد أن يرافق المدير العام وباقي المسؤولين للعب الغولف في سوكتشو أو هوينغسونغ.

شكلت المكالمة التي أجراها معه أخوه الأصغر في عصر يوم صيفي وصوته الملح: "هايونغ تشول! إن أمنا مفقودة!"، صدعاً في حياته اليومية وبعثرتها لدرجة جعلته يشعر أنه وضع قدمه على جليد رقيق يكاد يتهشم من تحتها. إذ إنه عندما سمع أن والده ووالدته أوشكا على ركوب قطار الأنفاق متوجهَين إلى بيت أخيه وأن القطار غادر ووالده على متنه فقط تاركاً والدته في المحطة ولم يعد من الممكن العثور عليها، لم يخطر بباله أن هذا قد يؤدي إلى اختفائها. وعندما قال أخوه إنه بلّغ الشرطة،

تساءل **هايونغ تشول** إن كان يبالغ في ردّ فعله. وبعد مضي أسبوع، قام فعلاً بنشر إعلان في الصحيفة والاتصال بغرف الطوارئ. وأصبح وإخوته ينقسمون كل ليلة إلى فريقين ويزورون ملاجئ المشردين، ولكن، من دون جدوى، فإنّ والدتهم التي خلفها والدهم وحدها في محطة **سول** اختفت وكأنها مجرد حلم عابر ولم يبقَ أي أثر منها لدرجة أنه كاد أن يسأل والده إن كانت قد أتت فعلاً إلى **سول**. مرت عشرة أيام على اختفائها، ثم أسبوعان، ثم كاد أن يمضي شهر وأفراد العائلة جميعاً يتخبطون بحيرة وكأنهم أصيبوا بخلل في عقولهم.

يسلم إعلاناته إلى أخته وهو يقول: "سأذهب لأتفقد المكان".

"أتقصد **يونغسان**؟".

"نعم".

"أيراودك إحساس ما؟".

"إنه أول مكان عشت فيه عندما أتيت إلى **سول**".

قبل أن يتوجه ليستقلّ سيارة أجرة، يطلب من أخته أن تتفقد هاتفها الخلوي بشكل مستمرّ لأنه قد يتصل بها إن اكتشف شيئاً ما. إن هذه كلمات لا لزوم لها في هذا الوقت. فقد أصبحت أخته التي لم تعتد قط أن تجيب على هاتفها الخلوي تجيب على الاتصال قبل الرنة الثالثة. لطالما تملّك القلق أمه على أخته **تشاي هون** التي أصبحت في منتصف العقد الثالث من عمرها ولا تزال غير متزوجة حتى الآن. فكانت تتصل به أحياناً في ساعات الصباح الباكر وتقول بقلق: "**هايونغ تشول!** اذهب إلى بيت **تشاي هون**. إنها لا تجيب على هاتفها ولا تتصل بي. لم أسمع صوتها منذ شهر". فإن قال لأمه إن **تشاي هون** ولا شك تحبس نفسها في البيت لتكتب، أو مسافرة إلى مكان ما، أصرت أمه أن يذهب إلى شقة أخته وهي تقول: "إنها تعيش وحدها. فقد تكون مريضة وطريحة

الفراش أو وقعت في الحمام وأصبحت عاجزة عن النهوض". وعندما أصغى إلى سلسلة المصائب التي يحتمل أن يتعرّض لها أيّ شخص يعيش وحده، بدأ يعتقد أن هذه الأمور قد تقع فعلاً. وهكذا، أصبح يتوجه قبل العمل أو في أثناء الغداء للمرور بشقة أخته بناء على إلحاح أمه ويرى كومة من الصحف على باب بيتها، مما يدل على غيابها. فيدفع بها إلى سلة القمامة. فإن لم يرَ أي صحف مكومة أو أيّ حليب قديم أمام باب بيتها، استمر في الضغط على جرس الباب لعلمه أنها في الداخل إلى أن تطلّ بوجهها الذي تبدو عليه أمارات الإهمال وتتذمر قائلة: "ماذا تريد الآن؟". في إحدى المرات، وبينما هو يرن الجرس، وصل رجل ليزور **تشاي هون** على ما يبدو، وألقى الرجل التحية عليه بارتباك، وقبل أن يتمكن **هايونغ تشول** من سؤاله عن هويته، قال الرجل: "إنك تشبه **تشاي هون** لدرجة أنه ليس من الضروري أن أسألك عن صلة قرابتك بها". قال الرجل إنه أتى لأنه لم يعد يسمع أي خبر عنها. كان **هايونغ تشول** يقول لأمه إن أخته ذهبت على ما يبدو في رحلة ما، أو إنها بخير وهي في البيت. فتنهدت أمه وقالت: "لن نعرف عن أخبارها شيئاً حتى لو ماتت"، ثم سألته قائلة: "ما هو عملها بالتحديد؟"، لقد كانت أخته تؤلف الروايات، وهذا ما كان يجعلها تختفي لخمسة عشر يوماً متواصلة أو أحياناً لشهر. سألها أخوها ذات مرة: "أعليكِ أن تفعلي هذا عندما تكتبين؟". فتمتمت قائلة: "في المرة القادمة، سأتصل بأمي"، وهذا كل شيء. وظلت الهوة تتسع بين العائلة وأخته بالرغم من اهتمام أمه المتزايد بها. وبعد أن تجاهل طلبات أمه مرات عدة، لم تعد تطلب منه أن يذهب ويتفقد **تشاي هون**. وعاتبته ذات مرة قائلة: "أعتقد أنه ليس لديك متّسع من الوقت للإصغاء إليّ". استمرت فترات انقطاع أخته المفاجئة، فظن أن أحداً آخر في العائلة قد بدأ ولا ريب ينفذ أوامر

أمه بدلاً منه. وبعد أن اختفت أمه فقط، قالت أخته: "أعتقد أن هذه عقوبة لي...".

هناك الكثير من الازدحام المروري بين محطة **سول** وجامعة **سوكمايونغ** للسيدات، فينظر عبر نافذة السيارة إلى الأبنية الرمادية الشاهقة، ويتفحص وجوه المارة بحرص تحسباً لأن تكون أمه في مكان ما بين الجمع المحتشد.

يسأل سائق سيارة الأجرة: "هل قلت مكتب **يونغسان تو دونغ**؟"، وينعطف حول الكلية باتجاه مدرسة **يونغسان** الثانوية، ولكنه لا يوضح سؤاله جيداً.

"سيدي؟".

"نعم؟".

"هل قلت مكتب **يونغسان تو دونغ**؟".

"نعم".

لقد مشى **هايونغ تشول** في هذا الشارع كثيراً وهو في العشرين من عمره، ولكن المشهد خارج نافذة السيارة يبدو غريباً تماماً عن عينيه. فيتساءل إن كان يسلك الاتجاه الصحيح، ولكن الموقف كان ربما سيسبب له انزعاجاً أكبر لو لم يطرأ تغيير كبير على المنطقة خلال الثلاثين سنة المنصرمة.

"إن المكتب مغلق على الأرجح لأن اليوم هو السبت".

"أعتقد أن هذا صحيح".

يوشك سائق سيارة الأجرة أن يقول شيئاً ما، ولكن **هايونغ تشول** يخرج إحدى النشرات الإعلانية من جيبه ويدفعها باتجاهه وهو يقول: "إن رأيت امرأة تشبهها وأنت تقود في الأنحاء، فأعلمني بالأمر من فضلك".

يلقي السائق نظرة خاطفة إلى الصورة ويقول: "أهذه أمك؟".
"نعم".
"كم هذا مريع...".

في خريف العام الماضي، لم يحرك **هايونغ تشول** ساكناً مع أن أخته اتصلت لتشتكي من تصرفات أمه الغريبة. فظن أنها في مثل هذه السن قد تعاني من بعض الأمراض والآلام. فأخبرته أخته بحزن أن أمه بدت على وشك أن تفقد وعيها من شدة الصداع، ومع ذلك، فعندما اتصل بالبيت، أجابته أمه بحرارة. فسألها: "هل من أخبار جديدة لديكم؟"، ضحكت أمه وقالت: "أتمنى أن يحصل معنا شيء جديد! لا تقلق بشأننا. ما الذي قد يجري لعجوزين مثلنا؟ اعتنوا بأنفسكم".
"تعالا لزيارتنا في **سول**".
قالت أمه: "حسناً، سنفعل ذلك". ثم أمسكت عن الكلام. فأتت أخته وهي مغتاظة من عدم مبالاته إلى مكتبه ووضعت في يده صور الأشعة. ونقلت له ما قاله الطبيب عن إصابة الوالدة بسكتة دماغية من دون أن تدرك ذلك. وعندما أصغى إليها ببرود قالت له: "**هايونغ تشول!** هل أنت فعلاً **يون هايونغ تشول**؟ أتنتمي حقاً إلى عائلتنا؟"، وأخذت تنظر إليه شزراً.
"لم تذكر وقوع أي شيء لها. إذاً، فعلام كل هذا؟".
"وصدقتها؟ لطالما قالت أمك هذا الكلام. إنه شعارها الذي تردده دائماً. إنك تدرك هذا وتدرك أيضاً أنها تتفوه بهذا الكلام لمجرد شعورها بالذنب من أن تشكل عبئاً عليك".
"لماذا تشعر بالذنب؟".
"من أين لي أن أعرف؟ لماذا تجعلها تشعر بالذنب؟".

"ما الذي فعلته؟".

"إن أمك تردد هذا الكلام منذ وقت طويل. وأنت تعي ما أقوله. دعني أسألك: لماذا تشعر والدتنا بالذنب حيالك دائماً؟".

* * *

قبل ثلاثين عاماً، وبعد أن نجح هايونغ تشول في امتحان المستوى الخامس من امتحانات الخدمة المدنية، تلقى أول تعيين وظيفي له في مكتب يونغسان تو دونغ. بعد أن تخرج من المدرسة الثانوية، لم يتم قبوله في أيّ جامعة في سول، فلم تصدق أمك ما جرى، وهذا رد فعل واضح بالنسبة إليها، إذ لطالما تفوّق هايونغ تشول في صفه منذ الأيام الأولى في المدرسة الابتدائية وحتى نهاية المدرسة الثانوية. وإن خضع لأي اختبار أو امتحان، أثبت جدارته وحل في المركز الأول. وعندما التحق بالصف السادس، حصل على أعلى درجة في امتحان قبول المدرسة الإعدادية، وهو الامتحان الذي يسمح له بالالتحاق بالمدرسة مجاناً. طوال ثلاث سنوات متتالية، تفوّق على جميع طلاب المدرسة، ولهذا، لم يتوجب عليه قط أن يدفع فلساً واحداً. وبعد ذلك، التحق بالمدرسة الثانوية محتلاً المرتبة الأولى في صفه. اعتادت والدتك أن تعبّر عن دهشتها وافتخارها بإنجازات أخيك قائلة: "ليتني أسدد أجور تعليم هايونغ تشول ولو لمرة واحدة على الأقل". ولهذا، لم تدرك كيف يمكن لطالب ظلّ متفوقاً طوال فترة دراسته الثانوية ألا ينجح في امتحان قبول الجامعة. وعندما سمعت والدتك أنه لم يفشل وحسب في الحصول على علامات متفوقة، ولكنه لم ينجح أبداً، أصابتها الحيرة. فتساءلت في سرّها: إن لم تنجح أنت، فمن الذي سينجح؟ لقد عقد أخوك العزم على أن يدرس بجد كبير في الكلية ليحتل المركز الأول بين طلاب صفه. في الواقع، لم تكن تلك مجرد خطة وضعها لنفسه

بل خياره الوحيد. إذ إن الطريقة الوحيدة التي كانت تخوله للالتحاق بالكلية هي المنحة الدراسية، ولكن رسوبه دفعه لمحاولة العثور على طريق آخر. إذ إن ظروفه لم تسمح له بإعادة الخضوع للامتحان في العام التالي. ففكر على الفور في ما يجب أن يفعله تالياً وخضع لامتحانين في الخدمة المدنية ونجح في كليهما ثم غادر البيت بعد أن قبل أول وظيفة كلّف بها. وبعد بضعة شهور، علم بوجود كلية قانون ليلية في سول وقرر أن يلتحق بها، ولكنه كان بحاجة إلى شهادة تخرجه من المدرسة الثانوية. ولو أنه أرسل رسالة يطلب فيها الحصول على نسخة وانتظر أن تصل عبر البريد من الريف، لوصلت الشهادة بعد الوقت المحدد لتقديم الطلب. وهكذا، فقد كتب رسالة إلى أبيه يطلب منه فيها أن يذهب إلى محطة الحافلات وفي حوزته نسخة من الشهادة ويطلب من شخص قادم إلى سول أن يسلمه إياها. كما طلب منه أن يتصل به بعد قيامه بهذا ويطلعه على موعد وصول الحافلة ليتوجه بدوره إلى المحطة ويأخذ النسخة من الشخص الذي يحملها. راح ينتظر وينتظر، ولكنه لم يتلقّ أيّ مكالمة هاتفية. وفي منتصف الليل، وبينما هو يتساءل عما يستطيع فعله بشأن الطلب الذي يحل موعد تقديمه في اليوم التالي، دق أحدهم باب المكتب الذي كان يبيت فيه في تلك الآونة. إذ توجب على الموظفين آنذاك أن يتبادلوا العمل في المناوبة الليلية، ولكن لم يكن لدى **هايونغ تشول** أصلاً مكان يقيم فيه. فقرر أن يقيم في غرفة المناوبة الليلية ويناوب فيها كل ليلة. ظل الشخص يدقّ على الباب بقوة وكأنه سيكسره. وعندما فتح الباب وخرج، وجد شاباً واقفاً في الظلام.

"أهذه أمك؟".

رأى والدته واقفة خلف الشاب وأوصالها ترتعد من شدة البرد، ولكن قبل أن يتسنى له قول أي شيء، قالت أمه: "**هايونغ تشول**! هذه

أنا! أمك!"، نظر الشاب إلى ساعته وقال: "بقي سبع دقائق على موعد حظر التجول!"، ثم استدار وقال لوالدة **هايونغ تشول**: "وداعاً!"، وركض في الظلام ليصل قبل حلول موعد حظر التجول الذي تفرضه الحكومة.

عندما أرسل **هايونغ تشول** رسالته، لم يكن الوالد في البيت، ولكنّ أخته تلت الرسالة على أمه. فتملكها القلق، وهذا ما جعلها تتوجه إلى مدرسته الثانوية وتطلب نسخة من شهادة تخرجه وتحث الخطى إلى القطار. وكانت هذه المرة الأولى التي تركب فيها القطار في حياتها. لاحظ ذلك الشاب والدته في محطة **سول** وهي تسأل الناس عن كيفية الوصول إلى **يونغسان تو دونغ**. وعندما سمعها تقول إن هناك شيئاً يجب عليها أن توصله إلى ابنها تلك الليلة، شعر أن من واجبه أن يوصلها إلى المكتب بنفسه. كانت والدة **هايونغ تشول** تنتعل صندلاً أزرق بلاستيكياً في منتصف الشتاء. إذ إن منجلاً أصابها بجرح في قدمها قرب الإبهام، ولكنه لم يشفَ جيداً. فأصبحت الصنادل البلاستيكية هي الوحيدة التي تناسب إصابتها. تركت أمه صندلها خارج غرفة المناوبة الليلية قبل أن تدخل، قالت: "لا أعرف إن فات الأوان"، وأخرجت النسخة عن شهادة تخرجه من جيبها. رأى **هايونغ تشول** يدي والدته المتجمدتين، فأمسك بهما وعاهد نفسه أن يسعد صاحبتهما مهما كلفه الأمر، ولكنه لم يمنع نفسه من توبيخها لأنها تبعت رجلاً غريباً لمجرد أنه طلب منها ذلك. فوبخته أمه بدورها على الفور قائلة: "كيف تستطيع العيش من دون أن تثق بالناس؟ إن عدد الأخيار يفوق عدد الأشرار في العالم!"، ثمّ ابتسمت ابتسامتها المتفائلة المعهودة.

* * *

يقف الآن أمام المكتب المغلق ويتفحص المبنى. إنه لمن غير المحتمل أن تأتي الوالدة إلى هنا. فلو أنها استطاعت أن تكتشف طريقة

الوصول إلى هنا، لاستطاعت أن تصل إلى شقة أحد أولادهـا. لقد تذكرت تلك المرأة الوالدة بسبب عينيها، وقالت إنها رأتها تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق. صندلاً بلاستيكيًا أزرق؟! يتذكر هايونغ تشول الآن أن الحذاء الذي انتعلته أمه في اليوم الذي اختفت فيه كان صندلاً عاجيّ اللون ذا كعب منخفض لأن الوالد أخبره بذلك، ولكن المرأة، التي ذكرت أن صندل والدته بدا منغرزاً عميقاً في قدمها لأنها مشت مسافة طويلة، أكدت له أن لونه أزرق. يمعن النظر في المكتب ثم يلتفت حوله متأملاً الشوارع المؤدية إلى مدرسة بوسونغ للبنات ودار عبادة إيونسونغ.

تُرى ألا تزال غرفة المناوبة الليلية في ذلك المكتب موجودة؟

قبل كل تلك السنوات، نام هايونغ تشول في تلك الغرفة طوال الليل بجانب أمه وغطاها بملاءته. لقد كلفت تلك المرأة نفسها مشقة الركوب في قطار سول من دون تمهيد مسبق لتحضر لابنها نسخة عن شهادة تخرجه. لا بد من أن تلك كانت المرة الأخيرة التي ينام فيها بجانب أمه. تسرب تيار هوائي بارد من الجدار الذي يواجه الشارع، فقالت أمه: "أستطيع الاستغراق في النوم بشكل أفضل إن نمت بجانب الجدار". وتبادلت الأماكن معه، فقال: "إنه بارد". ونهض ليحشر حقيبته وكتبه بجانب الجدار ليمنع تسرب التيار الهوائي، وكوّم الملابس التي ارتداها خلال النهار بجوار الجدار أيضاً؛ فقالت أمه وهي تجذب يده: "هكذا جيد. هيا، عد إلى النوم. إذ يجب عليك أن تنهض للعمل في الصباح الباكر".

سأل أمه وهو ينظر إلى السقف قائلاً: "ما انطباعك الأول عن سول؟".

فقالت أمه وهي تضحك: "لا شيء مميز"، واستدارت لتواجهه، وجعلت تحدثه عن أيام خلت فقالت: "إنك ابني البكر، لذا، فليس هذا التصرف الوحيد الذي تجعلني أقوم به للمرة الأولى. إن كل شيء تفعله في حياتك يشكل عالماً جديداً بالنسبة إليّ. إذ إنك أول من جعل بطني ينتفخ وأول طفل أُرضِعه. لقد كنت في مثل سنك عندما أنجبتك. وعندما رأيت وجهك الأحمر المتعرق وعينيك المغمضتين للمرة الأولى... يا الله! يقول الناس إنهم يتفاجأون ويفرحون عندما ينجبون أول طفل لهم، ولكنني أعتقد أنني حزنت. إذ إنني أخذت أتساءل: هل أنجبت هذا الطفل حقاً؟ ماذا سأفعل الآن؟ في البداية، تملكني خوف شديد لدرجة أنني لم أتجرأ أن ألمس أصابعك الصغيرة الملتوية وأنت تشد قبضتي يديك الصغيرتين. فإن فتحت أصابع يديك إصبعاً تلو الأخرى، رحت تبتسم. لقد كانت صغيرة جداً لدرجة أنني ظننت أنها ستختفي إن ظللت ألمسها. لم أكن أعرف شيئاً من أمور الحياة. فقد تزوجت في السابعة عشرة من عمري. لم أحمل إلا بعد أن بلغت التاسعة عشرة. فظلت عمتك تقول إنني على الأرجح لن أنجب الأطفال، ولهذا، فعندما اكتشفت أنني حامل بك، ابتهجت لأنه لم يعد يجب علي أن أسمع ذلك الكلام منها. وفي وقت لاحق، بدأت أراقب أصابع يديك وقدميك وهي تنمو كل يوم. لقد أدخل هذا السرور إلى قلبي. فإن نال مني الإرهاق، ذهبت إليك وأخذت أفتح أصابعك وأتحسسها. وكان هذا الشعور يشحنني بالطاقة. عندما ألبستك حذاءك للمرّة الأولى، شعرت ببهجة عارمة. وعندما مشيت نحوي، انفجرت ضاحكة. ولو أن أحدهم رمى أمامي كومة من الذهب والفضة والجواهر، لما ضحكت بسعادة هكذا. كيف تظن أنني شعرت عندما أرسلتك إلى المدرسة؟ عندما ثبت بطاقة اسمك ومنديلاً على صدرك، شعرت أنني ناضجة جداً. كيف يسعني أن

أصف لك سعادتي وأنا أراك تكبر وعودك يشتد؟ كنت كل يوم أغني لك: اكبر اكبر، يا طفلي. وذات يوم، أصبحت أكبر مني".

راح يحدق إلى أمه والكلمات تتدفق من فمها كأنها اعتراف. انقلبت على جنبها لتواجهه وربتت على شعره قائلة: "كنت آمل أن تكبر وتصبح طويلاً وضخماً. وعندما كبرت وأصبحت أشد ضخامة مني، تملكني الخوف مع أنك ابني".

تنحنح **هايونغ تشول** والتفت ليحدق إلى السقف مجدّداً ويخفي عينيه الدامعتين.

"على عكس كل الأطفال الآخرين، لم أشعر بالحاجة قط إلى أن أملي عليك أفعالك. فقد اعتدت أن تنجز كل شيء بنفسك. إنك وسيم ومجتهد في دراستك. وأنا فخورة بك. إنني أشعر بالدهشة أحياناً أنني أنجبتك... لولاك، متى كانت ستسنح لي الفرصة لأن آتي إلى **سول**؟".

عقد **هايونغ تشول** العزم أن يجني الكثير من المال كي تعود أمه إلى هذه المدينة وتنام في غرفة دافئة. وصمم أنه لن يسمح لها بالنوم في مكان بارد مرة أخرى. بعد برهة، قالت أمه بصوت منخفض: "**هايونغ تشول**". سمع صوتها وكأنه آتٍ من مكان بعيد وهو يكاد أن يستغرق في النوم. فمدت أمه يدها وربتت على رأسه. وراحت تتأمل ملامحه التي داعبها النوم. لمست جبهته وهي تقول: "إنني آسفة". ثم سحبت يدها بسرعة وجففت دموعها، ولكنها انسابت على وجهه.

عندما استيقظ عند الفجر، وجد أمه تكنس أرض المكتب. فحاول أن يمنعها، ولكنها قالت: "لست أفعل شيئاً". وأخذت تنظف مكاتب الموظفين بعناية وتمسح الأرض بالممسحة وكأنها ستعاقب إن لم تفعل شيئاً. بدت أنفاس الوالدة مرئية وقدمها المتورمة ظاهرة من صندلها

الأزرق. وبينما هم ينتظرون أن يفتح محل حساء براعم الفول ليتناولوا فطورهم، أصبح المكتب نظيفاً ولامعاً.

* * *

لا يزال المنزل هنا. تتسع عيناه وهو يفتش في أنحاء الأزقة الضيقة المليئة بالسيارات المركونة بحثاً عن أمه. وعندما تميل الشمس نحو المغيب، يجد نفسه أمام البيت الذي استأجر فيه غرفة قبل ثلاثين عاماً. يمد يده ليتحسس البوابة والدهشة تعتريه. فالأشواك الحديدية التي تشبه السهام الحادة على قمة البوابة لا تزال على حالها كما كانت قبل ثلاثين عاماً. لقد اعتادت تلك المرأة التي أحبته ثم تركته في نهاية المطاف أن تعلق كيساً مليئاً بالكعك الصيني على البوابة. تحولت كل البيوت في الجوار إلى بيوت لسكان الريف أو شقق صغيرة كالمكاتب.

يقرأ إعلاناً معلقاً على البوابة:

100000 وان في الشهر
مع وديعة قدرها 10 ملايين وان
أو 150000 وان في الشهر
مع وديعة قدرها 5 ملايين وان.

مغسلة عادية ودوش في الحمام
قريبة من **ناماسان**، جيدة للتمرين
تستطيع الوصول إلى **كانغنام** في غضون 20 دقيقة، وإلى **تشونغنو** في غضون 10 دقائق

حمام صغير لن تعيش فيه.
من الصعب العثور على شقة بهذا الرخص في **يونغسان**.
السبب في انتقالي هو: لدي سيارة وأحتاج إلى مكان لركنها.

من فضلك أرسل رسالة عبر البريد الإلكتروني. سأؤجر الغرفة بنفسي لأوفر أتعاب سمسار العقارات.

بعد أن يقرأ أرقام الهواتف وعنوان البريد الإلكتروني، يدفع البوابة ببطء، فتنفتح بالتحديد كما كانت تفعل قبل ثلاثين عاماً. يمعن النظر في الداخل، فيرى البيت نفسه الذي سكن فيه قبل ثلاثين عاماً، وكل باب فيه يواجه الباحة. ويجد قفلاً معلقاً على باب البيت من الخارج.

ينادي قائلاً: "هل من أحد في البيت؟"، فتنفتح بضعة أبواب.

تنظر إليه امرأتان شابتان ذاتا شعر قصير وصبيَّانِ في حوالى السابعة عشرة من العمر، ثمّ يدخل إلى باحة المبنى.

يري المرأتين الشابتين نسخة من النشرة الإعلانية ثم يسلم واحدة إلى الصبيين بسرعة لأنهما يوشكان أن يغلقا الباب ويقول: "هل رأيتم هذه المرأة؟" يلاحظ هايونغ تشول وجود فتاتين في حوالى العمر نفسه تسترقان النظر من داخل غرفة الصبيين. فيخبط الصبيان الباب ظناً منهما أنه ينظر إلى غرفتهما. يبدو خارج المنزل كما كان عليه قبل ثلاثين عاماً، ولكن كل شقة أصبحت مؤلفة من غرفة واحدة. فلا بد من أن المالكين قد جددوا المكان وشكلوا غرفة واحدة تجمع بين المطبخ وغرفة المعيشة. إذ إنه يرى مغسلة في زاوية شقة المرأتين.

تقول واحدة منهما وهي تعيد إليه النشرة: "كلا"، وقد بدت آثار النوم واضحة على عيونهما. فيدرك أنهما ربما كانتا تغفوان. تراقبانه وهو يستدير ويتوجه عائداً إلى البوابة. وبينما هو على وشك أن يخطو خارج المبنى، يفتح أحد الصبيين الباب ويناديه قائلاً: "انتظر! أعتقد أنني رأيت هذه الجدة جالسة أمام البوابة قبل بضعة أيام".

عندما يقترب من الغرفة، يمد الصبي الآخر رأسه ويقول: "كلا،

لقد قلت لك إن هذه ليست المرأة نفسها. إن هذه السيدة شابة، أما تلك السيدة فقد بدت مجعدة الوجه تماماً، ولم يبدُ شعرها بهذه الهيئة أيضاً. لا بد من أنها متسولة".

"ولكن عينيها تشبهان عيني صاحبة الصورة. انظر إلى عينيها فقط. إنهما تبدوان مثلهما تماماً... إن عثرنا عليها، فهل ستعطينا خمسة ملايين وان فعلاً؟".

"سأعطيكما بعض المال طالما أنكما تخبرانني ما حدث بالتحديد حتى لو لم تعثرا عليها". يطلب من الصبيين أن يخرجا، فتفتح المرأتان الشابتان اللتان أغلقتا باب شقتهما قبل قليل بابهما مجدّداً وتنظران خارجاً.

"لقد أتت تلك السيدة من المشرب الواقع في آخر الشارع، إنهم يحبسونها هناك لأنها مصابة بالخرف، ولا بد من أنها تسللت وضلت الطريق. لقد أتى صاحب المشرب إلى هنا وأخذها إلى البيت".

"لا أتحدث عن تلك السيدة بل عن هذه السيدة. لقد بدت قدمها متقيّحة، وظلت تطرد الذباب عنها بالرغم من أنني لم أنظر إليها عن كثب بسبب رائحتها الكريهة وقذارتها".

يسأل هايونغ تشول الصبي: "وماذا أيضاً؟ هل رأيت أين ذهبت؟".

"كلا، فقد قمت بمجرد الدخول. رأيتها تحاول أن تدخل، ولهذا فقط أغلقت البوابة في وجهها...".

لم يرَ أحد آخر الوالدة. يتبع الصبي هايونغ تشول إلى الخارج وهو يقول: "لقد رأيتها فعلاً!". فيعطي هايونغ تشول الصبي شيكاً بقيمة مئة ألف وان قبل أن يغادر. تلمع عينا الصبي من فرط السعادة، ويطلب هايونغ تشول من الصبي أن يجبر تلك السيدة على المكوث لديه إن رآها مرةً أخرى ثم يتصل به. يقول الصبي من دون أن يصغي إليه جيداً:

"هل ستعطيني خمسة ملايين وان عندئذٍ؟"، فيومئ **هايونغ تشول** برأسه. ثمّ يطلب الصبي منه أن يعطيه المزيد من الإعلانات ليعلقها على محطة الوقود حيث يعمل بدوام جزئي. ويقول إنه يجب على **هايونغ تشول** إن عثر على أمه بتلك الطريقة أن يكافئه بخمسة ملايين وان لأن ذلك سيحدث بفضله. فيعده **هايونغ تشول** بأن يفعل ذلك.

لقد تلاشت كل تلك الوعود التي قطعها لأمه عندما تبادلت معه الأماكن في غرفة المناوبة الليلية لتحميه من تيار الهواء وهي تقول: "أستطيع النوم بشكل أفضل إن نمت بجانب الجدار". وتلاشى ذلك العهد الذي قطعه لنفسه بأن تنام أمه في غرفة دافئة عندما تعود إلى المدينة مرة أخرى.

يخرج سيجارة من جيبه ويضعها بين شفتيه. إنه لا يعرف بالتحديد متى حدث هذا، ولكن مشاعره في وقت ما لم تعد تنتمي إليه وحده، فواصل حياته بعد أن كاد أن ينسى أمر أمه كلياً. ما الذي كنت أفعله عندما بقيت أمي وحدها في محطة قطار غريبة بعد أن فشلت في ركوب القطار مع أبي؟ ينظر مرة أخرى إلى المكتب ثم يستدير. ما الذي كنت أفعله؟ ينكّس رأسه بإحباط. في اليوم الذي سبق اختفاء أمه، خرج لاحتساء الشراب مع زملائه، ولكن الأمر لم ينتهِ على خير. فقد أدلى زميله **كيم**، الذي اعتاد التصرف باحترام وتهذيب، بملاحظة لطيفة عنه بعد أن احتسى كؤوساً عدة وأعلن أنه "ذكي". كان **هايونغ تشول** في العمل مسؤولاً عن مبيع الشقق قرب **سونغدو** في **إنتشون** بينما أشرف **كيم** على مبيع الشقق قرب **يونغين**. علق **كيم** على فكرة **هايونغ تشول** بتوزيع بطاقات حفلة موسيقية كهدية تشجيعية لزوار بيت

العرض. لم تكن هذه فكرته بل فكرة أخته الكاتبة. إذ عندما ذهبت تشاي هون لزيارته في بيته، أعطتها زوجته ممسحة للحمام عمل زوجها على توزيعها كهدية تشجيعية لآخر عرض بيع للشقق. فقالت أخته: "لا أعرف لماذا تعتقد الشركات أن سيدات المنازل يحببن هذا النوع من الأشياء".

تساءل هايونغ تشول عما يجب أن يمنحه كهدايا تشجيعية هذه المرة، ولهذا فقد سألها: "حسناً، ما هي برأيك الهدية التي تعتبر جديرة بالذكر؟".

"لست واثقة جداً، ولكن الناس ينسون هذا النوع من الأشياء سريعاً. أليس من الأفضل أن تختار قلم حبر أو شيئاً مشابهاً؟ فكر في الأمر. هل تظن أن زوجتك ستكون سعيدة بأن تهديها أدواتٍ مطبخية في ذكرى ميلادها؟ إن حصل المرء على ممسحة كعرض تشجيعي لمبيع شقق سكنية، فلن تبقى الهدية عالقة في ذهنه. ومع ذلك، فإنني أعتقد أنني سأفاجأ مفاجأة سارة إن قدم لي أحدهم كتاباً أو تذكرة لحضور فيلم سينمائي وأنني على الأرجح سأتذكرها دوماً. وإن توجب عليّ أن أعدّ خططاً لاستغلالها، فسأظلّ أتذكر المصدر الذي حصلت عليها منه. هل أنا الوحيدة التي تفكر بهذه الطريقة؟". عندما عادت أخته إلى بيتها، خلفت الممسحة وراءها رافضة أن تأخذها.

في الاجتماع الذي أجرته الشركة في الأسبوع الذي تلا ذلك، ذكر أحدهم موضوع الهدايا التشجيعية، فأحب الجميع الاقتراح الذي قدمه هايونغ تشول بتقديم هدية ثقافية. وشاءت الصدف أن يكون أحد المغنين، ممن لديهم الكثير من المعجبين من متوسطي العمر، يقيم سلسلة حفلات طويلة، ولهذا فقد اشترى هايونغ تشول عدداً كبيراً من التذاكر ووزعها كهدايا. فأثنى رئيسه عليه، وذلك ربما لأنه كان من

معجبي ذلك المغني. وأظهر استطلاع أجري حول الموضوع أن تذاكر الحفلة الموسيقية رفعت من تقديرات الشركة. وبيعت جميع شققه في **سونغدو** في حين أن نسبة مبيعات **كيم** من الشقق لم تتجاوز الستين بالمئة بالرغم من عدم وجود علاقة بين الهدايا التشجيعية والمبيعات. ولهذا السبب، أدلى **كيم** بهذه الملاحظة، فقام **هايونغ تشول** بمجرد الضحك ساخراً وقال إن هذه مجرد ضربة موفقة. ومع ذلك، فبعد بضع كؤوس أخرى، صرح **كيم** أن **هايونغ تشول** كان ربما ليصبح المدعي العام الرئيس في إحدى المحاكم لو أنه استغل ذكاءه للوصول لذلك الهدف. كان **كيم** على علم بالتحاق **هايونغ تشول** بكلية الحقوق وتقدمه لامتحان الأستاذية، فأدلى بتعليق ساخر عن الخطة التي استخدمها **هايونغ تشول** ليحصل على ترقية بهذه السرعة بالرغم من أنه ليس متخرجاً حتى من جامعة **يونسي** أو **كوريو** التي خرّجت أهم اللاعبين الرئيسين في الشركة. وفي النهاية، ألقى **هايونغ تشول** الشراب الذي صبه **كيم** في كأسه وغادر. وفي صباح ذلك اليوم، قالت له زوجته إنها ستذهب لزيارة ابنتهما **تشين** بدلاً من الذهاب إلى محطة **سول**، فقرر أن يلاقي والديه بنفسه. لقد أراد الوالد أن يمر ببيت ابنه الأصغر الذي انتقل لتوه إلى بيت جديد، لذلك، قرر **هايونغ تشول** أن يوصلهما إلى بيت أخيه، ولكنه حالما وصل إلى العمل، شعر بالبرد وببعض الصداع. وتذكر أن الوالد ذكر إنه يستطيع أن يستدل على الطريق بمفرده... وهكذا، فقد ذهب **هايونغ تشول** إلى نادٍ للساونا قرب مقرّ عمله بدلاً من الذهاب إلى محطة **سول**. وبينما هو يتعرق في الساونا، التي اعتاد أن يزورها بعد أن يفرط في الشرب، ركب والده القطار مخلفاً أمه وحدها في المحطة.

* * *

عندما كان صبياً، عقد **هايونغ تشول** العزم على أن يصبح مدعياً عاماً ليجعل أمه تعود إلى البيت. إذ إنها غادرته لأن والده تسبب لها بخيبة أمل كبيرة. ففي يوم ربيعي تفتحت فيه الزهور في بساتين القرية وحقولها، أحضر والده إلى البيت امرأة ذات بشرة فاتحة تفوح منها العطور، وعندما دخلت هذه المرأة من البوابة الأمامية، غادرت أمه من البوابة الخلفية. حاولت تلك المرأة أن تستميل قلب **هايونغ تشول** البارد بأن وضعت بيضة مقلية فوق طعام غدائه كل يوم. فأصبح يخرج من البيت غاضباً وفي حوزته علبة غدائه التي لفتها تلك المرأة بالوشاح بكل عناية ويتركها فوق مرطبانات التوابل الكبيرة ويذهب إلى المدرسة، ولكن إخوته لم يمتنعوا عن أخذ غدائهم وراحوا ينظرون إليه بمنتهى الريبة. في صباح يوم ضبابي، وبينما هم في طريقهم إلى المدرسة، جمع **هايونغ تشول** إخوته عند الجرف الذي يحيط بالمقبرة وحفر حفرة قرب شجرة صفصاف باكية مزهرة وأمرهم أن يدفنوا غداءهم فيها. حاول أخوه أن يهرب بغدائه، ولكنه أمسك به وضربه. فدفنت شقيقتاه غداءهما بإذعان. وهكذا، اعتقد **هايونغ تشول** أن هذه المرأة لن تتمكن مجدّداً من إعداد الغداء لهم، ولكنها توجهت إلى البلدة واشترت علباً جديدة تحتفظ بحرارة الطعام على عكس علب الألمنيوم القديمة تلك. تحسس أشقاؤه العلب الجديدة بعناية وهم يشعرون بالرهبة. وعندما أعطتهم هذه المرأة غداءهم، أخذوا يرمقونه بنظرات التساؤل، فألقى بغدائه في آخر الشرفة وغادر إلى المدرسة وحيداً. انتظر إخوته إلى أن ابتعد عن الأنظار ثم توجهوا إلى المدرسة بأنفسهم حاملين علب غدائهم الدافئة بين أيديهم. وذات يوم، سمعت أمه من شخص ما أنه لا يأخذ غداءه الذي تعده تلك المرأة ولا يأكل أي طعام أيضاً. فأتت إلى المدرسة لتقابله. حدث ذلك بعد مرور عشرة

أيام على قدوم تلك المرأة لتعيش معهم.

صاح **هايونغ تشول**: "أمي!"، وتدفقت الدموع من عينيه.

قادته أمه إلى التلة خلف المدرسة، ورفعت بنطاله لتكشف عن ربلتي ساقيه الناعمتين ثم أحضرت سوطاً وضربته به.

"لماذا لا تأكل؟ هل تظن أنك تسعدني بهذا التصرف؟".

ضربته أمه بقسوة شديدة. لقد استاء استياء شديداً لأن إخوته لم يطيعوا أمره. والآن لم يفهم سبب غضب أمه وضربها له. فامتلأ قلبه بالحيرة والتساؤل.

"هل ستأخذ غداءك؟ هل ستأخذه؟".

"كلا!".

"أيها الولد...".

ازداد ضرب أمه له قسوة، ولكنه لم يعترف بالألم مرة واحدة. وسرعان ما نال التعب من أمه. وبدلاً من أن يهرب، وقف ساكناً وصامتاً وهو يعاني من ألم ضرباتها.

"حتى الآن؟".

تدفق الدم من ربلتي ساقيه من شدة الضرب.

وصاح قائلاً: "حتى الآن!".

وأخيراً، رمت أمه السوط، وصاحت: "أيها الولد الشقي! **هايونغ تشول!**"، وعانقته وهي تجهش بالبكاء. وأخيراً، توقفت عن البكاء وحاولت إقناعه قائلةً له إنه يجب عليه أن يأكل أياً كان من يطبخ الوجبات، وإنها ستصبح أقل حزناً إن تناول طعاماً جيداً. \الحزن! إنها المرة الأولى التي يسمع أمه فيها تذكر فيها كلمة الحزن. لم يدرك السبب الذي يجعل تناوله لطعامه مصدر سعادة لأمه. عندما غادرت أمه البيت بسبب تلك المرأة، ظن أنها ستحزن إن تناول طعام تلك المرأة،

ولكنها قالت له إن العكس صحيح، وإنها ستصبح أقل حزناً إن أكل طعامه حتى لو كان طعام تلك المرأة. كلا، لم يفهمها، ولكن لم يكن يريدها أن تحزن، فقال لها بتذمر: "سآكله".

لمعت عينا أمه المليئتان بالدموع وهي تبتسم قائلة: "هذا ولدي!".

فأصر عليها قائلاً: "إذاً، عديني أنك ستعودين إلى البيت!".

قالت أمه بتلعثم: "لا أريد العودة إلى البيت".

"لماذا؟ لماذا؟".

"لا أريد أن أرى أباك مجدّداً أبداً".

سالت الدموع على خديه. فقد أوحى إليه تصرف أمه بأنها ترفض العودة إلى البيت مجدّداً وأنها ربما لهذا السبب طلبت منه أن يأكل أيًّا كان من يطهي الطعام. فبعث هذا الخوف في نفسه.

"سأفعل أي شيء من أجلك يا أمي. سأعمل في الحقول وأكنس الباحة وأجلب الماء. سأطحن الأرز وأشعل النار. سأطارد الفئران وأذبح الدجاج من أجل الاحتفال بطقوس الأسلاف، ولكن من فضلك عودي إلى البيت!".

لطالما توسلت أمه والده أو أيَّ رجل آخر في العائلة أن يذبح دجاجة نيابة عنها من أجل الاحتفال بالطقوس أو العطلات. لقد اعتادت أن تخرج إلى الحقول بعد المطر الغزير وتُسنّد نبات الفاصولياء طول اليوم وتساعد الوالد ليعود إلى البيت وهو ثمل وأن تضرب الخروف بالعصا لأنه هرب من الحظيرة لتعيده إلى الداخل، ولكنها كانت تعجز عن ذبح دجاجة. وإن اصطاد **هايونغ تشول** سمكاً من الجدول، فلا تلمسه إلى أن يموت. وعندما طلبت المدرسة من الطلاب أن يحضروا ذيل فأر ليثبتوا أنهم اصطادوا فئراناً في بيوتهم في أثناء أيام القبض على الفئران، أمسكت أمهات الأطفال الآخرين فئراناً وقطعن ذيولها ولففنها

بالورق ليأخذها أطفالهن إلى المدرسة، ولكن الوالدة اشمأزت حتى من مجرد سماعه يتحدث عن الأمر. وبالرغم من أنها امرأة ذات بنية قوية، فلم تستطع أن تحمل نفسها على الإمساك بفأر. وإن دخلت إلى المخزن لتحضر بعض الأرز ووجدت فأراً، صرخت وركضت هاربة. فكانت العمة تحدق إليها باستهجان عندما تراها هاربة من المخزن ووجهها محمر. وهكذا، فقد وعدها هايونغ تشول أن يذبح الدجاج ويطارد الفئران. ومع ذلك، فلم توافق الوالدة على العودة إلى البيت.

وعدها هايونغ تشول قائلاً: "سأصبح شخصاً مهماً".

"ماذا تريد أن تصبح؟".

"سأصبح مدعياً عاماً!".

تألقت عينا أمه من فرط الإعجاب وقالت له: "إن كنت تريد أن تصبح مدعياً عاماً، فعليك أن تدرس بجد واجتهاد أكثر بكثير مما تفعل الآن. إنني أعرف شخصاً أراد أن يصبح مدعياً عاماً، فدرس ليلَ نهارَ، ولكنه لم يفلح في تحقيق هدفه، فجن جنونه".

"سأفعل ذلك إن عدت إلى البيت...".

نظرت أمه إلى عينيه القلقتين وابتسمت قائلةً: "نعم، إنك قادر على تحقيق حلمك. فقد تمكنت من قول كلمة ماما قبل أن تبلغ من العمر مئة يوم. وبالرغم من أن أحداً لم يعلمك القراءة، فقد تعلمتها حالما دخلت المدرسة وأصبحت الأول على صفك"، تنهدت ثم قالت: "لماذا أغادر ذلك المنزل وأنت فيه... لماذا لم أفكر في ذلك؟ إنك هناك".

حدقت أمه إلى ربلتي ساقيه الملطختين بالدم، ثم التفتت وجلست القرفصاء، وطلبت منه أن يصعد على ظهرها. وعندما نظر إليها، أدارت أمه رأسها وقالت: "هيا اصعد، لنذهب إلى البيت".

هكذا عادت أمه إلى البيت في فترة العصر المتأخر من ذلك اليوم. فطردت تلك المرأة الأخرى من المطبخ وطهت الطعام. وعندما ذهبت تلك المرأة والوالد ليعيشا في منزل آخر في البلدة، شمرت الوالدة عن ساعديها وذهبت إلى منزلهما وأمسكت قدر الأرز المعلّقة فوق موقدهما وألقت بها في الجدول. لقد شعر أن والدته تحولت إلى محاربة كي تحافظ على الوعد الذي قطعته له وتعود إلى البيت. وعندما لم يعد الوالد وتلك المرأة قادرين على تحمل إزعاج الوالدة وغادرا البلدة كلياً، استدعت الوالدة **هايونغ تشول**، الذي بدأ يخشى أن تغادر مجدّداً، إليها وجلست بجانبه وسألته بهدوء قائلة: "كم صفحة درست اليوم؟"، وعندما أراها الاختبار الذي نال فيه أعلى علامة، استعادت عينا الوالدة الكامدتان بريقهما، وتأملت ورقة الاختبار التي أشار فيها المعلم بدائرة إلى كل إجابة صحيحة، وجذبته إليها لتعانقه.

"آه يا ولدي الحبيب!".

أغدقت أمه عليه الدلال في أثناء غياب أبيه، فسمحت له أن يركب دراجة الوالد وأعطته حصيرة نومه وغطته بملاءته، وسكبت له الأرز في الطبق الكبير المخصص للوالد وحده، وأصبحت تضع أول طبق حساء أمامه. فإن بدأ إخوته يأكلون، وبختهم قائلة: "لم يأخذ أخوكم ملعقته بعد!"، وعندما كان تاجر الفاكهة يأتي ومعه سلة مطاطية مليئة بالعنب، كانت تقايض طبقاً نصف مليء ببذور السمسم المجففة ببعض العنب وتخبئه **لهايونغ تشول** ثم تقول للآخرين: "هذا العنب من أجل أخيكم". وظلت تذكّره قائلة: "يجب عليك أن تصبح مدعياً عاماً".

لقد بدأ يظن أن عليه أن يصبح مدعياً عاماً ليبقي أمه في البيت.

في خريف ذلك العام، حصدت الوالدة الأرز وقشرته وجففته بنفسها من دون مساعدة الوالد، فأصبحت تخرج عند الفجر إلى الحقول وتنحني لتقطع نبات الأرز بمنجلها وتقشر الحبة وتنشرها على الأرض في أشعة الشمس لتجفّ ثم تعود إلى البيت بعد أن يحل الظلام. وعندما حاول **هايونغ تشول** أن يمدها بيد العون، قالت له الوالدة: "اذهب وادرس"، ودفعته إلى مكتب الدراسة. وفي أيام الأحد الدافئة، وبعد أن تم حصاد جميع محصول الأرز، بدأت الوالدة تأخذ أشقاءه إلى الحقول والتلال لينبشوا البطاطا الحلوة، ولكنها دفعت به إلى مكتب الدراسة. وأصبح إخوته يعودون كل يوم إلى البيت عند الغسق وهم يدفعون أمامهم عربة مليئة بالبطاطا الحلوة. ومع أن أخاه أراد أن يبقى في البيت ليدرس، فقد أجبرته الوالدة على الخروج معها إلى الحقول. وهكذا، فقد كان يعود كل ليلة ويجلس القرفصاء بجانب البئر ليغسل يديه من التراب.

"هل **هايونغ تشول** مهم إلى هذا الحد يا أمي؟".

ضربت أمه أخاه الأصغر على رأسه من دون أن تفكر في السؤال مرة أخرى، وقالت: "نعم".

فأجابها أخوه ووجنتاه محمرتان من الهواء الطلق: "إذاً، فأنت لست بحاجة إلينا؟".

"كلا! لست بحاجة إليكم".

"إذاً، سنذهب لنعيش مع والدي!".

"ماذا؟". أوشكت أمه أن تضربه مرة أخرى ولكنها منعت نفسها وقالت: "أنتم مهمون أيضاً. إنكم جميعاً مهمون! تعالوا إلى هنا، يا أطفالي المهمين!"، فانفجر الجميع ضاحكين. فسمعهم **هايونغ تشول** بينما هو جالس في الغرفة الدافئة أمام مكتبه يصغي إلى حديثهم أمام

البئر وابتسم أيضاً.

لم يدرك أحد متى بدأ ذلك يحدث بالتحديد، ولكن الوالدة لم تعد تقفل البوابة ليلاً. وبعد وقت قصير، بدأت تضع القليل من الأرز في طبق الوالد عندما كانت تغرف الطعام للجميع وتتركه تحت الملاءة في أكثر مكان دفئاً في الغرفة. درس هايونغ تشول بجد أكبر في غياب الوالد، وظلت الوالدة ترفض السماح له بتقديم المساعدة في المحصول. وإن أرادت أن توبخ الآخرين لأنهم تركوا الفلفل مفروداً في الباحة تحت المطر، منعت نفسها وتحدثت بصوت منخفض لئلا تزعجه وهو يدرس. في تلك الأيام، بدا وجه الوالدة مجعداً من شدة التعب والقلق، ومع ذلك، فعندما كان هايونغ تشول يدرس بصوت عالٍ، كان الجلد حول عينيها يصبح أكثر إشراقاً وكأنها وضعت مساحيق التجميل. وكانت أمه تغلق باب غرفته أو تفتحه بهدوء شديد لئلا تزعجه وتضع في غرفته طبقاً من البطاطا الحلوة المسلوقة أو الفاكهة ثم تغلق الباب بهدوء. وفي ليلة من ليالي الشتاء والثلج يتساقط على الشرفة، دخل الوالد من البوابة الأمامية وتنحنح وأخذ حذاءه وضربه على الجدار ليزيل الثلج ثم فتح الباب. كان الطقس بارداً جداً لدرجة أن الجميع خلدوا إلى النوم معاً، فاستطاع هايونغ تشول من خلال عينيه نصف المطبقتين أن يرى والده يلمس رأس كل واحد من أولاده ويتأملهم وهم نيام. وضعت الوالدة طبق الأرز الذي اعتادت أن تحتفظ به في أكثر مكان دفئاً في الغرفة على الطاولة ووضعت طبقة من أعشاب البحر المحمّصة بالزيت بجانب طبق الأرز. رآها الوالد تضع وعاء من ماء الأرز المغلي بجانب طبق الأرز من دون أن تتفوه بكلمة وكأنه غادر ذلك الصباح وعاد ليلاً، ولم

يغادر في الصيف ويعد خجلاً بعد أن باغته برد الشتاء القارس.

عندما تخرج **هايونغ تشول** من الكلية ونجح في امتحان القبول للشركة التي يعمل فيها حالياً، لم يُدخِل هذا السرور على قلب الوالدة، ولم تبتسم حتى عندما هنأها الجيران لتوظيف **هايونغ تشول** في شركة من الشركات الكبرى. وعندما عاد إلى البيت ومعه هدية تقليدية اشتراها براتبه الأول، بالكاد نظرت إليها وأجابته ببرود قائلة: "ماذا عن طموحك السابق؟".

فأجابها ببساطة أنه سيجتهد في عمله في الشركة ويوفر المال لعامين ثم يعود إلى الدراسة من جديد.

* * *

الآن يفكر في كل هذه الأحداث ويتذكر كيف دفعه وجود أمه للاستمرار ببناء عزمه وتصميمه كرجل وإنسان.

* * *

عندما أحضرت أمه أخته، التي تخرجت لتوها من المدرسة الإعدادية، إلى المدينة لتمكث معه، أخذت تعتذر إليه طوال الوقت. لقد حدث هذا عندما كان في الرابعة والعشرين من عمره وقبل أن يتمكن من ادخار المال للخضوع لامتحان الجامعة مرة أخرى، فأبقت أمه عينيها مسبلتين خجلاً وقالت له: "يجب أن تحظى أختك بالمزيد من التعليم لأنها فتاة، لذا، أتمنى أن تجد طريقة تمكنها من الالتحاق بالمدرسة هنا. فأنا لا أريد لها أن تعيش حياة كحياتي".

تقابلوا أمام برج الساعة في محطة **سول**، وقبل أن تتوجه الوالدة إلى البيت، اقترحت عليهم أن يتناولوا وجبة من الأرز والحساء. وعندما دخلوا المطعم، أخذت تنتقي قطع اللحم من حسائها وتضعها في طبقه. وبالرغم من أنه قال إنه لم يعد يستطيع أن يأكل كل هذا اللحم وطلب

منها أن تأكل بعضه، فقد أصرت على أن تضع اللحم في طبقه. وبالرغم من أن تناول الطعام كانت فكرتها هي، فلم تدخل لقمة واحدة فمها.

فسألها: "ألست جائعة؟".

قالت له: "إنني آكل". ولكنها ظلت تلقي باللحم في طبقه. ثم سألته: "ولكن أنت... ما الذي ستفعله؟"، وضعت أمه ملعقتها المليئة بالحساء وقالت: "إنها غلطتي أنا. إنني آسفة يا **هايونغ تشول**".

وقفت أمه في محطة سول لتركب قطارها المتوجه نحو البيت ويداها الخشنتان بأظافرهما القصيرة مدفونتان في جيبيها وعيناها مليئتان بالدموع. ظن **هايونغ تشول** عندئذ أن عينيها تبدوان كعيني بقرة لبراءتهما ووداعتها.

* * *

اتصل بأخته فوجد أنها لا تزال في محطة سول وقد بدأ الليل يخيم على المدينة. التزمت أخته الصمت عندما سمعت صوته وكأنها تريده أن يبادر بالكلام. لقد وضعا أرقام هواتفهم جميعاً على الإعلان، ولكن أخته تلقت أغلب المكالمات التي اتضح أن معظمها تقارير كاذبة. فقد قال أحدهم: "إن السيدة معي الآن". وقدم شرحاً مفصلاً لمكان تواجده. فأسرعت أخته في سيارة أجرة إلى الجسر الذي أرشدها إليه المتصل، وعثرت على شاب ثمل وليس معه امرأة. راح الشاب يشخر وهو غائب عن الوعي لدرجة أنه لم يكن ليشعر حتى جره أحد بالعربة.

قال لأخته: "لم أعثر عليها هنا".

فأطلقت أخته نفساً مكتوماً.

سألها: "هل ستبقين في المحطة؟".

"لبعض الوقت... لا يزال لدي بعض الإعلانات".

"سآتي إليك. دعينا نتناول العشاء".

"لست جائعة".

"إذاً، لنحتسِ شراباً".

سألته: "شراباً؟"، ثم التزمت الصمت للحظة ثمّ قالت: "لقد تلقيت مكالمة هاتفية من صيدلي يعمل في صيدلية سوبو أمام سوق سوبو في يوكتشون دونغ. قال إنه رأى إعلاناً أراه إياه ابنه ويظن أنه رأى امرأة تشبه أمنا في يوكتشون دونغ قبل يومين... ولكنه قال إنه رآها تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق وإنها لا بد من أنها قد مشت مسافة طويلة لأن قدمها بدت مجروحة وملتهبة حتى أصابع قدميها مما جعله يضع دواء عليها".

صندلاً أزرق؟ وسقط هاتفه الخلوي عن أذنه.

"أخي!".

أعاد ضغط الهاتف على أذنه.

"سأذهب إلى هناك. هل تريد أن تذهب؟".

سألها: "يوكتشون دونغ؟ أتعنين سوق سوبو التي كنا نسكن قربها؟".

"نعم".

"حسناً".

لم يشعر هايونغ تشول برغبة في الذهاب إلى البيت، كما أنه لن يجد كلاماً يقوله لأخته عندما يلتقي بها. فقد اتصل بها وهو يحدث نفسه بألا يذهب إلى البيت. ولكن يوكتشون دونغ؟ رفع يده ليطلب سيارة أجرة. إنه لا يعي ما يحدث، فقد اتصل به أناس عدة وقالوا إنهم رأوا امرأة تشبه أمهم تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق. ومما يدعو

للاستغراب، فقد قالوا جميعاً إنهم رأوها في أرجاء بعض الأحياء التي عاش فيها. فإن مر إلى هناك، قال المتصلون إنهم رأوها قبل ثلاثة أيام أو أحياناً قبل أسبوع. وقال له أحدهم إنه رآها قبل شهر على اختفائها. في كل مرة يتلقى فيها معلومة ما، كان يذهب إلى ذلك المكان وحيداً أو مع إخوته أو أبيه. وبالرغم من أنهم جميعاً قالوا إنهم رأوها، فلم يتمّ العثور على امرأة تشبه أمه وتنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق. وبعد أن سمع قصصهم، لم يجد ما يفعله سوى أن يعلّق بعض الإعلانات على أعمدة الكهرباء في الجوار أو على شجرة في الحديقة أو داخل كشك هاتف من قبيل الاحتياط. وإن مر ببعض الأحياء التي سكن فيها في ما مضى، تلكأ لبعض الوقت واختلس النظر إلى تلك البيوت التي أصبح آخرون يقطنون فيها.

لم تعتد أمه أن تأتي لزيارته في بيته بمفردها قط، إذ لطالما ذهب أحد أفراد العائلة ليرحّب بها في محطة **سول** أو محطة الحافلات السريعة. وفي إحدى المرات، لم تبارح أمه مكانها إلى أن أتى أحدهم ليأخذها إلى وجهتها التالية. وإن أرادت زيارة بيت أخيه، توجه لاصطحابها، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أخته. لم يعترف أحد بالأمر صراحة، ولكنه وأفراد عائلته أصبحوا يعتقدون في قرارة نفوسهم أنها عاجزة عن التوجه إلى أي مكان في هذه المدينة بمفردها. ولهذا السبب، فكلما ذهبت الوالدة إلى **سول**، رافقها أحد أولادها. يدرك **هايونغ تشول** الآن، بعد أن وضع إعلان الصحيفة ووزع النشرات الإعلانية، أنه قد عاش في اثني عشر حياً مختلفاً. يستقيم في وقفته وينظر إلى الأعلى متذكراً أن **يوكتشون دونغ** هو أول مكان امتلك فيه بيته الخاص.

* * *

قالت أخته بعد أن استقلاّ سيارة الأجرة المتوجهة إلى **يوكتشون**

دونغ وهي تفرك يديها ببعضهما: "ستحلّ ذكرى حصاد اكتمال القمر في غضون بضعة أيام..."، فتخطر الفكرة نفسها بباله ويتنحنح ويعبس. إن هذه الذكرى تدوم بضعة أيام. وفي كل ذكرى، تذكر وسائل الإعلام أن عدداً أكبر من الناس هذا العام مسافرون خلال العطلة. قبل أكثر من سنتين، اعتاد الناس أن يوجهوا نقداً لاذعاً إلى أولئك الذين يسافرون إلى خارج البلاد خلال المناسبات، ولكن الناس أصبحوا الآن يقولون بوقاحة: "انتظروني أيها الأسلاف، سأعود لاحقاً"، ثم يتوجهون إلى المطار. وعندما بدأ الناس يقيمون طقوس الأسلاف في شقق العطلات المشتركة، تملكهم القلق من ألا يتمكّن الأسلاف من العثور عليهم، ولكن الناس الآن أصبحوا يقومون بمجرد ركوب الطائرات. صباح اليوم، قالت زوجته، بعد أن قرأت الصحيفة، وكأنها تسمع بالخبر للمرة الأولى: "يقولون هنا إن أكثر من مليون شخص سيسافرون خارج البلاد هذا العام".

أجابها قائلاً: "إن هؤلاء الناس بالتأكيد يملكون الكثير من المال". فتمتمت قائلة: "إن الناس الذين لا يستطيعون المغادرة... حسناً، إنهم لا يتحلون بقدر كبير من الذكاء".

قام الوالد بمجرد الإصغاء إليهما بصمت.

تابعت زوجته قائلة: "إن أصدقاء الأولاد مسافرون خلال حصاد اكتمال القمر، لذا فهم يقولون إنهم يتمنون لو نفعل هذا بدورنا". وعندما رمق زوجته بنظرة غاضبة بعد أن أصبح عاجزاً عن الإصغاء إليها بعد الآن، شرحت كلامها قائلة: "تعرف كم هم حساسون حيال هذه الأمور". نهض الوالد عن كرسيه بجانب الطاولة ودخل إلى غرفته.

قال هايونغ تشول بغضب: "هل جننت؟ أهذا وقت التحدث عن هذه الأمور؟"، فأجابت زوجته: "أصغِ إليّ، لقد قلت لك إن الأولاد هم

من يقولون هذا. هل قلت إنني أنا من أريد ذلك؟ ألا أستطيع أن أروي لك ما قاله الأولاد؟ إن هذا محبط جداً. هل يفترض بي العيش من دون التفوه بكلمة واحدة؟"، ونهضت مغادرة الغرفة.

* * *

سألت **تشاي هون**: "ألا ينبغي لنا أن نقيم طقوس الأسلاف؟".

"منذ متى وأنت تأبهين لطقوس الأسلاف؟ لم تأتي إلى البيت لتمضية العطلات قط. والآن أصبحت تهتمين بحصاد اكتمال القمر؟".

"لقد تصرفت بحماقة، وما كان ينبغي لي أن أفعل ذلك".

راقب أخته وهي تتوقف عن فرك يديها ببعضهما وتقحمهما في جيبي سترتها. لم تتخلص من تلك العادة بعد!

* * *

عندما أقام **هايونغ تشول** مع أخيه وأخته في بيت واحد، كان يضطر إلى النوم معهما في الغرفة نفسها. فاعتادت أخته أن تحتل المكان المتاخم للجدار بينما ينام هو في الوسط وأخوه في الطرف الآخر. كان كل ليلة تقريباً يستيقظ ليجد يد أخيه على وجهه فيبعدها بحرص، ثم ما إن يوشك على النوم مجدّداً، حتى تضرب يد أخته صدره. لم يُتح لهم النوم في تلك الغرفة التقلب بحرية كما يحلو لهم. وفي إحدى الليالي، صاح **هايونغ تشول** عندما لكمه أحد أخويه على عينه، فاستيقظا فزعين: "هيه! أنت!".

وعندما اكتشفت أخته ما حدث، أسرعت بدس يديها في جيبي سروالها القطني الذي ارتدته للنوم، وراحت تتململ بعصبية.

"إن كنتما ستستمران في التصرف هكذا، فعودا إلى البيت!".

عندما حل الصباح، ذهبت أخته إلى بيت والديها آخذةً معها كل أشيائها. لكنّ أمها أعادتها إلى محطة **سول** وطلبت منها أن تجثو على

ركبتيها أمامه وتطلب منه الصفح والمغفرة، ولكنها كانت فتاة صعبة المراس، ولم ترضَ أن تحرك ساكناً.

قالت أمه: "اطلبي منه أن يسامحك!"، ولكن أخته لم تتزحزح.

لطالما تصرفت أخته بلطف ووداعة، ولكنّ أحداً لم يكن يستطيع تغيير رأيها إن هي عقدت العزم على شيء ما. كان **هايونغ تشول**، خلال فترة دراسته الإعدادية، يجبر أخته على غسل حذائه الرياضي رغماً عن إرادتها، فأطاعت الأوامر وغسلت الحذاء مرات عدة، ولكنها ذات يوم استشاطت غضباً وأخذت حذاءه الجديد القذر إلى الجدول وألقته في الماء، فجرى أخوها على طول الجدول محاولاً أن ينقذ حذاءه الطافي على سطح الماء. وبعد أن مضى وقت طويل، أصبحت تلك الحادثة ذكرى عزيزة لا يستطيع الأخوان إلا أن يتشاطرانها، ولكنه في ذلك الوقت من الماضي عاد إلى البيت ومعه فردة واحدة من الحذاء وقد تحولت إلى اللون الأخضر بسبب المياه اللزجة والطحالب، فوشى بأخته. وعندما أحضرت أمه العصا لتتوعد أخته وهي تتساءل كيف أصبحت صعبة المراس هكذا، لم تعترف الأخت بذنبها أو تعتذر. وبدلاً من ذلك، ثارت في وجه أمها وقالت: "قلت له إنني لا أريد غسل حذائه! قلت له ذلك! ومن الآن فصاعداً لن أفعل أي شيء رغماً عن إرادتي".

في تلك الغرفة الصغيرة، أمرت أمه أخته العنيدة قائلة: "لقد قلت لك أن تطلبي منه السماح. إن أخاك بمثابة أبيك هنا، وإن لم تُغيّري عادتك في أخذ أشيائك والمغادرة لمجرد أن أخاك وبخك، فستبقى هذه العادة ملتصقة بك مدى الحياة. هل ستفعلين الشيء نفسه عندما

تتزوجين؟ أكلما وقع لك أمر لا يوافق مزاجك أخذت أغراضك ورحلت؟".

ظلت أمها تأمرها بطلب المغفرة من أخيها، ولكنها ظلت تدفن يديها داخل جيبيها. تنهدت الأم بحزن وقالت: "إن هذه الفتاة لن تصغي إلي. إنها تتجاهلني لأنني فقيرة وغير مثقفة..."، وعندما تحول تفجع الأم إلى دموع بدأت تنهمر من عينيها قالت الأخت: "ليس الأمر هكذا يا أمي!"، ووجدت نفسها مجبرة على الاعتذار لتمنع أمها من الاستمرار في البكاء ثمّ قالت: "سأطلب منه السماح، سأعتذر منه". وأخرجت يديها من جيبيها وطلبت منه أن يسامحها. ومن ذلك الوقت، أصبحت أخته تنام ويداها في جيبيها. وكلما رفع صوته عليها، أسرعت بدفن يديها في جيبي سروالها.

بعد اختفاء الوالدة، أصبحت الأخت العنيدة تعترف بخطئها عندما يشير أحدهم إلى أمر ما مهما كان تافهاً، وتقول بكل خضوع: "لقد ارتكبت خطأً. ما كان ينبغي لي أن أتصرف هكذا".

* * *

سألت **تشاي هون**: "من سينظف نوافذ البيت؟".

"ما الذي تتحدثين عنه؟".

"عندما كنا نذهب إلى البيت في هذا الوقت من السنة، كنا دائماً نجد أمي تنظف النوافذ".

"النوافذ؟".

"نعم بالطبع. فقد اعتادت أن تقول: كيف يسعنا أن نترك نوافذنا متسخة هكذا وسيأتي جميع أفراد العائلة لحضور طقوس حصاد اكتمال القمر؟".

يلوح زجاج نوافذ البيت العديدة اللامع أمام عينيه. إن البيت الذي أعيد بناؤه حديثاً يحوي نوافذ في كل غرفة ولا سيما غرفة المعيشة، على عكس البيت القديم الذي لم يكن له سوى لوح زجاجي واحد في الباب.

"عندما اقترحت أن تستخدم شخصاً لينظف النوافذ، قالت لي: من سيأتي إلى هذا البيت الريفي لمجرد القيام بهذا؟"، ثمّ تنهدت ومدت يدها إلى نافذة سيارة الأجرة ومسحتها.

سألت: "لقد اعتادت الوالدة ونحن صغار أن تنزع كل أبواب البيت وتغسلها في هذا الوقت من السنة. أتتذكر هذا؟".

"نعم".

"هل تتذكر؟".

"قلت إنني أتذكر ذلك".

"إنك تكذب".

"لماذا تقولين إنني كاذب؟ إنني أتذكر فعلاً. فقد أصرت على لصق أوراق نبات القيقب على الأبواب بعد غسلها حتى لو وبختها عمتي لقيامها بذلك.

"إذاً، أنت تتذكر فعلاً. هل تتذكر كيف كنا نقصد عمتنا لنقطف أوراق القيقب؟".

"أتذكر".

* * *

قبل أن يتم بناء البيت الجديد، اعتادت الوالدة أن تختار يوماً مشمساً قبل يوم حصاد اكتمال القمر وتنزع كل باب من أبواب البيت ثم تنظّفها بالماء وتضعها في الشمس حتّى تجفّ، وتصنع بعض المعجون وتفرك بعض ورق التوت على الأبواب. فإن رأى أحد أفراد العائلة

الأبواب منزوعة ومتروكة لتجفّ على جدار البيت، فكر في سرّه قائلاً: لقد أوشك أن يحين حصاد اكتمال القمر.

لماذا لم يتطوع أحد لمساعدة الوالدة بفرك الأبواب بالورق الجديد بالرغم من وجود رجال كثر في العائلة؟ في الوقت الذي أخذت أخته فيه على الأرجح تعبث وتدس إصبعها في دلو المعجون السائل وتفتلها، راحت الوالدة تمسك بالفرشاة وتضع المعجون بسرعة على الورق وكأنها ترسم زهور السحلبية للوحة حبر تقليدية، وكلُّ هذا بنفسها، ثم تلصق الورق على إطار الباب النظيف بضربة بارعة. بدت إيماءاتها موحية بالمسرة والبهجة. لقد قامت أمه بإنجاز أعمال لا يتجرأ الآن على تجربتها مع أنه أكبر سناً بكثير مما كانت عليه آنذاك. ولطالما أنجزت ذلك ببراعة وسهولة. فإن سألها إن كان في وسعه أن يساعدها، طلبت منه ومن أخته وهي تمسك بالفرشاة الكبيرة بيدها أن يقطفا أوراق القيقب الكوري. وبالرغم من أن باحة بيتهم كانت مليئة بكل أنواع الأشجار، فقد طلبت الوالدة بالتحديد أوراق القيقب التي لا يملكون شجرة واحدة منها في البيت. ذات مرة، غادر البيت ليحضر أوراق القيقب ومرّ بالأزقة والجدول ومشى طوال الطريق الجديد إلى بيت عمته. وبينما هو يقطف الأوراق هناك، سألته عمته: "ماذا ستفعل بها؟ هل طلبت منك أمك أن تحضرها؟ ما هذا الهراء الذي تقوم به أمك؟ إن نظر المرء إلى باب بيت عليه ورقة قيقب في الشتاء ازداد شعوره بالبرد، ولكنها مصرة على الاستمرار في ذلك العمل مع أنني أطلب منها دائماً أن تكف عنه!".

عندما أحضر حفنتين من الأوراق، وضعت أمه الورقات الأجمل على جانب مقبض كل باب من الجانبين وألصقت أوراق التوت عليها. ووضعت على باب غرفته ثلاث ورقات أكثر من الأبواب الأخرى

وفردت الأوراق الخمس كالزهرة وضغطتها برفق براحتي يديها، ثم تسأله: "هل تعجبك؟". لقد بدت الورقات أشبه بطفل صغير يفتح يديه. وبالرغم من كل ما قالته عمته، فقد رآها جميلة جداً. وعندما قال إنها تبدو رائعة، أشرقت ابتسامة براقة على وجه أمه. من وجهة نظر أمه، التي لطالما كرهت أن تحلّ هذه المناسبة وأبواب البيت مهترئة أو مليئة بالثقوب بسبب فتحها وإغلاقها خلال الصيف، كان وضع أوراق أبواب جديدة يعني البداية الحقيقية للخريف واقتراب احتفال حصاد اكتمال القمر. إنها على الأرجح تريد أن تحافظ على العائلة من البرد والرياح العاتية أيضاً. تساءل في سره قائلاً: ترى أتلك كانت أكثر لحظة رومانسية نعمت بها أمه في ذلك الوقت من الماضي؟

* * *

وضع يديه بشكل غير إرادي داخل جيبي سرواله كما تفعل أخته. ظلت أوراق القيقب التي ألصقتها أمه على الأبواب إلى ما بعد انقضاء موسم حصاد اكتمال القمر. وصمدت طوال الشتاء والثلج إلى أن نبتت أوراق جديدة في الربيع.

لقد بدأ اختفاء الوالدة يثير أحداثاً في ذاكرته ولحظات كلحظة أوراق القيقب بعد أن خال نفسه قد نسيها.

لا يبدو حي يوكتشون دونغ شبيهاً بذلك الحي القديم الذي يسكن ذاكرته. فعندما اشترى في بادئ الأمر بيتاً في سول، كان الحي يحوي الكثير من الأزقة والبيوت، ولكنه الآن يبدو مزدحماً بأبنية الشقق المرتفعة ومتاجر الملابس. مشى مع أخته جيئة وذهاباً أمام الأبنية وخلفها وهما عاجزان عن العثور على سوق سوبو التي شكّلت قلب

حي يوكتشون القديم آنذاك. وأخيراً، سألا طالباً ماراً عن مكان السوق، فاتّضح أنها في الاتجاه المعاكس للاتجاه الذي يسيران فيه. وعندما وصلا إلى هناك، وجدا متجراً كبيراً مكان كشك الهاتف الذي اعتاد أن يمر به كل يوم، ولم يعثر على متجر الخيوط حيث اعتادت زوجته أن تأخذ دروساً بالحياكة لأنها أرادت أن تحوك الكنزات لابنتهما الرضيعة.

"أعتقد أنها هناك يا أخي!".

بدت سوق سوبو الآن، التي يتذكر وقوعها بجانب شارع عريض، مدفونةً بين جادتين جديدتين. ولم يستطع أن يرى اللافتات بشكل جيد.

حثت أخته الخطى باتجاه المدخل والتفتت لتنظر إلى المتاجر قائلةً: "لقد قال إنها أمام سوق سوبو... ها هي!".

نظر إلى المكان الذي تشير إليه أخته ورأى اللافتة التي كتب عليها صيدلية سوبو محشورة بين محلٍّ للوجبات السريعة ومقهى للإنترنت، فدخلا معاً ليتحدثا إلى الصيدلي، الذي يبدو في منتصف العقد الخامس من عمره ويضع نظارة. وعندما سألت تشاي هون قائلة: "لقد اتصلت بنا بشأن الإعلان الذي أراك إياه ابنك"، نزع الصيدلي نظارته وقال: "كيف حدث أن فقدتم أمكم؟".

إن هذا السؤال هو أكثر الأسئلة التي طرحها الناس عليهم إحراجاً وشيوعاً منذ اختفاء أمهم. إذ إنهم غالباً ما يطرحونه بمزيج من الفضول والنقد. في بادئ الأمر، أخذوا يجيبون بالتفصيل: "حسناً، لقد كانت في محطة سول لقطار الأنفاق..."، ولكنهم الآن بدأوا يجيبون ببساطة: "هذا ما حدث"، ويُبدون تعبيراً يدل على الحزن. فقد اكتشفوا أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيعون بها التهرب من هذا السؤال.

"أهي مصابة بالخرف".

لا تجيب أخته، فينكر الأمر بنفسه.

"ولكن كيف تتوقعان أن تعثرا عليها وأنتما تتصرفان بهذا الفتور؟ لقد اتصلت منذ وقت طويل، ولكنكما تأتيان الآن فقط". يبدي سؤال الصيدلي توبيخاً وكأنه كان في وسعهما لقاء أمهما إن هما وصلا قبل وقت قصير.

أخرجت أخته الإعلان وأشارت إليه قائلة: "متى رأيتها؟ هل تشبه أمنا؟".

قال الصيدلي إنه رآها قبل ستة أيام، وشرح أنه يعيش في الطابق السادس من البناء وأنه نزل في فجر ذلك اليوم ليفتح الصيدلية فرأى امرأة عجوزاً نائمة بجانب مستوعبات القمامة أمام محلّ الوجبات السريعة المجاور. كما قال إنه رآها تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق ولاحظ أنها مشت كثيراً مما أحدث جرحاً عميقاً وملتهباً في قدمها لدرجة أن عظمها بدا ظاهراً، فاعتقد ألا فائدة ترجى من علاجه.

"لم يطاوعني قلبي أن أتركها وحدها وخاصة بعد أن رأيت جرحها، فهذا من واجبي كصيدلي، فدخلت وأحضرت بعض مضاد الالتهاب وقطناً طبياً. استيقظت المرأة، وبالرغم من أنها رأت رجلاً غريباً يلمس قدمها، فقد التزمت الهدوء. لا بد من أنها كانت شديدة الوهن. إنه لمن الطبيعي لمن يصاب بجرح من ذلك النوع أن يصرخ عندما يعالجه أحد، ولكنها لم تبدِ أيّ رد فعل على الإطلاق، وهذا ما فاجأني. فقد بدا الالتهاب شديداً جداً، وظل القيح يتدفّق منه، وكانت الرائحة فظيعة فعلاً. لا أتذكر كم مرة عالجته بمضاد الالتهاب. وبعد ذلك، وضعت عليه مرهماً ولصاقة طبية، ولكنها لم تكن كبيرة بما فيه الكفاية. فلففت قدمها بضمادة. فخيل إلي أنها أصبحت محمية نوعاً ما، ولهذا دخلت لأتصل بالشرطة، ولكن، عندما عدت لأسألها إن كانت تعرف أحداً، وجدتها تأكل لفافات السوشي من القمامة. لا بد من أنها كانت جائعة،

لذلك قلت لها إنني سأعطيها شيئاً تأكله وأمرتها أن ترمي ما تأكله في القمامة، ولكنها لم تفعل، لذا انتزعته من يديها ورميته. وبالرغم من أنها لم تتركه عندما طلبت منها ذلك، فإنها لم تبدِ أيّ رد فعل عندما رميته رغماً عنها، ثمّ طلبت منها أن تدخل إلى المتجر، لكنها بقيت مكانها وكأنها لم تفهمني. هل هي صماء؟".

التزمت أخته الصمت، ولهذا، فقد نكر الأمر بنفسه.

"سألتها: أين تعيشين؟ هل تعرفين أحداً يستطيع أن يأتي لأخذك؟ إن كنت تعرفين رقم أحدهم، فسأتصل به من أجلك؟ ولكنها جلست بصمت وقامت بمجرد الطرف بعينيها. لم أستطع أن أفعل شيئاً، ولهذا السبب، دخلت واتصلت بالشرطة. وعندما خرجت، اكتشفت أنها رحلت. استغربت كثيراً، إذ إنني لم أغب أكثر من بضع دقائق".

قالت **تشاي هون**: "لم تكن أمنا تنتعل صندلاً بلاستيكياً أزرق بل صندلاً عاجيّ اللون. هل أنت واثق من أن صندلها أزرق اللون؟".

"نعم، لقد كانت ترتدي قميصاً أزرق فاتحاً وكنزة ليست بيضاء ولا عاجيّة. فقد بدت متسخة جداً لدرجة أنني لم أتبين لونها. أما تنورتها فقد بدت وكأنها كانت بيضاء ولكنها اتسخت جداً حيث إنها أصبحت عاجيّة اللون. وبدت ربلتا ساقيها مضرجتين بالدم ومليئتين بلدغات البعوض".

باستثناء الصندل البلاستيكي الأزرق، تلك هي الملابس نفسها التي ارتدتها الوالدة عندما اختفت.

"إن والدتي ترتدي ثوباً في هذه الصورة. ويبدو شعرها مختلفاً كلياً، ولكنها لم تكن تبدو هكذا عندما اختفت. فما الذي جعل أمنا تخطر ببالك عندما رأيت تلك السيدة؟". بدا على أخته أنها تأمل ألا تكون تلك المرأة أمها، إذ إن وصف تلك المرأة التي رآها الصيدلي

جعلها تبدو مثيرة للشفقة جداً.

"إنها المرأة نفسها، إذ إن عينيها هما العينان نفسهما. لقد رعيت الأبقار في شبابي. ورأيت عيوناً صادقة ووديعة كعينيها، فميزتها بالرغم من اختلاف مظهرها لأن لها العينين نفسهما".

انهارت **تشاي هون** على الكرسي.

"هل حضر رجال الشرطة؟".

"لقد عاودت الاتصال بهم مجدّداً وقلت لهم إنه لا ضرورة إلى حضورهم، إذ إنني عدت ولم أجدها كما قلت لكما".

غادر وشقيقته الصيدلية وانفصلا عن بعضهما بعد أن اتفقا على اللقاء مجدّداً في ملعب أحد مجمعات الشقق الجديدة في غضون ساعتين. وبينما اشتدّ هبوب الرياح، بحث **هايونغ تشول** في الشوارع المضاءة بأنوار خافتة حول مباني الشقق الجديدة التي حلت محل البيوت القديمة. وبحثت أخته قرب سوق **سوبو** حيث لا تزال بعض الأزقة القديمة في مكانها. بعد أن سمع قصة الصيدلي عن المرأة التي رآها تأكل لفافات السوشي من القمامة بجانب محلّ الوجبات السريعة، فتّش بحرص أمام كل مستوعبات القمامة قرب الأبنية. كما بحث أيضاً قرب مستوعبات إعادة التصنيع. تساءل عن مكان البيت الذي كان يسكن فيه في ما مضى؛ كان البيت يقع في نهاية أطول زقاق في الجوار، وكان الزقاق طويلاً ومعتماً لدرجة أنه إن عاد إلى البيت في وقت متأخر من الليل اضطر إلى الالتفات بين الحين والآخر طوال الطريق قبل أن يصل إلى بوابة المنزل.

انتظرته أخته على المقعد الخشبي في الملعب، وعندما رأت كتفيه الهابطتين وخطواته البطيئة نهضت من مكانها. أصبح الوقت متأخراً

ورحل الأولاد إلى بيوتهم، فبدا المكان خالياً إلا من بضعة مسنين يجلسون أو يتمشون في الأنحاء.

ترى هل أتت الوالدة إلى هنا لتزوره في ذلك البيت؟

في المرة الأولى التي أتت فيها أمه لتزوره هنا، نزلت من القطار حاملة إبريقاً كبيراً من النيكل مليئاً بعصيدة الفاصولياء الحمراء. لم يكن هايونغ تشول يملك سيارة عندئذ. وعندما أخذ الإبريق منها، صاح قائلاً: "لماذا أحضرت هذا الشيء الثقيل؟"، ابتسمت أمه ببراءة. وحالما دخلا إلى الزقاق، أشارت أمه إلى أحد البيوت وقالت: "أهذا هو؟"، وظلت تسأل السؤال نفسه أمام كل بيت يمران به. وعندما توقف أخيراً أمام البيت وأعلن قائلاً: "هذا هو"، ابتسمت ابتسامة عريضة وبدت مبتهجة كفتاة صغيرة في أول رحلة لها خارج بلدتها وهي تدفع البوابة بلطف لتفتحها، ثم قالت: "يا للروعة! توجد باحة هنا أيضاً! وأشجار، وما هذا؟ كروم عنب!"، حالما دخلت والدته إلى البيت، صبت وعاء من العصيدة من الإبريق ورشت المحتويات في أرجاء المنزل كافة. وقالت: "هكذا تبعد عنك سوء الحظ". فتحت زوجته، بعد أن امتلكت للمرة الأولى في حياتها بيتاً في المدينة، باب إحدى الغرف الثلاث وقالت: "هذه غرفتك يا أمي. وعندما تأتين إلى سول، يمكنك أن تمكثي هنا وترتاحي" نظرت أمه داخل الغرفة قائلةً وتعبير وجهها يدل على الاعتذار: "حقاً؟! لدي غرفتي الخاصة!".

بعد منتصف الليل، سمع صوتاً في الباحة، فنظر من النافذة ورأى أمه تتمشى في الأنحاء؛ لمست البوابة ووضعت يدها على كرمة العنب وجلست على الدرج المؤدي إلى البيت، ثمّ نظرت إلى سماء

الليل وذهبت لتقف تحت الأشجار. فتح النافذة وناداها قائلاً: "ادخلي ونامي".

فسألته أمه: "لماذا لست نائماً؟"، ثم نادت اسمه وكأنها تناديه للمرة الأولى، قالت بهدوء: "اخرج إلى هنا يا هايونغ تشول".

عندما وصل إليها، أخرجت مغلّفاً من جيبها ووضعته في يده قائلةً: "والآن، كل ما ينقصك هو وضع لوحة لاسمك على بوابة المنزل. أنفق هذا المال ثمناً للّوحة". نظر إلى أمه والمغلّف المنتفخ في يدها. قالت: "إنني آسفة لأنني لم أستطع أن أساعدك على دفع ثمن هذا البيت".

في وقت مبكر من فجر اليوم التالي، خرج من الحمام وفتح باب غرفة أمه بهدوء، فوجد أمه وتشاي هون نائمتين جنباً إلى جنب بعمق، ورأى أمه مبتسمة في نومها، أما ذراع أخته فقد بدت ممدودة بحرية بعيداً عن جسمها كعادتها.

لقد اعتاد إخوته أن يذهبوا لملاقاة والدتهم عندما تأتي إلى سول في الحافلة المرخصة لتحضر زفاف أحد الأقارب ويجدونها محملة بحمل ثقيل من الطعام وغيره. وقبل أن ينتهي الزفاف، كانت تسرع بصحبتهم إلى الغرفة المستأجرة التي يقيمون فيها وتخرج الطعام الذي أحضرته مغلّفاً بورق الصحف أو موضوعاً في العلب البلاستيكية أو مربوطاً بأوراق القرع ثم تخلع زيها الرسميّ بسرعة وترتدي قميصاً فضفاضاً وسروالاً مزركشاً وضعتهما في زاوية إحدى حقائبها. وبعد ذلك، كانت الوالدة تغسل يديها وتنزع الملاءات بسرعة وتغسلها ثم تعد حساء الكيمتشي من الملفوف المملح الذي أحضرته معها وتفرك قدر الطهي المسودّة من نار الفحم والموقد المتنقّل إلى أن يلمعا وتخيط الأغطية على الملاءات بعد أن تجف على السطح في الشمس

وتغسل الأرز وتعد حساء صلصة الفاصولياء وتجهز المائدة للعشاء. كانت الوالدة تضع على المائدة حصصاً سخية من لحم البقر والسمك المطهيين وحساء الكيمتشي بالسمسم. فإن بدأ وإخوته بغرف الأرز بملاعقهم، وضعت الوالدة قطعة من اللحم على ملعقة كل واحد منهم. وإن ألحوا عليها أن تتناول طعاماً، أصرت أنها ليست جائعة. وبعد الانتهاء من تناول الطعام، كانت تنظف المائدة وتملأ الحوض المطاطي تحت الصنبور بالماء ثم تخرج لتشتري بطيخة لتضعها في الحوض لتبرد وترتدي فستانها الذي لا تملك غيره وترتديه في حفلات الزفاف فقط ثم تقول: "أعيدوني إلى المحطة". فإن أصبح الوقت متأخراً، قالوا لها: "أمضي الليلة هنا وعودي إلى البيت غداً يا أمي"، ولكنها أصرت على الذهاب وقالت: "هناك أشياء يجب علي فعلها غداً". إن الشيء الوحيد الذي كان يتوجب على الوالدة فعله هو العمل في الحقول، وهذا عمل يمكن تأجيله إلى اليوم التالي، ولكن الوالدة ظلت تصر على العودة في القطار في الليلة نفسها. وبالرغم من أن السبب الحقيقي لعدم بقائها، هو أن الشقة التي يسكنها أولادها لا تتعدى غرفة واحدة صغيرة ينامون فيها معاً محتضنين بعضهم بعضاً من دون أن يتاح لهم الحركة بحرية، فقد اعتادت الوالدة أن تتذرع بالعمل قائلة: "يجب علي أن أذهب، إذ إن هناك أعمالاً كثيرة يجب أن أنجزها غداً".

لطالما جدد هايونغ تشول عزمه وهو يوصل أمه إلى محطة سول والإرهاق بادٍ عليها لتنتظر قطارها وتعود إلى البيت خالية اليدين. سأجني مالاً وأنتقل إلى شقة من غرفتين. سأستأجر منزلاً. سأشتري منزلاً في المدينة. وعندئذ سيصبح لدي غرفة تستطيع هذه المرأة أن تنام فيها براحة. كلما توجب على أمه أن تستقل القطار ليلاً، اشترى

تذكرة رصيف ليتمكن من مرافقتها ثم عثر على مقعد لأمه في القطار وأعطاها حقيبة مليئة بالوجبات الخفيفة وربما بعض الحليب بالموز أو ثمار اليوسفي.

"لا تغطي في النوم. تذكري أن تنزلي في محطة تشونغ أب".

اعتادت أمه أن تأمره أحياناً بحزن وبحزم في أحيان أخرى: "إنك في هذه المدينة بمثابة والد أخويك ووالدتهم".

وبينما هو واقف هناك يفرك يديه ببعضهما وعمره لا يتجاوز العشرين عاماً، كانت أمه تنهض عن مقعدها فتفتح يديه وتقوّم كتفيه وتقول: "يجب على الأخ الأكبر أن يتحلى بالاحترام وأن يصبح مثالاً يحتذى لإخوته. فإن ضلّ الأخ الأكبر الطريق، انحرف أشقاؤه عن درب الصواب بدورهم".

فإن بدأ القطار بالتحرك، امتلأت عينا الوالدة بالدموع وهي تقول: "إنني آسفة يا هايونغ تشول".

كانت الوالدة تصل عند منتصف الليل إلى محطة تشونغ أب وتترجل من القطار وتمشي في الظلام إلى البيت. إذ إن الحافلة الأولى إلى البلدة لم تكن تنطلق إلا بعد الساعة السادسة صباحاً.

* * *

يقول وهو يتقي برد الليل بسترته: "أتمنى لو أننا أحضرنا المزيد من الإعلانات لنعلقها هنا".

فتطمئنه تشاي هون قائلة: "سأعود غداً وأفعل ذلك"، ثم تدفع يديها داخل جيبيها.

يتذكر أن عليه أن يرافق معاون المدير في اليوم التالي إلى شقة العرض في هونغتشون ولا يستطيع أن يعتذر، فيقول: "هل أطلب من

زوجتي أن تفعل ذلك؟".

"دعها تستريح، إنها تعتني بوالدي أيضاً".

"لِمَ لا تتصلين بأخينا الأصغر؟".

"يمكنه أن يساعدني".

"من تقصدين؟".

"يو بين. عندما نعثر على أمي، سنتزوّج. إذ لطالما أرادتني أمي أن أتزوج".

"إن كان اتخاذ هذا القرار بهذه السهولة بالنسبة إليك، فلِمَ لم تفعلي ذلك من قبل؟".

"بعد أن اختفت أمنا، أدركت أن هناك تفسيراً لكل شيء. لقد كان في وسعي أن أفعل كل ما أرادتني أن أفعله. إنها أمور غير مهمة، ولكنني الآن لا أدري لماذا تعمدت إزعاجها. لن أسافر بالطائرة إلى أي مكان بعد الآن".

ربّت على كتف أخته وتنهّد، إذ إن أمه لطالما كرهت سفر أخته بالطائرة إلى خارج البلاد. وكانت تقول إن المرء يستطيع فعل ذلك خلال الحرب أو في حال الضرورة القصوى، ولكن خلافاً لذلك، يجب عليه عدم تعريض حياته لمصير مجهول وكأنه لا يبالي بها البتة. وعندما أمعنت الوالدة في تدخلها حول السفر بالطائرة، أصبحت أخته تسافر على متنها سراً. وإن تطلب منها الأمر السفر بالطائرة سواء للعمل أو للمتعة، غادرت من دون أن تخبر أمها.

قالت أخته: "لقد كانت الورود في ذلك المنزل جميلة جداً...".

تأمّل وجهها في الظلام لأن تلك الورود خطرت بباله للتو فقط. ففي أول فصل ربيع حلّ بعد أن اشترى منزله، زارته أمه واقترحت عليه أن يشتريا الورود. الورود؟ عندما خرجت الكلمة من فم أمه، ظن أنه لم

يسمعها جيداً. فسألها قائلاً: "أتقصدين أن نشتري وروداً فعلاً؟".

"وروداً حمراء. لماذا؟ أليس هناك من مكان يبيعونها فيه؟".

"بلى"، واصطحب أمه إلى مشتل يزود بالشتلات المزروعة على صفي شوارع **كوبابال**. قالت أمه: "أعتقد أن هذه أجمل وردة"، واشترت عدداً من الشتلات أكثر مما توقع. وفي وقت متأخر من عصر ذلك اليوم، حفرت أمه حفراً قرب السور المحيط بمنزله وغرستها. لم يرَ **هايونغ تشول** أمه في حياته تزرع شيئاً للزينة وليس للحصاد والأكل مثل الفول أو البطاطا أو الملفوف أو اللفت أو الفلفل. وبينما جعل يتأملها وهي منحنية تساءل إن كانت تزرع شتلات الورود قريبة أكثر من اللازم من السور. نظرت أمه إليه وقالت: "هكذا يستطيع الناس خارج المنزل أن يستمتعوا بها أيضاً". في ربيع كل عام، كانت الورود تتفتح. فأصبح الناس الذين يمرون خارج المنزل في موسم تفتحها يتوقفون بجانب الجدار ويستنشقون عبيرها، وهذا بالتحديد ما أرادته الوالدة. وبعد أن هطل المطر، تناثرت وريقات الورود الحمراء في كل مكان وتساقطت على الجانب الآخر من السور.

في أحد مشارب **يوكتشون دونغ**، أخرجت أخته، بعد أن احتست كأسين من الشراب دفعة واحدة بدلاً من العشاء، دفتراً من حقيبتها وفتحته على صفحة محددة ودفعته باتجاهه. لقد بدا وجهها أحمر بسبب تناول الشراب من دون أن تأكل شيئاً. أمال **هايونغ تشول** الدفتر باتجاه الضوء. وعلى عكس شخصيتها الخيالية والعاطفية، يفاجئه خط يدها الذي يبدو متقناً ومنسجماً.

أريد أن أقرأ للأطفال الذين حرموا نعمة البصر.

أريد أن أتعلم اللغة الصينية.
أريد إن جنيت الكثير من المال أن أمتلك مسرحاً صغيراً.
أريد أن أزور القطب الجنوبي.
أريد أن أذهب في رحلة إلى سانتياغو.

تحت هذه العبارات، هناك ثلاثون جملة أخرى تبدأ بكلمة أريد.
"ما هذا؟".
"في ليلة رأس السنة الماضية، دونت الأهداف التي أريد أن أحققها في حياتي إلى جانب الكتابة، أي لمجرد التسلية. إنها الأشياء التي أريد إنجازها في السنوات العشر القادمة، ولكنني لم أخطط لفعل أي شيء مع أمي. لم أدرك هذه الحقيقة وأنا أكتب هذه العبارات آنذاك، ولكنني أنظر إليها الآن بعد أن اختفت أمنا و...".

خرج هايونغ تشول من المصعد وهو ثمل ضاغطاً زر الجرس، ولكن لا إجابة، فيخرج مفاتيحه من جيبه ويفتح الباب بصعوبة. بعد أن افترق عن أخته، ذهب إلى مشربين آخرين، وأخذت تتراقص أمام عينيه صورة تلك المرأة ذات الصندل البلاستيكي الأزرق والتي مشت مسافات طويلة لدرجة أن الصندل حفر أخدوداً عميقاً في قدمها كاشفاً عن عظامها. وكلما تخيل أن هذه المرأة قد تكون أمه، تجرَّع كأساً أخرى.

دخل إلى غرفة المعيشة، فوجدها مُنارةً والهدوء سائداً فيها، ثم توجّه إلى غرفة نومه متعثراً، ولكنه تلكأ ليفتح بهدوء باب غرفة ابنته حيث ينام والده، فوجده نائماً على جنبه على فراش على الأرض بجانب سرير ابنته. دخل ليرفع الملاءة التي وقعت عن أبيه وهو نائم

ثم خرج وأغلق الباب بهدوء خلفه. دخل المطبخ وصبّ لنفسه كوباً من الماء من الإبريق الزجاجي الموضوع على الطاولة، ثمّ نظر حوله وهو يشرب، فرأى أن شيئاً لم يتغير. فلا يزال هدير محرّك الثلاجة على حاله، وكذلك حوض الجلي الذي تبدو الأطباق فيه مكومة لأن زوجته تركتها من دون أن تغسلها؛ إن من عادة زوجته أن تؤجل غسيل الأطباق. نكّس رأسه ثم غامر بالدخول إلى غرفته وتأمل زوجته النائمة. لقد بدا العقد المعلق حول عنقها لامعاً في الظلام. قبض على الملاءات التي تغطيها ونزعها بعنف فجلست وهي تفرك عينيها وقالت: "متى عدت إلى البيت؟". تنهّدت من قسوته التي تتضمن بين طياتها توبيخاً صامتاً: كيف تجرئين على النوم؟! منذ اختفت أمه، أصبح يلقي باللوم على الآخرين في كل شيء. وبدأ يستشيط غضباً أكثر فأكثر عندما يعود إلى البيت. وإن اتصل به أخوه ليطمئن على مجريات البحث، أجاب عن بضعة أسئلة ثم انفجر قائلاً: "أليس لديك أي شيء تقوله لي؟ ما الذي تفعله بحق الله؟". وعندما أعلن والده أنه سيعود إلى الريف لأنه ليس هناك أي شيء يستطيع فعله هنا في **سول**، صاح قائلاً: "وماذا ستفعل في الريف؟". وأصبح **هايونغ تشول** يغادر كل صباح من دون أن يلقي نظرة واحدة على الفطور الذي أعدته له زوجته.

انتزعت زوجته الملاءة من قبضته وملّستها قائلةً: "هل كنت تشرب؟".

قال بصوت مرتفع: "كيف تجرئين أن تنامي؟".

ملّست زوجته قميص نومها.

"قلت لك كيف تجرئين أن تنامي؟".

فصاحت عليه زوجته بدورها: "وما الذي بيدي أن أفعله؟".

قال لها بصوت متلعثم: "إنها غلطتك أنت!". مع أنه يعرف حقّ

المعرفة أن هذا اتهام مبالغ فيه.

"لماذا تعتبرها غلطتي أنا؟".

"كان ينبغي لك أن تذهبي لملاقاتهما!".

"قلت لك إنني ذهبت لأخذ بعض الطعام لابنتنا تشين".

"لماذا تحتم عليك أن تذهبي في ذلك اليوم بالذات؟ لقد كان والداي قادمين من الريف ليحتفلا بذكرى ميلادهما!".

"لقد قال والدك إنه يستطيع أن يستدل على الطريق. وإضافة إلى ذلك، نحن لسنا أفراد العائلة الوحيدين في المدينة. لقد كان من المقرر أن يتوجه والداك لزيارة أخيك في ذلك اليوم. وكانت أختاك هناك أيضاً. يجب على والديك ألاّ يقيما في بيتنا دائماً. وليست هناك قاعدة تحتم علي أن أكون الوحيدة التي تذهب لملاقاتهما! لم أكن قد ذهبت لزيارة تشين لمدة أسبوعين. ولم يعد لديها شيء تأكله، إذاً، كيف تريدني ألا أذهب لزيارتها؟ إنني سئمة من الذهاب للعناية بتشين ومن كل شيء آخر. إنها تدرس لامتحانها. هل تعرف حتى مدى أهمية هذا الامتحان بالنسبة إليها؟".

"لكم من الوقت سيتوجب عليك أن تأخذي الطعام لابنتنا الكبيرة التي لا تكلف نفسها حتى عناء المرور بنا بعد أن اختفت جدتها للسؤال عنها؟".

"ما الذي ستفعله إن هي أتت؟ لقد طلبت منها بنفسي ألا تأتي. بحثنا في كل مكان. ما الذي بيدنا أن نفعله في الوقت الذي عجزت فيه الشرطة عن العثور عليها؟ هل نذهب إلى أبواب بيوت الناس وندقها ونسأل: هل أمنا هنا؟ ما الذي تستطيع تشين أن تفعله بعد أن وقف الكبار مكتوفي الأيدي؟ إنها مجرد طالبة ويجب عليها الذهاب إلى المدرسة. هل يجب أن تتعطل حياتنا لأن والدتك ليست هنا؟".

"إنها مفقودة ليس الأمر مجرد أنها ليست هنا".

"إذاً، ما الذي تريد مني أن أفعله؟ أنت نفسك تذهب إلى العمل!".

"ماذا؟". التقط مضرب الغولف من زاوية وأوشك أن يلقي بها عبر الغرفة.

ناداه والده الواقف أمام الباب المفتوح: "هايونغ تشول!"، فوضع هايونغ تشول مضرب الغولف أرضاً. لقد أتى الوالد إلى سول من أجل الاحتفال بذكرى ميلاده ليسهل الأمر على أولاده. ولو أنهم احتفلوا بذكرى ميلاده كما خططوا لها لقالت والدته وهي جالسة في المطعم الكوري التقليدي الذي حجزت فيه زوجته قبل أسابيع: "إن هذا احتفال بذكرى ميلادي أيضاً"، ولكن اختفاء الوالدة جعل ذكرى ميلاد الوالد تمضي من دون أي احتفال، وتولت العمة مسؤولية تنفيذ طقوس الأسلاف الصيفية.

تبع هايونغ تشول والده إلى الخارج، وقال وهو يلتفت نحو باب غرفة حفيدته: "إن ما حدث كله غلطتي أنا".

فالتزم هايونغ تشول الصمت.

"لا تتشاجرا. إنني أتفهم شعورك، ولكن الشجار لا يجدي نفعاً. لقد تزوجتني أمك وعاشت معي حياة شاقة، ولكنها مخلوقة طيبة، ولهذا، فأنا واثق من أنها على الأقل لا تزال على قيد الحياة. وإن كانت على قيد الحياة، فسنسمع خبراً عنها".

ظل هايونغ تشول ملتزماً الصمت.

"أريد أن أعود إلى البيت الآن". حدّق إليه والده لبعض الوقت، ثم دخل إلى الغرفة. أخذ هايونغ تشول يعض شفته وهو ينظر إلى الباب المغلق وشعر بنيران مضطربة تتأجج في قلبه. كما فرك صدره بيديه وأوشك أن يفرك وجهه بيديه كما اعتاد أن يفعل، ولكنه توقف، إذ إنه

استطاع أن يشعر بلمسة يد أمه الحانية التي لطالما كرهت أن تراه يفرك يديه أو يقف وقفة مترهلة. وإن فعل ذلك أمامها، عدلت يديه وكتفيه على الفور. وإن كان على وشك أن يبعد رأسه عنها، صفعته على ظهره وهي تقول له: "على الرجل أن يتحلى بالاحترام". لم يصبح مدعياً عاماً قط، ومع أن أمه اعتبرت ذلك حلم حياته، لكنه لم يدرك أنه أصبح حلم حياتها أيضاً، إذ إنه أصبح يرى الأمر مجرد أمنية تمناها في شبابه ولم يستطع أن يحققها. كما لم يخطر بباله قط أنه خذل أمه. لقد أدرك الآن أن أمه عاشت طوال حياتها معتقدةً أنها هي من حالت دون تحقيق حلمه. إنني آسف يا أمي، فأنا لم أفِ بالوعد الذي قطعته لك. وهنا، شعر أن قلبه طافح بالرغبة في عدم القيام بأيّ شيء سوى البحث عن أمه إلى أن يعثر عليها، ولكنه سبق وفوَّت تلك الفرصة.

انهار على ركبتيه أرضاً في غرفة المعيشة خائب الأمل.

# 3

## ها قد عدت إلى البيت

اختلست فتاة شابة النظر وهي واقفة أمام البوابة الزرقاء المقفلة.

"من أنت؟"، عندما تنحنح من خلفها، التفتت الشابة، وقد بدا جبينها أملس وشعرها مربوطاً إلى الخلف بعناية وعيناها تبرقان سعادة.

قالت لك الفتاة: "مرحباً!".

ولكنك قمت بمجرد التحديق إليها مبتسماً، ثمّ قلت: "إن هذا منزل الخالة **بارك سو نيو**، إليس كذلك؟".

لم تحمل لوحة الاسم المعلقة على باب البيت الفارغ منذ وقت طويل سوى اسمك فقط. "الخالة **بارك سو نيو**". لقد مضى وقت طويل لم تسمع فيه أحداً ينادي زوجتك بالخالة وليس بالجدة.

"ما الأمر؟".

"أليست في البيت؟".

فالتزمتَ الصمت.

"أصحيح أنها مفقودة؟".

حدّقتَ إلى الفتاة الشابة وسألتها قائلاً: "من أنت؟".

"آه! اسمي **هونغ تاي هي** من دار الأمل في **ناماسان دونغ**".

**هونغ تاي هي**؟ دار الأمل؟

"إنها دار للأيتام. لقد قلقت بشأنها لأنها لم تمر بنا منذ وقت طويل. وصادفت هذه...".

أرتك المرأة إعلان الصحيفة الذي نشره ابنك ثم تابعت قائلة:

"لقد مررت من هنا مرات عدة وأنا أتساءل عمّا حدث، ولكنني كنت أجد البوابة مقفلة دائماً. وظننت أنني سأعود صفر اليدين هذا اليوم أيضاً... لقد أردت وحسب أن أعرف ما جرى لها، إذ إنني كنت على موعد معها لأقرأ لها كتاباً...".

أزلت الصخرة الموضوعة أمام البوابة وأخرجت المفتاح من مخبئه وفتحتَ البوابة ثم دخلت إلى البيت الذي ظل فارغاً منذ زمن، وأخذت تبحث في الأنحاء وكلك أمل، ولكنك وجدت المكان في الداخل صامتاً كالقبر.

دعوت **هونغ تاي هي** للدخول. على موعد معها لتقرأ لها كتاباً؟ لزوجتك؟ إنك لم تسمع زوجتك قط تذكر دار الأمل أو **هونغ تاي هي**. نادت **هونغ تاي هي** زوجتك حالما داست قدمها عتبة البوابة وكأنها لا تصدق أن زوجتك مفقودة فعلاً. وعندما لم تسمع أي جواب، وقد اكتسبت ملامح وجهها تعبيراً حذراً قالت: "هل غادرت المنزل؟".

"كلا، إنها مفقودة".

"ماذا؟".

"لقد فقدناها في **سول**".

"حقاً؟"، فتحت **تاي هي** عينيها على وسعهما، وأخبرتك أن زوجتك تتردد منذ أكثر من عشر سنوات على دار الأمل لتحمّم الأطفال وتغسل ثيابهم وتعتني بالحديقة.

زوجتك؟

قالت **تاي هي** إن زوجتك تحظى باحترام كبير هناك، وإنها تتبرع بمبلغ 450000 وان في الشهر لدار الأمل.

450000 وان في الشهر؟

لقد اعتاد أولادك أن يجمعوا كل شهر مبلغ ستمئة ألف وان،

وهو مبلغ لا يستهان به، ويرسلوه إلى زوجتك ظناً منهم أن هذا المبلغ كفيل بإعالة شخصين يعيشان وحدهما في الريف. في البداية، تقاسمت زوجتك المبلغ معك، ولكنها بعد فترة طالبت به كله. فتساءلت عن السبب الذي دفعها لذلك فجأة، ولكن زوجتك طلبت منك ألا تسألها عن طريقة إنفاقها لهذا المال، وقالت إن لديها الحقّ وحدها في إنفاقه لأنها هي من ربّت الأطفال جميعاً. فخطر ببالك أنها فكرت ملياً في هذا الرد، ولولا ذلك، لما قالت ذلك. "أشعر أن لدي الحق باستخدام المال". ليس من طبع زوجتك أن تتفوه بمثل هذا الكلام، إذ إنه يبدو وكأنه مأخوذ من أحد المسلسلات التلفزيونية، ولا بد من أن زوجتك قد تدربت على هذه الجملة لأيام عدة.

في يوم ذكرى الآباء الذي حل في شهر أيار من العام الماضي، لم يتصل بكما أحد من الأولاد، فذهبت زوجتك إلى متجر القرطاسية في البلدة واشترت زهرتي قرنفل وعلقت كل واحدةٍ بشريط كُتِب عليه: "شكراً لك لمنحي نعمة الحياة وتربيتي". وعندما وجدتك واقفاً أمام الطريق الجديد، حثتك على الحضور إلى البيت. وقالت: "ماذا إن رآنا أحد؟"، فتبعتها إلى البيت، وأقنعتك بأن تدخل وتقفل الباب ثم علقت زهرة قرنفل على سترتك وقالت: "ماذا سيقول الناس إن تجولنا في الأنحاء من دون زهرة قرنفل على ملابسنا في حين أن الجميع يعرفون عدد أولادنا؟ ولهذا السبب أحضرت هاتين الزهرتين". علقت زوجتك زهرة على ملابسها، أما زهرتك فقد ظلت تتدلى، ولهذا فقد ثبتتها مرتين. وحالما غادرت البيت نزعت الزهرة عن صدرك، ولكن زوجتك راحت تتجول طوال اليوم والزهرة تزين صدرها.

في اليوم التالي، أوت إلى سريرها وهي تشعر بتوعك، وتقلبت لياليَ عدة على سريرها ثم نهضت فجأة وطلبت منك أن تحوّل جزءاً من

أرضك لاسمها. وعندما سألتها عن السبب، قالت لك إن السبب هو أن حياتها عديمة الهدف وأنها أصبحت تشعر بعدم القيمة بعد أن مضى كل واحد من أولادها في طريقه الخاص. شرحت لها أن كل أرضك رهن إشارتها وأنك إن حولت لها جزءاً من الأرض فهذه خسارة لها لأن هذا يوضح أن البقية كلها لك وحدك، حينها، بدت عليها خيبة الأمل وقالت: "أعتقد أن هذا صحيح".

ومع ذلك، فقد حسمت موقفها وأعلنت أنها تريد كل مال الأولاد المرسل إليكما، فلم تشعر برغبة في مخالفة إرادتها، ولا سيما أنها وهي تتصرف على ذلك النحو، أدركت أن هذا سيودي بكما إلى خوض مشاجرة عنيفة. وهكذا، وافقت بشرط واحد، وهو أنك ستسمح لها أن تأخذ كل المال ولكن من دون تأتي إليك طلباً للمزيد، فوافقت زوجتك على هذا الشرط. لم ترها تشتري ملابس لنفسها، أو تنفق المال على أمور خاصة بها. وعندما ألقيت نظرة على دفتر الشيكات، اكتشفت أنها بدأت تسحب مبلغ 450000 وان من الحساب المصرفي في اليوم نفسه من كل شهر دفعة واحدة. فإن تأخر المال بالوصول، اتصلت **بتشاي هون**، وهي المسؤولة عن جمع المال من إخوتها وإرساله، لتذكرها بأن ترسله. فشعرت بأن هذا التصرف أيضاً مخالف لطبيعة زوجتك. لم تسألها قط عما تفعله بالمال لأنك وعدتها ألا تسألها، ولكنك ظننت أنها سحبت هذه المبالغ لتضعها في حساب ادخار خاص بها وتشكل هدفاً جديداً لحياتها. ذات مرة، بحثت عن دفتر حساب مصرفي للادخار، ولكنك لم تعثر على دفتر من هذا النوع قط. وهكذا، فلا بد من أن كلام **هونغ تاي هي** صحيح، وأن زوجتك اعتادت أن تتبرع بهذا المبلغ كل شهر لدار الأمل في **ناماسان دونغ**، فأصابتك تصرفات زوجتك غير المتوقعة هذه بالصدمة.

قالت لك **هونغ تاي هي** إن الأطفال هم فعلاً من يتلهفون للقاء زوجتك وليس العكس. كما روت لك قصة صبي اسمه **كيون** يعتبر زوجتك بمثابة والدة له، وقالت إنه أصيب بحزن شديد لأن زوجتك كفت فجأة عن الحضور إلى دار الأيتام. لقد أُدخل هذا الطفل إلى دار الأيتام عندما كان عمره ستة أشهر، فلم يعرف أحد اسمه، ولكن زوجتك أطلقت عليه اسم كيون.

"هل قلت إن اسمه كيون؟".

"نعم، كيون".

قالت لك إن **كيون** سيدخل المدرسة الإعدادية في العام المقبل، وإن زوجتك وعدته بأن تشتري له حقيبة للكتب ولباساً موحداً. كيون! سرت رعشة باردة في قلبك. وبينما أنت تصغي بهدوء إلى قصة **هونغ تاي هي**، عجزت عن التصديق أنك كنت تجهل أمر زيارات زوجتك المتكررة لدار الأيتام لأكثر من عقد من الزمن. وتساءلت إن كانت زوجتك المفقودة هي المرأة نفسها التي تتحدث عنها **هونغ تاي هي**. متى ذهبت إلى دار الأمل؟ لماذا لم تقل لك شيئاً؟ تأمّلت صورة زوجتك في الصحيفة التي أحضرتها **هونغ تاي هي** ثم دخلت إلى غرفتك وأخرجت صورة لزوجتك من ألبوم صور مدفون في أعماق درجك، حيث ظهرت فيها ابنتك وزوجتك واقفتين على رصيف في أحد الشواطئ وهما تمسكان ثيابهما لئلا تطير في مهبّ الريح. دفعت بالصورة نحو **تاي هي** وقلت لها: "أهذه هي المرأة التي تتحدثين عنها؟".

صاحت **تاي هي** بسعادة قائلة: "آه! إنها الخالة". وكأن زوجتك واقفة أمامها. رحتَ تتأمل الصورة شاعراً بعيني زوجتك، التي يبدو جبينها مقطباً من الشمس، تحدّقان إليك.

"لقد ذكرت أن هناك موعداً بينك وبينها لتقرأي لها كتاباً؟ ما

قصدك بهذا الكلام؟".

"لقد اعتادت الخالة أن تنجز كل الأعمال الصعبة في دار الأمل وتستمتع بشكل خاص بتحميم الأطفال. ولطالما توخت العناية الشديدة بعملها لدرجة أن كل ما في دار الأيتام كان يلمع من شدة النظافة بعد زيارتها. وعندما سألتها عما أستطيع أن أفعله لأشكرها، قالت إنها لا تريد شيئاً، ولكنها ذات يوم أحضرت كتاباً وطلبت مني أن أقرأه لها لساعة كل يوم. وقالت إنه كتاب تحبه ولكنها لم تعد تستطيع أن تقرأه بعد الآن بسبب ضعف بصرها".

التزمتَ الصمت.

"إنه هذا الكتاب".

حدّقت إلى الكتاب الذي أخرجته **هونغ تاي هي** من حقيبتها؛ إنه كتاب ابنتك.

"تعود أصول المؤلفة إلى هذه المنطقة. لقد سمعت أنها ارتادت المدرسة الابتدائية والإعدادية في هذه القرية. وأعتقد أن الخالة تحبها لهذا السبب. إن آخر كتاب قرأته لها هو لهذه الكاتبة أيضاً".

أخذت كتاب ابنتك، وهو بعنوان **اكتمال الحب**. إذاً، فقد أرادت زوجتك أن تقرأ رواية ابنتها. لم تطلعك زوجتك على شيء من تفاصيل حياتها الخاصة. ولم تفكر بدورك قط في أن تقرأ كتاب ابنتك لزوجتك. تُرى هل يعرف أحد آخر في العائلة أن زوجتك لا تجيد القراءة؟ أخذت تتذكر كيف بدت خيبة الأمل على زوجتك عندما اكتشفتَ أنها لا تجيد القراءة. لطالما اعتقدت زوجتك أن السبب الكامن وراء كل تصرفاتك حيالها هو نظرتك الدونية نحوها بسبب أميتها ولا سيما عندما كنت تهجر البيت أحياناً وأنت شاب وتصرخ في وجهها في بعض الأوقات وتجيب عن أسئلتها بوقاحة في أوقات أخرى، مثل: "ماذا تريدين أن

تعرفي؟"، لم تكن تتصرف هكذا لهذا السبب، ولكن كلما أنكرت الحقيقة، كلما ازدادت هي قناعة بصحتها. كما رحتَ تتساءل إن كنت تنظر إليها بدونية فعلاً بشكل غير إرادي. لم يدُر بخلدك قط أن فتاة غريبة ستقرأ رواية ابنتك لزوجتك. تُرى كم تكبدت زوجتك من مشقة لتخفي عن هذه الفتاة حقيقة أميتها. لم تستطع زوجتك، وهي تريد من كل قلبها أن تقرأ كتاب ابنتها، أن تخبر تلك الفتاة أن المؤلفة ابنتها، ولكنها ألقت اللوم على ضعف بصرها لتطلب منها أن تقرأ الكتاب لها بصوت عالٍ. شعرتَ بحرقة في عينيك وقلبك. تُرى كيف استطاعت زوجتك أن تكبح جماح نفسها من التباهي بابنتها الكاتبة أمام هذه الشابة؟

"يا لي من رجل سيئ!".

"أرجو المعذرة!". حدّقت إليك هونغ تاي هي بعينين مفتوحتين على وسعهما من فرط الدهشة.

إن أرادت من كل قلبها أن تقرأ الكتاب، فِلمَ لم تطلب مني أن أقرأه لها؟ ثمّ أخذتَ تفرك وجهك الجاف الخشن بيديك. ترى لو طلبت منك زوجتك أن تقرأ لها الرواية، فهل كنت ستفعل ذلك؟ لقد أمضيت جلَّ أيامك قبل أن تختفي زوجتك من دون أن تفكر فيها أو تعيرها اهتماماً. وإن فكرت فيها فعلاً، فعلت ذلك فقط لتأمرها بفعل شيء ما أو لتلومها أو تتجاهلها. من الممكن للتعود أن يتحول إلى مصدر رعب حقيقي. فقد اعتدت أن تتحدث بأدب إلى الآخرين، ولكن كلماتك كانت تتحول إلى خناجر قاتلة موجهة إلى قلب زوجتك. لطالما تصرفت وكأن هناك قانوناً يحظّر عليك التحدث بلطف إلى زوجتك. إنك الآن فقط تدرك حقيقة معاملتك القاسية لها، ولكن بعد فوات الأوان.

رحتَ تتمتم وحدك في البيت الفارغ بعد أن غادرت هونغ تاي هي

قائلاً: "ها قد عدت إلى البيت".

* * *

إن كل ما أردت فعله في الحياة هو أن تهجر هذا المنزل، ففعلت ذلك وأنت شاب، وحتى بعد أن تزوجت وأنجبت أطفالاً. لقد لازمك شعور بالعزلة عندما خطر لك أنك قد تمضي بقية حياتك في هذا البيت وهذه البلدة الكئيبة وتبقى ملتصقاً بمسقط رأسك في جنوب البلاد. فغادرت البيت من دون أن تتفوه بكلمة واحدة وهمت على وجهك في الأرجاء. وعندما حلّ موعد طقوس الأسلاف، عدت إلى البيت وكأنك تطيع أوامر أسلافك. ثم غادرت مرة أخرى، ولكنك عدت مجدّداً خلسة بعد أن أنهكك المرض. وفي أحد الأيام، وبعد أن شفيت من مرضك، تعلمت أن تركب الدراجة النارية، فغادرت البيت مجدّداً مع امرأة أخرى راغبة بالركوب خلفك. مرت بك أوقات ظننت فيها أنك لن تعود قط؛ فقد أردت أن تعيش حياة مختلفة وتنسى هذا البيت وانطلقت إلى وجهة أخرى، ولكنك لم تستطع أن تستمر في الحياة بعيداً عن البيت لأكثر من ثلاثة فصول.

عندما بدأت أشياء غير مألوفة تصبح عادية في نظرك وأنت بعيد عن البيت، أخذت الأشياء التي كانت زوجتك تربيها وترعاها وتعتني بها كالجراء والدجاج والبطاطا تحوم وتتراقص أمام عينيك وتخطر ببالك بشكل غير متوقع إضافة إلى أولادك الذين تركتهم.

قبل أن تغيب زوجتك عن نظرك على رصيف محطة سول لقطار الأنفاق، لم تكن تراها أكثر من مجرد أم لأولادك، ولطالما اعتبرتها كالشجرة الثابتة إلى أن وجدت نفسك في موقف يُحتّم عليك ألا تراها مجدّداً. فأصبحت تعتبرها شجرة لا يمكن أن تختفي إلا إن قطعها أحد

أو اجتثها من جذورها. بعد أن فقدتَ أم أولادك، أدركتَ أنك فقدت زوجتك أيضاً، وأن زوجتك التي نسيتَ أمرها لخمسين عاماً لا تزال حاضرة في قلبك. وبعد أن اختفت فقط، أصبح وجودها ملموساً في حياتك وكأنك تستطيع أن تمدّ يدك إليها وتلمسها.

* * *

الآن فقط بدأت ترى بوضوح الوضع الذي عانته زوجتك خلال العامين أو الثلاثة أعوام الماضية. فقد بدأت تعاني خدراً في أطرافها وتجد صعوبة في تذكر الأشياء، وكانت أحياناً تجلس قرب طريق مألوف جداً في البلدة غير قادرة على العودة إلى البيت، أو تنظر إلى قدر أو مرطبان استخدمته لخمسين عاماً وعيناها يملأهما التساؤل: لِمَ يستخدم هذا؟ وبدأت تهمل واجبها في تنظيف المنزل، فانتشرت خصلات من الشعر في أرجاء الغرف كافةً من دون أن تكنسها، كما أصبحت في بعض الأوقات عاجزةً عن متابعة حبكة مسلسل تشاهده على التلفزيون بشكل يوميّ، ونسيت الأغنية التي اعتادت أن تغنيها لعقود، تلك الأغنية التي تبدأ: "إن سألتني ما يعنيه الحب...". لقد تملكك شعور أن زوجتك لم تعد تتذكر مَن أنت، وربما حتى مَن هي. ولكنها لم تكن هكذا طوال الوقت.

فقد كانت زوجتك تتذكر أحياناً أدقّ التفاصيل لبعض الأمور؛ ففي أحد الأيام، ذكَّرتك بيوم لففت فيه مبلغاً من المال بورق صحيفة وحشرته في عضادة الباب قبل أن ترحل. وقالت لك، بالرغم من أنها لم تذكر شيئاً آنذاك، إنها شعرت بالامتنان الشديد لأنك تركت لها هذا المال وإنها لم تكن تعرف كيف ستتدبر أمرها لو أنها لم تكتشف مخبأ النقود. في وقت آخر، ذكرتك بوجوب التقاط صورة عائلية جديدة لأن

أحدث صورة لم تكن تتضمن صورة ابن ابنتك الصغرى الثالث الذي ولد في **أميركا**.

الآن فقط تدرك والألم يعتصر قلبك كم تغاضيت عن الحالة المربكة التي وصلت إليها زوجتك.

عندما كان صداع زوجتك يشتد لدرجة تفقدها وعيها، كنت تراها مستلقية وهي تلفّ عصابة حول رأسها وتظنها نائمة، ولكنك لطالما تمنيت لو أنها لا تستلقي وتنام كما يحلو لها. وإن أصابها الارتباك وعجزت عن فتح الباب، أمرتها بأن تضبط مشيتها جيداً. لم تفكر قط في أنه يجب عليك أن تعتني بزوجتك، ولهذا، لم تدرك أن إحساس زوجتك بالوقت أصبح مشوشاً. عندما حضّرت زوجتك فضلات الطعام وصبتها في المعلف في حظيرة الخراف وهي تنادي اسم الخروفة التي احتفظتما بها في الماضي قائلة: "هذه المرة يجب أن تنجبي ثلاثة خرافٍ وليس واحداً، فهذا سيكون لطيفاً"، ظننت أنها تمزح. قبل وقت طويل، أنجبت الخروفة تلك ثلاثة خرافٍ. فباعتها زوجتك لتشتري دراجة **لهايونغ تشول**.

رحتَ تنادي في البيت الفارغ قائلاً: "هل أنت هنا؟ لقد عدت إلى البيت!"، ثمّ سكتَّ لتسمع إجابة.

توقعتَ من زوجتك أن تصرخ محيِّيةً إياك: "إذاً، ها قد عدت!"، ولكن السكون ظل يكتنف أرجاء البيت. لقد كنت في كل مرة تعود فيها إلى البيت تنادي قائلاً: "لقد عدت إلى البيت!"، فكانت زوجتك تمد رأسها من أي غرفة من غرف البيت لترحب بك.

لم تتوقف زوجتك طوال حياتها عن الشكوى من تصرفاتك، إذ لطالما قالت لك: "لماذا لا تقلع عن الشراب؟ إنك تستطيع العيش من دوني ولكنك لا تستطيع العيش من دون الشراب. إن الأولاد يقولون لي إنهم قلقون بشأنك وأنت لا تزال عاجزاً عن نبذ تلك العادة!". لقد واصلت الشكوى حتى وهي تعتني بك وتناولك كوباً من شاي الزبيب الياباني. فقالت: "إن أتيت إلى البيت ثملاً مرة واحدة بعد الآن، فسأتركك. ألم يقل لك الطبيب في المستشفى إن الشرب هو أسوأ شيء تلحقه بنفسك؟ إن أردت التوقف عن رؤية هذا العالم الجميل، فواصل الشرب!".

لهذا السبب، أصاب اليأس زوجتك عندما رأتك تخرج لتناول العشاء وتتناول بضع كؤوس من الشراب مع أصدقائك وكأن كل عالمها انقلب رأساً على عقب. لم يجُل في خاطرك قط أنك يوماً ما ستفتقد إلى تذمر زوجتك الذي لم يلقَ منك آذاناً صاغية قط.

ولكنك الآن لا تسمع شيئاً بالرغم من أنك ترجلت من القطار وتوجهت إلى المشرب القريب وتناولت كأساً لمجرد رغبتك في سماع ذلك التذمر مجدداً عندما تعود إلى البيت.

بحثت داخل بيت الكلب بجانب بوابة الباحة الجانبية؛ لقد شعرت زوجتك بالوحدة عندما مات الكلب العجوز، فذهبت إلى البلدة واشتريت واحداً آخر. من المفترض أن يُحدِث الكلب بعض الجلبة، ولكن السكون يكتنف أرجاء البيت. اكتشفت أن السلسلة غير موجودة؛ لا بدّ من أن أختك قد أخذت الكلب معها بعد أن سئمت المرور إلى بيتكَ لإطعامه. لم تغلق البوابة بل تركتها مفتوحة ودخلت إلى الباحة لتجلس على الشرفة. عندما كانت زوجتك تذهب إلى سول بمفردها، كنت غالباً ما تجلس وحيداً على هذه الشرفة. فإن اتصلت بك زوجتك

من **سول** لتسألك: "هل تناولت طعاماً؟"، سألتها بدورك قائلاً: "متى ستعودين إلى البيت؟".

"لماذا؟ هل اشتقت إلي؟".

فكنت تقول لها: "كلا، لا تقلقي بشأني. ابقي قدر ما تريدين هذه المرة". ومع ذلك، فبمجرد أن تسمعك تقول هذا، ومهما حاولت أن تثنيها عن العودة، كانت تعود إلى البيت بغض النظر عن سبب ذهابها إلى **سول**. فإن وبختها قائلاً: "لماذا عدت إلى البيت بهذه السرعة؟ لقد قلت لك أن تبقي قدر ما تريدين!"، أجابتك: "هل تظن أنني أتيت من أجلك؟ لقد أتيت لأطعم الكلب"، ثم ترمقك بنظرة غير مبالية.

* * *

لقد عدت إلى البيت بسبب الأشياء التي اعتادت زوجتك أن تربيها وتزرعها بالرغم من أن العودة فرضت عليك أن تتخلى عن الأشياء التي حصلت عليها من أماكن أخرى. عندما كنت تدخل من البوابة، كنت تجد زوجتك تقتلع البطاطا الحلوة، أو تعد الخميرة وقد لفّت منشفة متسخة حول رأسها وهي تراقب **هايونغ تشول** يدرس أمام مكتبه. لطالما أحبت أختك أن تقول إن ميلك إلى الترحال ناجم عن اعتيادك عدم النوم في البيت لتتهرب من اختيارك بالقرعة للخدمة العسكرية. ذات مرة، ذهبت بنفسك إلى مخفر الشرطة لأنك سئمت من الاختباء، فطردك عمك الذي يعمل تحريًّا ويكبرك بخمس سنوات قائلاً لك: "بالرغم من أن عائلتنا عانت الدمار، يجب أن يبقى الابن الأكبر للابن الأكبر على قيد الحياة". بالرغم من تدهور أحوال العائلة، توجب عليك أن تبقى على قيد الحياة لتعتني بمقبرة العائلة وتشرف على تأدية طقوس الأسلاف، ولكن زوجتك وحدها هي من اعتنت بالمقبرة واهتمت بتأدية الطقوس. أهذا هو السبب؟ هل أصبحت متشرداً لأنك أجبرت نفسك على مغادرة

المنزل والنوم في العراء مفترشاً الأرض وملتحفاً السماء؟ ربما يكون هذا هو السبب. إن عادة النوم في الشارع هي على الأرجح السبب في غيابك عن المنزل. عندما كنت تنام في البيت، أخذت الهموم والقلق تساورك من أن يقتحم أحد البوابة ويقبض عليك. وذات مرة، هربت من البيت في منتصف الليل وكأن أحدهم في أعقابك.

في ليلة من ليالي الشتاء، عدت إلى البيت وفوجئت برؤية أولادك بعد أن كبروا، ووجدت الجميع نائمين محتضنين بعضهم بعضاً متّقين البرد القارس، فأخذت زوجتك طبق الأرز الذي تركته لك في أكثر مكان دفئاً في الغرفة ووضعت طاولة مفروشة بملاءة أمامك. أخذت الرياح والثلوج تعصف في الخارج. وعندما حضّرت زوجتك بعض أعشاب البحر، أيقظت رائحة الزيت الزكية أولادك الواحد تلو الآخر واحتشدوا حولك. لففت بعض الأرز بعشب البحر ووضعت لقمة في فم كل واحد منهم؛ وضعت لقمة في فم ابنك الأكبر ثم ابنك الأصغر ثم ابنتك الكبرى، وقبل أن تصل إلى ابنتك الصغرى، رأيت **هايونغ تشول** ينتظرك ليتناول لقمة أخرى. لقد استغرق إعداد الأرز منك وقتاً أطول مما استغرق أولادك في أكله، فتخوفت من ازدياد شهية أطفالك، وتساءلت كيف ستتمكن من إعالتهم. وعندئذ، قررت أن تنسى أمر العالم الخارجي وأن تلزم بيتك فلا تغادره مجدّداً.

* * *

"ها قد عدت إلى البيت!".

فتحت باب غرفة النوم فوجدتها فارغة، ورأيت بضع مناشف مطوية بأناقة في إحدى زوايا الغرفة حيث تركتها زوجتك قبل أن تتوجها إلى **سول** معاً. كما وجدت الكوب الذي شربت منه حين تناولت أقراص الدواء في صباح مغادرتكما وقد تبخر منه الماء. أشارت الساعة

الجدارية إلى الثالثة عصراً، وتراقصت ظلال الخيزران على جدران الغرفة التي تواجه الباحة الخلفية.

أخذت تتمتم بينك وبين نفسك في الغرفة الفارغة وكتفاك هابطتان: "قلت إنني عدت إلى البيت". فيمَ تفكر؟ عندما هربت من ابنك، الذي عارض بشدة عودتك بمفردك، وأخذت القطار الصباحي إلى البيت، شعرت ببصيص من الأمل يتسلل إلى أعماق قلبك أنك عندما تدخل وتنادي قائلاً: "هل أنت هنا؟ لقد عدت إلى البيت"، فإن زوجتك ستحييك كما فعلت في الأيام الخوالي قائلةً: "إذاً، أنت هنا!". توقعت أن تجدها ربما تنظف الغرفة، أو تقشر الخضار في المخزن، أو تغسل الأرز في المطبخ. وفكرت في أن ذلك قد يحدث بفضل معجزة ما، ولكن المنزل بدا في عينيك خاوياً وموحشاً كالقبر لأن سكانه هجروه منذ وقت طويل.

نهضت وفتحت كل الأبواب في المنزل، وأخذت تسأل في كل غرفة قائلاً: "هل أنت هنا؟". فتحت أبواب غرفة نومك وغرفة الضيوف والمطبخ وغرفة الغسيل. إنها المرة الأولى التي تبحث فيها عن زوجتك باستماتة هكذا. ترى هل بحثت عنك بالأسلوب نفسه في كل مرة هجرت فيها بيتك؟ طرفت بعينيك الجافتين وفتحت نافذة المطبخ المطلة على المخزن وسألت: "هل أنت هنا؟"، ولكنك لم ترَ شيئاً سوى الرصيف الفارغ الموحش.

كنت تقف أحياناً في هذا المكان وتراقب زوجتك وهي مشغولة بإنجاز عمل ما في المخزن. فكانت تنظر إليك حتى لو لم تنادها وتسألك: "ماذا؟ هل تريد شيئاً ما؟"، فإن قلت لها: "أين جوربي؟ أريد أن أذهب إلى البلدة؟"، أسرعت بنزع قفّازها المطاطيّ ودخلت لتحضّر لك ملابسك.

حدّقت إلى المخـزن الفارغ وتمتمتَ قائلاً: "مرحباً... إنني جائع. أريد أن آكل شيئاً ما".

لو قلت لزوجتك آنذاك إنك تريد أن تأكل شيئاً ما، لتخلت عما تقوم به من عمل بلا تردد واقتربت منك لتسألك: "لقد قطفت بعض ثمار التوت من التلال، هل تريد أن أعد لك كعكة؟". لماذا لم تدرك آنذاك أنك كنت تنعم بحياة ملؤها الصفاء والحظ السعيد؟ لماذا اعتبرت ما بذلته زوجتك من المسلّمات من دون حتى أن تفكر في أن تعد لها حساء أعشاب البحر؟ ذات يوم، عادت زوجتك من البلدة وقالت: "أتعرف ذلك الجزار الذي يعجبك في السوق؟ لقد مررت به اليوم، فنادتني زوجته ودعتني لتناول حساء أعشاب البحر معها، لذا سألتها: ما المناسبة؟ فقالت لي إن اليوم ذكرى ميلادها وإن زوجها قد أعد لها الحساء صباح اليوم". أصغيت إلى حديث زوجتك بصمت، ثم تابعت قائلةً: "لم يكن لذيذاً فعلاً، ولكنني للمرة الأولى في حياتي حسدت زوجة الجزار".

أين أنت...؟ لو أن زوجتك تعود، فلن تعدّ لها حساء أعشاب البحر فقط، بل الكعك أيضاً. هل تعاقبينني...؟ فتجمّعت بحيرات من الدموع في عينيك.

لطالما غادرت هذا البيت متى شئتَ وعدت إليه على هواك، ولم يتبادر إلى ذهنك ولو لمرة واحدة أن زوجتك سترحل عنك بلا رجعة.

* * *

بعد أن فقدت زوجتك تذكرت المرة الأولى التي رأيتها فيها؛ حدث ذلك بعد أن قررت العائلتان تزويجكما قبل أن تقابلا بعضكما بعضاً. وضعت الحرب أوزارها بفضل اتفاق وقف إطلاق النار بين

قائد الأمم المتحدة وقائد الشيوعيين في **بانمونجوم**، ولكن العالم ازداد اضطراباً عما كان عليه خلال الحرب. فقد أصبح جنود **كوريا الشمالية** يخرجون من مخابئهم في التلال ليلاً وينهبون القرى. وعند حلول الليل، كان أفراد العائلات التي لديها بنات في سن الزواج يشغلون أنفسهم بإخفائهن. فقد سرت شائعات بأن الجنود القادمين من التلال بدأوا يخطفون الشابات من أنحاء القرى كافة، فأخذ بعضهم يحفرون حفراً قرب السكك الحديدية ويخفون بناتهم هناك، بينما راح بعضهم الآخر يتكومون مع بعضهم بعضاً في غرفة واحدة لحمايتهن. وأسرعت بعض العائلات بتزويج بناتها. عاشت زوجتك في قرية **تشينمو** من ولادتها حتّى زواجك بها وأنت في العشرين من عمرك. لقد أخبرتك أختك أنك ستتزوج شابة من قرية **تشينمو** في غضون شهر، وذكرت لك أن زوجتك المرتقبة شابة يتوافق طالعها مع طالعك توافقاً مثالياً. تبعد قرية **تشينمو** الجبلية مسافة كبيرة عن قريتك. في ذلك الوقت من الماضي، شاعت بين الناس عادة تزويج أبنائهم وبناتهم من دون حتى أن يلمحوا وجوه بعضهم بعضاً. تقررت إقامة مراسم الزفاف في شهر تشرين الأول في باحة بيت الشابة بعد حصاد الأرز بوقت قصير، وحالما تم تحديد موعد المراسم، أصبح الناس يمازحونك عندما تبتسم سعيداً لأنك ستتزوج. لم تعجبك فكرة الزواج كثيراً، ولكن الجميع أخذوا يلحون عليك للإسراع بالزواج لتريح أختك من القيام بكل الأعمال المنزلية في بيتك. فبدا لك هذا حلاً منطقياً، ولكنك وجدت فكرة العيش مع امرأة لم ترها في حياتك قط صعبة لأن تتقبلها.

لم تكن تريد أن تعيش حياتك بأكملها وأن تعمل بالزراعة في هذه القرية. في ذلك الوقت الذي كان فيه عدد قليل جداً من الناس متاحاً للعمل، لدرجة أن الأهالي بدأوا يصطحبون أولادهم للعمل في

الحقول، رحت تتجول في أنحاء البلدة مع أصدقائك، وأعددت الخطط لأن تهرب معهم وتؤسس مصنع شراب شعير في مدينة مختلفة. لم تشغل أفكارك بالزواج قط، بل بالكيفية التي ستجمع بها المال لتفتتح مصنع شراب شعير، إذاً، فما الذي دفعك للتوجه إلى قرية **تشينمو**؟

كان بيت عروسك كوخاً يكتنفه الخيزران الكثيف وبجواره شجرة مثمرة. رأيت عروسك مرتدية بلوزة قطنية وجالسة على شرفة الكوخ تطرز طائر عنقاء على قماش التطريز. كان ضوء ساطع يغمر الغرفة، ولكن تعبير وجه الشابة بدا مظلماً. أخذت تنظر إلى سماء الخريف الصافية بين الفينة والأخرى وتمد عنقها. فراقبت رفّ إوزّ يطير في صفٍّ إلى أن اختفى عن الأنظار. نهضت الشابة وخرجت من الشرفة. فتبعتها من حيث لا تراك إلى الحقول حيث رأيت حماتك المستقبلية جالسة القرفصاء في الحقول تقطف القطن. نادت الشابة أمها من بعيد: "يا أمي!"، فأجابتها حماتك المستقبلية قائلة: "ماذا؟"، وهي مستمرة في قطف القطن. تراقص نبات القطن الأبيض في الهواء المنعش. أوشكتَ أن تستدير لتعود أدراجك، ولكن شيئاً ما دفعك للاقتراب من المرأتين والاختباء بين نبات القطن الأبيض. نادت الشابة أمها مجدّداً، فأجابتها حماتك مرة أخرى من دون أن تنظر إليها قائلة: "ماذا تريدين؟".

"هل يجب علي أن أتزوج؟".

فحبست أنفاسك.

"ماذا؟".

"ألا يمكنني أن أعيش معكم؟".

تمايلت نباتات القطن في الهواء المنعش.

"كلا".

قالت الشابة بصوت ملؤه الأسى: "لِمَ لا؟".

"هل تريدين أن يأتي سكان الجبال ويختطفوك؟".

التزمت عروسك الصمت لبرهة ثم انهارت في حقل القطن وساقاها ممدودتان أمامها وانفجرت باكية. في تلك اللحظة، أصبحت صورة مغايرة تماماً لتلك الشابة المحتشمة المهذبة التي جلست لتطرز على شرفة الكوخ. فقد ظلت تبكي بحرقة لدرجة أنك أوشكت أن تبكي أيضاً من شدة التأثر لبكائها. وعندئذ، خرجت حماتك من حقل القطن وتوجهت نحو ابنتها الشابة.

"أصغي إلي. إن هذه المشاعر تخالجك لأنك لا تزالين شابة. لولا الحرب، لوددت أن أبقيك إلى جانبي بضع سنوات أخرى. ولكن ما الذي بيدنا أن نفعله في هذا العالم المخيف؟ ليس أمراً سيئاً أن تتزوجي. إنه أمر لا تستطيعين تجنبه. لقد ولدت في هذه القرية الجبلية البعيدة، ولم أستطع أن أرسلك إلى المدرسة، وهكذا فما الذي ستفعلينه إن لم تتزوجي؟ عندما قارنت طالعك بطالع العريس، كشف لي الطالع أنكما ستحظيان بحظٍّ سعيد جداً، وأنك لن تخسري طفلاً واحداً، وستنجبين الكثير من الأطفال، وأنهم سيكبرون وينجحون في حياتهم. ماذا تريدين أكثر من ذلك؟ عليك أن تسعي لعيش حياة سعيدة مع زوجك، وأن تنجبي أطفالك وترضعيهم وتربيهم. هيا، كُفّي عن البكاء. سأعد لك ملاءات سرير خاصة منسوجة من القطن المندوف".

ظلت الشابة تنتحب بصوت عالٍ وحماتك تربت على ظهرها قائلةً: "كُفّي عن البكاء... هيا كُفّي...".

لم تكُفّ عروسك عن البكاء، فأجهشت حماتك باكية أيضاً.

لو لم تجعلك تلك الصدفة المحضة ترى هاتين المرأتين تبكيان في ذراعي بعضهما بعضاً في حقل القطن، لغادرت البيت قبل شهر

تشرين الأول، إذ إنك فكرت في تلك الشابة وهي تطرز على شرفة الكوخ وتنادي أمها في حقل القطن، وتصورت أحد الجنود يجرها إلى الجبال من دون أن يتبقَّ لها أثر، فلم يطاوعك قلبك على الهرب.

* * *

عندما عدت إلى البيت الفارغ بعد أن اختفت زوجتك، نمت لثلاثة أيام متواصلة إذ إنك عجزت عن النوم في بيت هايونغ تشول. فقد أصبح سمعك مرهفاً جداً لدرجة أنك كنت تفتح عينيك لمجرد أن يخرج أحدهم من غرفته ويدخل إلى الحمام. وكنت تجلس إلى الطاولة في وقت الوجبات إكراماً للآخرين من دون أن تشعر بالجوع، ولكنك لم تستطع أن تأكل شيئاً في بيتك الفارغ، وغططت في النوم كالجثة الهامدة.

لطالما ظننت أنك لا تحب زوجتك كثيراً لأنك تزوجتها بعد أن رأيتها لمرة واحدة فقط، ولكنها ظلت تعاود الظهور في أفكارك كلما رحلت عن البيت. لقد تمتعت زوجتك بموهبة رعاية حياة كل إنسان وحيوان من حولها بيديها الحانيتين. لم يحالف الحظ عائلتك بتربية الحيوانات، إذ قبل أن تصبح زوجتك فرداً من العائلة، كانت كل أنثى كلب تربونها تَنفُق بعد أن تأكل سم الجرذان وتسقط في المرحاض ميتة. ذات مرة، تسللت الكلبة إلى المدفأة الأرضية من دون أن ينتبه إليها أحد، فأشعل أحدهم النيران فيها. ولم يدرك أحد ما جرى إلى أن شممتم رائحة الحريق ففتحتم الغطاء وأخرجتم الكلبة الميتة. قالت أختك إنه ينبغي لعائلتك ألاّ تربي كلباً، ولكن زوجتك أحضرت معها إلى البيت أنثى كلب حديثة الولادة من عند الجيران وإحدى يديها تغطي عينيها، وذلك لاعتقادها أنها لشدة ذكائها تستطيع العودة إلى أمها

إن لم تغطِّ عينيها جيداً عندما تؤخذ بعيداً عنها. أطعمت زوجتك تلك الجروة تحت الشرفة، فكبرت ووضعت خمسة جراء أو ستة. وذات مرة، وصل عدد جرائها إلى ثمانية عشر جرواً صغيراً. في الربيع، كانت زوجتك تلاطف الدجاجات لتحضن البيض، فتمكنت من تربية ثلاثين أو أربعين فرخاً باستثناء بعض الفراخ التي سرقتها طيور الحدأة. وإن رشت زوجتك البذور في حديقة الخضروات، نبتت الأوراق الخضراء بسرعة كبيرة تفوق قدرتها على قطف البراعم الطرية لتأكلوها. كما اعتادت زوجتك أن تزرع البطاطا وتحصدها ثم تزرع الجزر ثم البطاطا الحلوة. وإن زرعت بذور الباذنجان، انتشرت ثمار الباذنجان الأرجواني في كل مكان خلال الصيف وحتى الشتاء. لقد تمتعت زوجتك بلمسة ميداس(*) تجعل كل شيء تلمسه ينمو بوفرة وغزارة. لم يكن يتسنى لها الوقت الكافي لنزع المنشفة المبلّلة بالعرق عن رأسها. إذ حالما نبتت الأعشاب في الحقول، سارعت باقتلاعها بيديها. واعتادت أيضاً أن تُقطّع بقايا الطعام إلى قطع صغيرة وتضعها في أوعية الجراء وتلتقط الضفادع وتسلقها ثم تهرسها لتطعمها للدجاج، وتجمع مخلفات الدجاج وتدفنها في حديقة الخضروات مرة تلو أخرى. وهكذا، فقد كان كل شيء تلمسه زوجتك يصبح خصباً ومزدهراً وينمو ويعطي فاكهة، وهذا ما جعلكم تعترفون بأنها تتمتع بموهبة عظيمة لدرجة أن أختك، التي لطالما حاولت أن تفتش عن معايبها، كانت تستدعيها وتطلب مساعدتها على حراثة الحقول وزراعة بذور الفلفل.

* * *

في الليلة الثالثة بعد عودتك إلى البيت، استيقظت عند منتصف الليل وتمدّدت ساكناً وأنت تحدق إلى السقف. وعندما رأيت صندوقاً

(*) ميداس: أسطورة تشير إلى ميداس وهو شخصٌ كلمّا مسّ شيئاً تحوّل إلى ذهبٍ.

رُسِمَت عليه علامة الين واليانغ في علم الطاقة الصينية موضوعاً فوق الخزانة، نهضت بسرعة، وأخذت تتدفق إلى ذهنك ذكرى ذلك اليوم الذي استيقظت فيه زوجتك عند انبلاج الفجر ثم نادتك لتوقظك. لكنك لم تجبها بالرغم من أنك استيقظت من النوم، وذلك لأنك لم ترد أن تزعج نفسك بذلك.

أطلقت زوجتك تنهيدة عميقة وقالت: "لا بد من أنك نائم. أرجوك لا تَعِش أكثر مني".

فالتزمت الصمت.

"لقد حضرت لك الملابس التي ستُلبَسُ إياها عندما تموت. إنها موضوعة في الصندوق الذي رسمت عليه علامة الين واليانغ فوق الخزانة. إن صندوقي هناك أيضاً، إن متُّ أنا قبلك، فلا تجزع وأنزل ذلك الصندوق أولاً. لقد أنفقت على هذه الملابس بتبذير وقمت بخياطتها من أفضل أنواع قماش القنب. قالوا لي إنهم يزرعون القنب بأنفسهم وينسجون القماش منه. ستدهش عندما تراها، فهي جميلة جداً". راحت زوجتك تتمتم وكأنها تلقي تهويدة عجيبة بالرغم من علمها أنك لا تصغي إليها.

"عندما توفيت زوجة عمي **تاميانغ** قبل مدة، ذرف زوجها عليها الكثير من الدموع، وقال إنها طلبت منه قبل أن تموت ألا يشتري لها ملابس غالية. وقالت له إنها كوت ثوب زفافها وطلبت منه أن يلبسها إياه. وعبّرت له عن حزنها لأنها سترحل قبله من دون حتى أن ترى ابنتهما وهي تتزوج. كما طلبت منه ألا ينفق المال عليها. قصّ العم **تاميانغ** هذه الأحداث عليّ وهو يتكئ على كتفي. لقد ذرف دموعاً كثيرة لدرجة أنه بلل ثيابي بالكامل. قال إنه لم يفعل شيئاً في حياته سوى أنه أجبرها على العمل بمشقة، وإنها لم تمت إلا بعد أن أصبحت حياتهما

ميسورة. لقد طلبت منه أن يعدها بألا يشتري لها ثوباً جميلاً حتى بعد موتها، ولكنني لا أريد أن أفعل ذلك بل أريد أن أرحل مرتدية ملابس جميلة. هل تريد أن تراها؟".

عندما لم تحرك ساكناً، تنهدت زوجتك بعمق مرة أخرى.

"ينبغي لك أن ترحل قبلي، وإن لم أستطع أن أعيش وحدي، فسأستطيع أن أذهب إلى هايونغ تشول وأعمل عملاً مفيداً كأن أقشر الثوم وأنظف البيت، ولكن ما الذي ستفعله أنت؟ إنك لا تجيد القيام بأي شيء. فقد عشت محاطاً بمن يخدمك طوال حياتك، فأنا أستطيع أن أدرك ذلك تماماً؛ لا أحد يحب أن يحتفظ برجل عجوز صامت وممّل يشغل مساحة بلا فائدة. إننا الآن نشكل عبئاً على أولادنا الذين لا يرجون فائدة من تواجدنا. يقول الناس إن المرء يستطيع أن يعرف من خارج المنزل إن كان هناك رجل عجوز يعيش فيه، إذ إن رائحته تكون كريهة. إن المرأة تستطيع أن تعيش وتعتني بنفسها نوعاً ما، ولكن الرجل يصبح مثيراً للشفقة إن توجب عليه العيش بمفرده. إن أردت أن تعيش طويلاً، فعلى الأقل لا تعش أكثر مني، إذ إنني سأمنحك جنازة لائقة وأتبعك إلى العالم الآخر. إنني أعدك بذلك".

وقفت على إحدى الكراسي لتنزل الصندوق من فوق الخزانة. في الواقع، هناك صندوقان؛ يبدو لك من حجم الصندوق الأمامي أنه لك والآخر لزوجتك، ولكنك تجدهما أكبر حجماً مما كانا يبدوان عليه وأنت مستلقٍ على السرير. لقد قالت زوجتك إنها لم ترَ في حياتها قماشاً أجمل من هذا وإنها قطعت مسافة طويلة للحصول عليه. فتحت الصندوق ووجدت فيه قماش القنب وملابس الحداد ملفوفة بقطن ناصع البياض. أخذت تفتح كل عقدة، فرأيت قماشاً لتغطية الفراش وقماشاً لتغطية الملاءة وقماشاً للف القدمين واليدين وكلها منسقة

ومرتبة. لقد قلت إنك ستدفنينني أولاً ثم ترحلين... طرفتَ بعينيك وتأمّلت الجوارب التي ستلف حول أصابعك وأصابع زوجتك عند دفنكما.

* * *

دخلت فتاتان صغيرتان من البوابة الجانبية وجرتا نحوك ونادتا: "جدي!"؛ إنهما ابنتا **تاي سوب** الذي يعيش قرب الجدول. سرعان ما ابتعدتا عنك وتجوّلتا في أنحاء البيت. لا بد من أنهما تبحثان عن زوجتك. إن من عادة جارك **تاي سوب**، الذي يدير مطعماً صينياً في **تايجون**، أن يترك ابنتيه لدى أمه المسنة، ولكن كبر سنها بالكاد يجعلها قادرة على رعاية نفسها. لقد كانت زوجتك تبدي استهجانها حين رؤيتها للفتاتين وتقول: "حتى لو أهمل **تاي سوب** تربية ابنتيه، فأي نوع من الأمهات هي زوجته لتهملهما بدورها؟". بدأ الجيران يتهامسون بأن زوجة **تاي سوب** وطاهي المطعم قد هربا معاً، فأصبحت زوجتك وحدها تحرص على إطعام الفتاتين. ذات مرة، لاحظت زوجتك أن الفتاتين لا تأكلان شيئاً، فأحضرتهما إلى البيت وقدمت لهما طعام الفطور. وفي صباح اليوم التالي، أتت الفتاتان وأمارات النوم لا تزال بادية على عيونهما، فوضعت زوجتك ملعقتين على الطاولة وأجلست الفتاتين. وبعد ذلك، أصبحتا تأتيان في كل أوقات الوجبات. وفي بعض الأحيان، كانت تصلان قبل أن يجهز الطعام فتستلقيان على الأرض وتلعبان. فإن وضعت زوجتك الطعام على المائدة، أسرعت الفتاتان بالجلوس وبدأتا تحشوان فميهما وكأنهما لن تتذوّقا الطعام مجدّداً. كان تصرفهما يجعل الدهشة تعتريك، ولكن زوجتك انحازت إليهما وكأنهما حفيدتاها السريتان، وقالت: "لا بد من أنهما تتضوران جوعاً لدرجة تدفعهما لهذا السلوك. لم تعد الأمور كالسابق عندما

كانت ظروفنا صعبة... من الجميل أن نحظى بهما هنا، فلا يعود البيت موحشاً".

عندما بدأت الفتاتان تأتيان لتناول الوجبات، أصبحت زوجتك تنهض صباحاً وتعد طبقاً من الباذنجان وتطهي السمك على البخار. وعندما كان الأولاد يأتون من **سول** لزيارتكما ويحضرون معهم الفاكهة أو الكعك، أصبحت زوجتك توفر الأكلات الشهية إلى حين حضور الفتاتين عند الرابعة عصراً. وسرعان ما أصبحت الفتاتان تتوقعان أن تتناولا وجبات خفيفة إضافةً إلى الوجبات الرئيسة، فبدأت زوجتك تعدها لهما أيضاً. لم تستطع أن تستوعب كيف استطاعت زوجتك أن تتولى رعاية الفتاتين في الوقت الذي توجّب فيه على السيد **بيونغ سيك**، وهو مالك أحد المتاجر في البلدة، أن يعيدها إلى البيت عندما وجدها جالسة عند موقف الحافلات وهي لا تعرف أي حافلة تركب للعودة إلى البيت. ذات مرة، غادرت متوجهة إلى الحديقة لقطف بعض الثمار، ولكن السيد **أوك تشول** عثر عليها وهو مارّ بالصدفة ووجدها جالسة في الحقول خلف السكة الحديدية. تُرى ما الذي كانت الفتاتان تأكلانه خلال غيابك؟ إنك لم تفكر فيهما في أثناء تواجدك في **سول**.

تسألك الفتاة الكبرى عندما تكتشف أن زوجتك ليست في البيت بعد أن بحثت في المخزن والباحة الخلفية وفتحت أبواب غرف النوم: "أين جدتي يا جدي؟"، تطرح الفتاة الكبرى السؤال، ولكن الصغرى هي من تتقدم منك وتقف بجانبك منتظرة إجابتك. إنك تود أن تطرح السؤال نفسه. حقاً، أين هي؟ ألا تزال في هذا العالم حقاً؟ طلبت من الفتاتين أن تنتظرا وغرفت بعض الأرز من المرطبان وغسلته ووضعته في آلة طهي الأرز الكهربائية. ركضت الفتاتان في الأنحاء وفتحتا أبواب

كل غرف النوم وكأن زوجتك ستظهر في إحداها. أصابك الارتباك لأنك لا تعرف كمية الماء التي يجب عليك أن تصبها على الأرز. وبعد ذلك، أضفت نصف فنجان آخر وأوقفت الآلة عن العمل.

عندما ركبت قطار الأنفاق الذي غادر محطة سول، كم دقيقة استغرقت لتدرك أن زوجتك ليست إلى جوارك في القطار بعد أن انطلق بك مغادراً؟ لقد افترضت أنها ركبت خلفك، وعندما توقف القطار في محطة ناميونغ ثم غادرها، انتابك شعور مفاجئ بالفزع. وقبل أن تدرك مصدر ذلك الشعور، شعرت أنك اقترفت خطأ جسيماً لا تستطيع تصحيحه. وأصابك ذلك الشعور بيأس قاتل، فبدأ قلبك ينبض بعنف لدرجة أنك كدت أن تسمع صوته. خشيت أن تنظر خلفك، وفي اللحظة التي توجب عليك فيها أن تعترف بأنك تركت زوجتك في محطة سول وركبت القطار، وفي اللحظة التي التفتّ فيها وضربتَ بكتف شخص واقف بجانبك عن غير قصد، أدركت أن خراباً يتعذر إصلاحه قد حلّ بحياتك. ولم تستغرق أكثر من دقيقة لتدرك أن حياتك قد انحرفت عن مسارها بسبب مشيتك السريعة وعادتك في المشي دائماً أمام زوجتك طوال كل سنوات زواجكما الذي دام خمسين عاماً. لو أنك التفتّ لتتفقّدها خلفك وأنت تركب القطار، فهل يا تُرى، كانت الأمور لتؤول إلى هذه النتيجة؟ اعتادت زوجتك لسنوات أن تدلي بتعليقات عن مشيتك، كانت تمشي خلفك دائماً عندما تذهبان إلى مكان ما معاً وتتبعك والعرق يتصبب من جبهتها وهي تتمتم: "أتمنى أن تخفف من سرعتك قليلاً. أتمنى أن تمشي حسب سرعتي. لِمَ العجلة؟". إن توقفت أخيراً لتنتظرها، ابتسمت لك بإحراج قائلة: "إنني أمشي ببطء شديد، أليس هذا صحيحاً؟".

أو ربما قالت لك: "إنني آسفة، ولكن ما الذي سيقوله الناس إن

رأونا؟ إن رآنا الناس ووجدوا أحدنا يمشي في المقدّمة والآخر خلفه بعيداً، فسيقولون: لا بد من أن هذين الزوجين يكرهان بعضهما بعضاً لدرجة أنهما لا يطيقان حتى أن يمشيا متجاورين. ليس من الجيد أن نبدو هكذا أمام الناس الآخرين. لن أحاول أن أمسك يدك أو أفعل أي شيء آخر، لذا دعنا نخفف من سرعتنا قليلاً. ماذا ستفعل إن غبت عن أنظارك؟".

لا بد من أنها أدركت ما سيجري قبل وقوعه. إن الشيء الوحيد الذي ظلت زوجتك تقوله لك دائماً وأبداً منذ قابلتها وأنت في العشرين من عمرك هو أن تمشي ببطء. كيف استطعت أن تمشي بسرعة مع أن زوجتك طلبت منك طوال حياتك أن تمشي ببطء؟ لقد كنت تتوقف وتنتظرها، ولكنك لم تمشِ إلى جانبها قط أو تتجاذب معها أطراف الحديث كما كانت ترغب وتتمنى ولو لمرة واحدة.

جعلك اختفاء زوجتك تشعر أن قلبك سينفجر كلما فكرت في مشيتك السريعة.

لقد مشيت متقدماً زوجتك طوال حياتك، وفي بعض الأحيان، كنت تنعطف في الزاوية من دون حتى أن تنظر خلفك. فإن نادتك زوجتك من الخلف، أخذت تتذمر في وجهها وتلومها لتقدمها ببطء شديد. وهكذا مرت خمسون سنة. عندما كنت تنتظرها، كانت تتوقف بجانبك وخداها حمراوان ثم تقول مبتسمة: "لا أزال أتمنى أن تمشي بسرعة أقل". اعتقدت أنك ستمضي بقية أيامك معها على هذا المنوال، ولكنها منذ ذلك اليوم الذي غادرت فيه على متن قطار الأنفاق، ذلك اليوم الذي سبقتها فيه ببضع خطوات، رحلت

وتركتك وحيداً للحزن والندم ولم تعد.

رفعت ساقك التي أجريت لها عملية جراحية بسبب إصابتها بالتهاب المفاصل وأسندتها على حافة الشرفة وأنت تراقب الفتاتين تلتهمان الأرز غير المطهي جيداً وحساء الكيمتشي. بعد العملية الجراحية التي أجريتها لساقك اليسرى، لم تعد تشعر بالألم أو تعاني مشاكل بالدورة الدموية، ولكن أصبح من المستحيل عليك أن تثنيها.

"هل تريد مني أن أضع ضمادة ساخنة عليها؟".

تكاد أن تسمع صدى صوت زوجتك تقول هذا الكلام وترى يديها المرصعتين بالنمش الداكن، هاتين اليدين اللتين كانتا تضعان قدراً من الماء على الموقد ثم ترطبان منشفة بالماء الساخن وتضعانها على ركبتك حتى لو لم تجبها. كلما رأيت يديها العجوزين المهملتين وهما تضغطان المنشفة على ركبتك، تمنيت لو أنها تعيش يوماً واحداً على الأقل بعد وفاتك لتغمض عينيك بيديها للمرة الأخيرة وتمسح جسدك البارد أمام أولادك وتلبسك الملابس التي أعدّتها لك والتي ستوارى بها الثرى.

صرخت قائلاً: "أين أنت؟". أنت يا من فقدت زوجتك، أنت يا من خُلِّفت وحيداً، تصرخ الآن وساقك ممدودة على حافة شرفة البيت الفارغ عندما ترى الفتاتين تركضان بعد أن أنهتا تناول طعامهما. إنك تصرخ محاولاً مقاومة غصة النحيب التي بدأت تحكم قبضتها على حنجرتك منذ فقدت زوجتك. لقد منعك خجلك من الصراخ وذرف الدموع أمام ابنيك وزوجتيهما أو ابنتيك، ولكن الغضب يفجر الدموع من عينيك ويجعلها تنهمر على وجنتيك دونما رادع يحول دون تدفّقها. إنها الدموع التي لم تذرفها وأنت في العاشرة من عمرك عندما دفن جيرانك

والديك اللذين ماتا لا يفصل بين موتهما إلا يومان بعد أن اجتاح وباء الكوليرا القرية. لم تذرف دمعة واحدة مع أنك تمنيت أن تبكي. بعد أن تمت مراسم دفن والديك، أخذت تسير على غير هدى في سفوح الجبال وأوصالُك ترتعد من شدة البرد والخوف. إنها الدموع التي لم تجد طريقها إلى خديك في زمن الحرب. عندما اشترت عائلتك بقرة من أجل حراثة الحقول، كان الجنود الكوريون الجنوبيون يقيمون معسكرهم في القرية خلال النهار. في تلك الأيام، بدأ الجنود الكوريون الشماليون يهبطون من الجبل إلى القرية تحت جنح الليل ويجرّون الناس والأبقار، فأصبحت تمشي إلى البلدة مع البقرة بعد غروب الشمس وتربطها بجانب مخفر الشرطة وتنام متكئاً على بطنها ثم تعيدها فجراً إلى القرية وتحرث الحقول. وذات ليلة، لم تذهب إلى مخفر الشرطة لأنك ظننت أن الجنود الكوريين الشماليين قد غادروا المنطقة، ولكنهم اقتحموا القرية وحاولوا أن يجروا البقرة معهم، فرفضت أن تسمح لهم بأخذها مع أنهم ركلوك وضربوك ضرباً مبرحاً. ركضت خلف البقرة ودفعت أختك التي حاولت أن تمنعك من اللحاق بهم. ومع أنهم ضربوك بماسورة البندقية، إلا أنك لم تبكِ أبداً. إنك لم تذرف دمعة واحدة عندما ألقي بك في حقل أرز مليء بالماء مع القرويين الآخرين بعد أن اتهموك بأنك رجعي لأن خالك يعمل تحرياً. إنك لم تبكِ عندما اخترق سهم من الخيزران عنقك. ومع ذلك، تنتحب الآن بحرقة ومرارة، مدركاً مدى أنانيتك لأن تتمنى أن تعيش زوجتك من بعد وفاتك. إن أنانيتك هي التي عمت بصرك عن مرض زوجتك ومعاناتها. لا بد من أنك أيقنت في قرارة نفسك أن زوجتك، التي غالباً ما كنت تظنها مستغرقة في النوم عندما تعود إلى البيت ليلاً، لم تكن تقوى على فتح عينيها بسبب شدة صداعها. إنك لم تعطِ الوضع حقه من الاهتمام. لقد لاحظت في وقت

ما من الماضي أن زوجتك عندما كانت تخرج لتطعم الكلب، كانت تتوجه بدلاً من ذلك إلى البئر أو تغادر المنزل لتذهب إلى مكان ما، ثم تتوقف عند البوابة وهي عاجزة عن تذكر المكان الذي أرادت التوجه إليه، فتستسلم وتعاود الدخول. كنت أكثر من مرة ترى زوجتك تتسلل إلى الغرفة وبالكاد تستطيع العثور على وسادة لتريح رأسها عليها وقد تقطّب حاجباها. لطالما كنت أنت من تعاني وتتألم وهي من تعتني بك. إن قالت لك زوجتك مرة بين الحين والآخر إن معدتها تؤلمها، بادرت بالقول: "إن ظهري يؤلمني"، وإن شعرت بتوعك، وضعت زوجتك يدها على جبهتك وفركت معدتك وتوجهت مباشرة إلى الصيدلية لتشتري لك دواء وأعدت لك العصيدة، ولكن إن شعرت هي بأنها ليست على ما يرام، أمرتها وحسب بأن تأخذ بعض الدواء.

الآن تدرك أنك لم تناول زوجتك قط كوباً من الماء عندما كانت تتقيّأ الطعام لأيام بسبب إصابتها بالغثيان.

بدأ كل ذلك بينما أنت تهيم على وجهك في الريف منغمساً بالعزف التقليدي على الطبول. وبعد أسبوعين، عدت إلى البيت. فاكتشفت أن زوجتك أنجبت طفلة. قالت أختك، التي ساعدت على توليدها، إنها كانت ولادة سهلة، ولكن زوجتك بدأت تعاني الإسهال الشديد لدرجة أنه لم يعد هناك أي لون في وجهها، وأن عظمتي وجنتيها بدتا بارزتين بحدة. لم تتحسن حالها، فشعرت أنها لن تتحسن إن وقفت مكتوف اليدين، لذلك أعطيت أختك مبلغاً من المال لتشتري لها بعض الدواء الصيني.

ازداد نحيبك ارتفاعاً وأنت جالس على شرفة البيت الفارغ.

والآن تدرك أن تلك هي المرة الأولى التي تدفع فيها على الإطلاق ثمن دواء لزوجتك. اشترت أختك ثلاث علب من الدواء الصيني وغلته على النار وأعطت زوجتك إياه. وبعد ذلك، بدأت زوجتك تعاني آلاماً في معدتها، فقالت: "لو أنني تناولت علبتين أخريين من الدواء الصيني في ذلك الوقت، فلربما شفيت الآن".

كانت زوجتك محبوبة بين أقاربك، أما أنت فلم تكن تقول لهم أكثر من كلمة مرحباًعندما يصلون ووداعاًعندما يرحلون. أصبح أقاربك العديدون يزورونك إكراماً لزوجتك، ولطالما قال الناس إن طعام زوجتك مفعم بالحب؛ فإن قامت زوجتك بمجرد قطف بعض الخضار من الحديقة لإعداد الحساء وبعض الملفوف لإعداد طبق ملفوف مملح عادي، تناول الزوار طعامها بشهية كبيرة وأثنوا على طعمه اللذيذ. وإن أتى أبناء إخوتك وبناتهم ليقيموا لديك خلال إجازات المدرسة، قالوا إنهم اكتسبوا وزناً كثيراً لدرجة أنهم لم يعودوا يستطيعون أن يزرّروا ملابسهم. وكان الجميع يقولون إن الأرز الذي تعده زوجتك يجعل الناس يصبحون بُدُناً. عندما عملت على زراعة الأرز في الحقول بمساعدة جيرانك وأحضرت لكم زوجتك طعام الغداء المعدّ من الأرز والسمك المطهي مع البطاطا، توقف الناس عن العمل ليحشوا أفواههم بالطعام، ودعوتم حتى عابري السبيل لمشاركتكم طعامكم الوفير. وأصبح القرويون يتنافسون للحضور للمساعدة في حقولكم ويقولون إن طعام زوجتك يسبب لهم تخمة شديدة لدرجة تجعلهم يؤدون ضعف العمل قبل أن يشعروا بالجوع مجدّداً. وإن صادف أن اختلس بائع بطيخ أو ملابس النظر من بوابتكم خلال وجبة الغداء، دعته زوجتك ورحبت

به وقدمت له وجبة. وبالرغم من كل هذا، فقد كانت زوجتك، التي اعتادت أن تتناول طعامها بكل سرور مع الغرباء، تنسجم مع كل الناس باستثناء أختك.

عندما عانت زوجتك آلاماً في معدتها، راحت تشكو وتتذمر وكأن تلك الإساءة قد لحقت بها في اليوم السابق: "ربما لأصبحت بصحة جيدة الآن لو أنني تناولت المزيد من الدواء الصيني في ذلك اليوم... لقد قلت بنفسك إنني أحتاج إلى جرعتين أخريين لأنني أنجبت طفلة لتوي ويجب أن أتقوى، ولكن أختك قالت وهي ترمقك بتلك النظرة اللئيمة: لماذا تحتاج إلى المزيد من الدواء؟ هذا كافٍ، ولم تحضر لي المزيد. لو أنني تناولت جرعتين إضافيتين، لما توجب علي أن أعاني هذه الآلام"، ولكنك لم تتذكر هذا. ومع أن زوجتك كررت القصة مرات عدة، فلم تحضر لها الدواء عندما كانت تعاني الإسهال.

"كان ينبغي لي تناول المزيد من الدواء، الآن لم يعد شيء يجدي نفعاً". عندما بدأت زوجتك تعاني الإسهال، أمسكت عن الأكل، فلم تدرك كيف يستطيع أحد أن يمتنع عن الطعام لأيام، ولكنك تجاهلت معاناتها ولم تسأل إن كان ينبغي لها أن تأكل شيئاً إلا بعد أن كبرتَ في السن. لقد قالت زوجتك حينها وتعبير وجهها يوحي بالبؤس: "إن الحيوانات بكل أنواعها تمتنع عن الأكل عندما تمرض؛ فالكلب مثلاً لا ينظر إلى الأكل حتى لو أعطيته طعاماً جيداً، بل يحفر حفرة أمام المنزل ويتمدد فيها، وبعد بضعة أيام ينهض ويتناول طعامه. إن البشر يتصرفون بالطريقة نفسها. إن معدتي ليست على ما يرام، لذا، مهما كان الطعام شهياً، فسيُحدِثُ مفعولاً كالسم عندما ينزل فيها".

عندما لم يتوقف الإسهال، بدأت تَبشُر ثمار البرسيمون المجففة وتتناول ملعقة منها. وظلت ترفض أن تذهب إلى المستشفى. "كيف

يمكن للبرسيمون المجفف أن يشفيك؟ اذهبي إلى المستشفى ودعي الطبيب يفحصك وخذي دواء من الصيدلية". شجعتها على فعل ذلك، ولكنها لم تصغِ إليك. وأخيراً، ألححت عليها، فصاحت قائلة: "ألم أقل لك إنني لست ذاهبة إلى المستشفى؟"، ومنعتك من مفاتحتها بالموضوع مرة أخرى.

في إحدى السنوات، غـادرتَ البيت في الصيف وعدت في الشتاء. فلاحظت وجود كتلة غير طبيعية في ثدي زوجتك الأيسر، ولكن زوجتك لم تُلقِ بالاً لكلامك. وعندما غارت حلمتها إلى الداخل وأصبحت مليئة بالإفرازات، أخذتها إلى المستشفى في البلدة ومنشفة العمل لا تزال ملفوفة حول رأسها. لم يستطيعوا أن يشخصوا الحالة على الفور، ولكنهم فحصوها وقالوا إن النتيجة تستغرق عشرة أيام لتظهر؛ فتنهدت زوجتك. ما الذي حدث في تلك الأيام العشرة؟ ما الأمر المهم الذي شغلك لدرجة أنك لم تعد إلى هناك لتعرف النتيجة؟ لماذا أجّلت الذهاب إلى هناك لتعرف ما الخطب؟ عندما أصيبت حلمة زوجتك بخراج، اصطحبتها إلى المستشفى، فقال الطبيب إن زوجتك مصابة بسرطان الثدي.

قالت زوجتك إن هذا مستحيل لأنها لا تملك متسعاً من الوقت لتتمدد في السرير بسبب العمل الكثير الذي عليها إنجازه. شرح الطبيب قائلاً إن زوجتك معرضة لخطر شديد بسبب سرطان الثدي، ومع أنها لم تنجب أطفالاً في سن متقدّمة وأرضعت كل أطفالها ولم تكن تحب تناول اللحم لأنها لم تكن تتحمل نفقته أصلاً، فقد أخذت خلايا السرطان تنمو وتنتشر في ثديها الأيسر. لو أنك ذهبت مباشرة للحصول على النتيجة، لما توجب عليهم استئصال ثديها. بعد الجراحة بوقت قصير، خرجت إلى الحقول وصدرها لا يزال ملفوفاً بالضمادات

وأخذت تزرع البطاطا. وبينما هي تزرع البطاطا المبرعمة في الحقل، الذي أصبح الآن ملكاً لشخص آخر لأنك بعته لتسدد تكلفة العملية الجراحية، أعلنت زوجتك قائلة: "لن أذهب إلى المستشفى مرة أخرى أبداً!"، ولم تعد ترفض الذهاب إلى المستشفى مجدّداً، ولكنها أصبحت ترفض السماح لك بالاقتراب منها.

بحلول الوقت الذي أردت فيه الذهاب إلى **سول** من أجل الاحتفال بذكرى ميلادك، كانت زوجتك تُعاني آلاماً في معدتها، فانتابك قلق من ألا تقوى على الذهاب إلى **سول** وهي ضعيفة هكذا، ولكنها طلبت منك أن تذهب إلى البلدة وتشتري لها موزاً لأنها سمعت عن علاج بالموز، فتناولت زوجتك قبل توجهكما إلى **سول** مزيجاً من ثمار البرسيمون المجففة ونصف موزة لثلاث وجبات. وبالرغم من أنها لم تمكث في السرير لأكثر من أسبوع بعد ولادة أطفالها، فقد تمددت لعشرة أيام وهي تعاني آلام معدتها المعهودة، ثمّ بدأت زوجتك تنسى موعد أداء طقوس الأسلاف. وإن أرادت أن تعد حساء الكيمتشي، توقفت عن العمل وهي تبدو شاردة الذهن. فإن سألتها عما يجري، قالت: "لا أعرف إن كنت قد أضفت الثوم أم لا..."، وكانت تمسك بقدر تغلي من صلصة الفاصولياء المخمرة بيديها وتحرقهما، فخطر ببالك أن هذا مجرد مظهر من مظاهر التقدم بالسن، وأخذت تفكر في سرّك: إنني أمضي أيامي من دون التفكير في العزف التقليدي على الطبول وهو أمر كنت أحبه كثيراً في ما مضى. ففي هذه السن، لا تعود أجسامنا فتية كسابق عهدها. ونشأ لديك اعتقاد أن الأمراض تصبح رفيقاً دائماً للإنسان في هذه السنّ وأن زوجتك بلغت هذه المرحلة أيضاً.

* * *

"هل أنت في البيت؟".

انفتحت عيناك على الفور لسماع صوت أختك، إذ إنك للوهلة الأولى ظننت أنك تسمع صوت زوجتك مع أنك تعرف تمام المعرفة أن أختك وحدها هي التي تأتي إلى بيتك في هذا الوقت المبكر من الصباح.

قالت أختك: "سأدخل"، وفتحت باب غرفة نومك. لقد رأيتها حاملة صينية عليها طبق من الأرز وبعض الأطباق الجانبية الأخرى مغطاة بملاءة بيضاء. وضعت الصينية أرضاً في آخر الغرفة ونظرت إليك. لقد عاشت أختك معك في هذا البيت ثم انتقلت منه قبل أربعين عاماً عندما بنت لنفسها بيتاً بجانب الطريق الجديد. ومنذ ذلك الحين، أصبحت تنهض عند بزوغ الفجر وتدخن سيجارة وتسرح شعرها وتثبته بدبوس ثم تأتي إلى منزلك. اعتادت أختك أن تتمشى حول منزلك في ضوء الفجر ثم تعود أدراجها إلى البيت. كانت زوجتك تستيقظ على صوت وقع خطوات أختك وهي تدور حول المنزل بهدوء فتتأفّف وتتذمر قائلة: "ها قد عادت"، ثم تنهض من سريرها. لقد حرصت أختك على الحضور لتطمئنّ على سلامتك، إذ إنها فقدت في شبابها شقيقين أكبر منها سناً في الوقت نفسه، ثم فقدت والديها اللذين لا يفصل الموت بينهما إلا يومان خلال الحرب، وكادت أن تفقدك أنت أيضاً. وبعد أن تزوجت، أتى زوجها ليعيش في قريتكم بدلاً من أن تذهب أختك للعيش في قرية أهل زوجها. وظل جرح فقدانها لزوجها الشاب في حريق شبّ في المنزل راسخاً في أعماق نفسها ونما ليصبح شجرة حزن كبيرة متشابكة لا يستطيع أحد أن يجتثها من جذورها أبداً.

"ألم تزعج نفسك حتى بالنوم في فراشك؟"، بدت عينا أختك منهكتين بعد أن أصبحت أرملة شابة لا أولاد لها، ولكنهما لطالما بدتا

في الماضي حادتين وقاسيتين. كما بدا شعرها المسرح بأناقة والمثبت بدبوس أبيض اللون كلياً. إنها تكبرك بثماني سنوات، ولكن قامتها تبدو أكثر استقامة منك. جلست بجانبك وأخرجت سيجارة ثمّ وضعتها بين شفتيها.

سألتها قائلاً: "ألم تقلعي عن التدخين؟".

من دون أن تجيب عن سؤالك، استخدمت ولاعة طبع عليها اسم مشربٍ في البلدة ونفخت دخان سيجارتها قائلة: "إن الكلب في منزلي، يمكنك أن تعيده إن شئت ذلك".

"اتركيه عندك في الوقت الحاضر... أعتقد أنني سأعود إلى **سول**".

"ما الذي ستفعله هناك؟".

فلم تُجِب عن سؤالها.

"لماذا عدت بمفردك؟ ظننتك عثرت عليها وأعدتها إلى البيت!".

"ظننت أنها بانتظاري هنا".

"لو أنها عادت إلى هنا، لاتصلت بك على الفور، أليس كذلك؟".

التزمت الصمت.

"كيف يطاوعك ضميرك لتتصرّف بهذه الطريقة أيها الرجل عديم الفائدة؟! كيف يمكن لزوج أن يفقد زوجته؟! كيف تجرؤ على العودة إلى هنا في الوقت الذي لا تزال فيه تلك المرأة المسكينة في مكان ما لا يعرفه أحد؟".

حدّقت إلى أختك ذات الشعر الأبيض، إذ إنك لم تسمعها قط تتحدث عن زوجتك على هذا النحو. فلطالما عبرت أختك عن استهجانها من زوجتك ووبختها لأنها لم تحمل خلال عامين من زواجكما. وعندما أنجبت زوجتك **هايونغ تشول**، صرفت أختك الفكرة برمتها، وقالت: "لم تحقق إنجازاً عظيماً يعجز عنه الآخرون". أقامت

أختك مع عائلتك خلال السنوات التي توجب فيها على زوجتك أن تطحن الحبوب بالهاون لتطهي كل وجبة، ولم تتولَّ لمرة واحدة قط العمل بالهاون بدلاً منها، ولكنها ساعدت في ما بعد على رعاية زوجتك عندما أنجبت أطفالها.

قالت أختك: "لقد أردت أن أبوح لها بأمر قبل أن أموت، فلِمَن سأبوح به الآن بعد غيابها؟".

"ما الذي ستقولينه لها؟".

"بعض الأمور".

"هل تتحدثين عن مدى لؤمك في معاملتها؟".

"هل قالت لك إنني لئيمة معها؟".

قمت بمجرد التحديق إلى أختك من دون حتى أن تضحك. هل تقولين إنك لست كذلك؟ إن الجميع يعرفون أن أختك لطالما تصرفت وكأنها حماة زوجتك لا أخت زوجها، ولكن أختك تكره سماع الحقيقة، إذ إنها تقول إن من واجبها القيام بهذا الدور بسبب عدم تواجد شخص كبير في العائلة.

سحبت أختك سيجارة أخرى من علبة سجائرها ودسّتها بين شفتيها، فأشعلتها لها. لا بد من أن اختفاء زوجتك قد دفع أختك للعودة للتدخين مجدّداً. إنك لا تستطيع أن تتخيل أختك من دون سيجارة بين شفتيها، إذ إن أول شيء تفعله عندما تستيقظ في الصباح هو البحث عن سيجارة، كما أنها تمضي يومها كله وهي تبحث عن السجائر قبل أن تفعل أي شيء وتذهب إلى أي مكان وقبل أن تأكل وتخلد إلى النوم. ومع أنك كنت تعتبرها مفرطة في التدخين، فلم تطلب منها قط أن تقلع عنه. في الواقع، إنك لا تستطيع أن تقدم على هذا. عندما رأيتها بعد وفاة زوجها، وجدتها تحدق إلى المنزل الذي احترق وهي تدخن. فقد

جلست وراحت تشعل سيجارة تلو أخرى من دون أن تبكي أو تضحك، وظلت تدخن بدلاً من أن تأكل أو تنام. وبعد الحريق بثلاثة أشهر، أصبح في وسعك أن تشم رائحة السجائر المنبعثة منها حتى قبل أن تقترب منك؛ فقد تسرب التبغ إلى كل خلايا جسمها.

بعد أن بلغت أختك الخمسين من عمرها، أصبحت تقول: "لن أعيش طويلاً الآن. طوال تلك السنوات، اعتبرت حظي في الحياة قاسياً وحزيناً جداً. ما الذي أحظى به في حياتي؟ لا طفل ولا شيء. عندما كان شقيقانا يحتضران، ظننت أنه ينبغي لي الموت بدلاً منهما. وبعد أن مات والدانا، لم يعد لي سواك وسوى كيون، وشعرت أننا أصبحنا وحيدين في هذا العالم. ومنذ ذلك الحين، وبعد أن مات زوجي في الحريق قبل أن أحظى بالفرصة لأن أصبح مولعة به، لم أعد أعتبرك أخي فقط بل ابني وحبيبي...".

قد يكون ذلك صحيحاً. ولو لم يكن كذلك، لما تجولت في الحقول لتجمع لك الندى طوال عام كامل بعد أن سقطتَ طريح الفراش وشبه مشلول من إصابتك بسكتة في منتصف العمر، إذ إنها سمعت أنك قد تشفى إن شربت وعاء من ندى الصباح كل يوم. فأصبحت أختك تستيقظ عند منتصف الليل وتنتظر بزوغ الفجر لتجمع وعاء كاملاً من الندى قبل شروق الشمس. بحلول ذلك الوقت، توقفت زوجتك عن الشكوى من أختك وبدأت تعاملها باحترام وكأنها حماتها فعلاً، وقالت زوجتك وهناك نظرة رهبة على وجهها: "لا أظن أنني كنت لأبذل القدر نفسه من التضحيات إكراماً لك".

تابعت أختك كلامها قائلة: "إنني أريد أن أعتذر لها عن ثلاثة أشياء قبل أن أموت".

"ماذا تريدين أن تقولي لها؟".

"أريد أن أقول لها إنني آسفة بشأن كيون وبشأن الوقت الذي صرخت فيه عليها لأنها قطعت شجرة المشمش، ولأنني لم أحضر لها الدواء عندما عانت آلاماً في معدتها...".

كيون! بقيت صامتاً ولم تجبها.

نهضت أختك وأشارت إلى الصينية المغطاة بقماش أبيض قائلة: "هناك بعض الطعام من أجلك. تناوله عندما تشعر بالجوع. هل تريده الآن؟".

"كلا، لست جائعاً بعد، فقد استيقظت لتوي"، ثمّ نهضت على قدميك.

تبعت أختك وهي تمشي حول المنزل، وقد بدا المكان في غياب زوجتك ذات اليدين الحانيتين مغطى بالغبار. فمسحت أختك الغبار عن أغطية المرطبانات وأنت تمشي بجانبها في الباحة الخلفية.

سألتك أختك فجأة قائلة: "أين تظن كيون الآن؟".

"لماذا تتحدثين عنه؟".

"لقد بدأتُ فجأة أراه في أحلامي. أتساءل كيف كان ليصبح لو أنه لا يزال حياً".

"ماذا تعنين بقولك هذا؟ كان ليصبح عجوزاً مثلي ومثلك...".

عندما تزوجت وأنت في العشرين من عمرك بزوجتك ذات السبعة عشرة عاماً، كان شقيقك الأصغر كيون لا يزال في الصف السادس. اتسم كيون بالذكاء والوداعة والوسامة والتفوق على أقرانه في درجاته المدرسية، وكان الناس يمرون بقربه ويلتفتون إليه متسائلين عن العائلة المحظوظة التي تحظى به كابن لها، ولكنه لم يستطع الالتحاق بالمدرسة الإعدادية بسبب ضيق حالتكم المادية بالرغم من أنه توسل

إليك وإلى أخته أن تسمحا له بالالتحاق بها. إنك تتخيّله يقول: من فضلك أرسلني إلى المدرسة يا أخي. من فضلك أرسليني إلى المدرسة يا أختي. كان يبكي وينتحب كل يوم ويتوسل إليكما أن ترسلاه إلى المدرسة. بالرغم من مرور بضع سنوات على انتهاء الحرب، فقد ظللت فقيراً ومثيراً للشفقة. إنك أحياناً تفكر في تلك الأيام وكأنها حلم. فقد نجوت بأعجوبة بعد أن اخترقك رمح من الخيزران في عنقك، ولكنك غرقت في وضع مأساوي لأنك كنت الابن الأكبر لعائلة كبيرة ممتدة ومسؤولاً عن إعالة الجميع، فدفعتك تلك الظروف الصعبة الشاقة ربما للرغبة في مغادرة المنزل، إذ إن مجرد العثور على الطعام أصبح يشكل تحدياً، ناهيك عن إرسال أخيك إلى المدرسة. عندما لم يلقَ كيون آذاناً صاغية منك ومن أختك، أخذ يتوسل زوجتك.

"من فضلك، يا زوجة أخي، أرسليني إلى المدرسة، دعيني ألتحق بالمدرسة الإعدادية وسأمضي بقية عمري وأنا أعوض عليك".

قالت لك زوجتك: "إنه يريد الالتحاق بالمدرسة من كل قلبه. ألا ينبغي لنا أن نجد طريقة نجعله يلتحق بها؟".

فأجبتها قائلاً: "لم أستطع أنا أيضاً الالتحاق بالمدرسة! ولكنه تمكن على الأقل من الالتحاق بالمدرسة الابتدائية".

لم تستطع الالتحاق بالمدرسة بسبب أبيك؛ فقد كان طبيب أعشاب صينية، ولهذا، فلم يسمح لك بالذهاب إلى أي مكان فيه حشود كبيرة من الناس سواء المدرسة أو أي مكان آخر بعد أن فقد ولدين من أولاده بالوباء، ولكنه تولى تعليمك الأحرف الصينية بنفسه.

قالت لك زوجتك: "دعنا نرسله إلى المدرسة".

"كيف ذلك؟".

"يمكننا أن نبيع الحديقة".

عندما سمعت أختك هذا الكلام، قالت: "ستلحقين الدمار بهذه العائلة!"، وأرسلت زوجتك إلى قريتها. وبعد عشرة أيام، قادتك قدماك وأنت ثمل نحو بيت أهل زوجتك ليلاً، فمشيت متعثراً على طول الطريق الجبلي، وعندما وصلت إلى كوخ أهل زوجتك، توقفت قرب نافذة الغرفة الخلفية المضاءة، وهي أقرب غرفة إلى الخيزران. لم تذهب إلى هناك لأنك أردت أن تعيد زوجتك، ولكن شراب الأرز هو ما دفعك للتوجه إلى هناك. إنه الشراب الذي أعطاك إياه أحد جيرانك بعد أن ساعدته على حراثة حقوله. وبالرغم من أنك أرسلتَ زوجتك إلى بيت أهلها، فلم تجرؤ على الدخول إلى بيتهم وكأن شيئاً لم يكن. وهكذا، وقفت هناك مستنداً إلى الجدار الطيني، واستطعت أن تسمع صوت حماتك وزوجتك تتحدثان بالتحديد كما فعلت عندما سمعتهما في حقول القطن قبل أن تتزوجها. قالت حماتك بصوت عالٍ: "لا تعودي إلى ذلك البيت المقرف! احزمي أغراضك واتركي تلك العائلة".

لكن زوجتك أصرت وهي تشهق من البكاء قائلة: "لو أردت أن أموت، لعدت إلى ذلك البيت لأموت فيه. لماذا ينبغي لي أن أغادر ذلك البيت بعد أن أصبح بيتي أيضاً؟". ظللت واقفاً أمام الجدار إلى أن تسرب ضوء الفجر إلى غابة الخيزران. وعندما خرجت زوجتك لتعد الفطور، أمسكت بها، ورأيت عينيها الكبيرتين الداكنتين تبدوان متورمتين وكأنها أمضت ليلتها باكية. أمسكت بيد زوجتك وشققت طريقك عبر حقل الخيزران عائداً إلى بيتك. وعندما تجاوزت حقل الخيزران، تركت يد زوجتك ومشيت أمامها. تساقطت قطرات الندى على ثيابك، فتبعتك زوجتك وهي تلهث قائلةً: "أبطئ في السير قليلاً!".

عندما وصلت إلى البيت، هرع **كيون** إلى زوجتك وراح يناديها قائلاً: "زوجة أخي!".

قال لها: "أعدك أنني لن أذهب إلى المدرسة يا زوجة أخي! من فضلك لا تتركينا هكذا!"، وفاضت الدموع من عيني **كيون**. لقد تخلى عن حلمه، ومنذ ذلك الوقت وصاعداً، انهمك **كيون** بمساعدة زوجتك على إنجاز الأعمال المنزلية والعمل في الحقول، وأصبح رفيقاً مخلصاً يلازمها عندما تبتعد عن المنزل. وعندما اشتد عود **كيون**، أصبح يحرث الحقول في الربيع، ويحصد الأرز من الحقول في الخريف قبل المزارعين الآخرين. وفي أواخر الخريف، بدأ يذهب إلى حديقة الملفوف في الصباح الباكر ويحصد كل ثمار الملفوف. في ذلك الوقت من الماضي، اعتاد الناس أن يقشروا الأرز على حُصُر من القش في الحقول؛ فكانت كل امرأة تحضر أداة ذات أسنان معدنية داخل إطار خشبي ذي أربع قوائم وتسحب نبات الأرز من خلالها لتجبر حبوب الأرز على الخروج. وكانت كل نساء القرية اللواتي يملكن أدوات من هذا النوع يذهبن إلى حقول العائلة التي تقشر الحبوب ذلك اليوم ويعملن على إخراج الحبوب من قشورها حتى غياب الشمس. في إحدى السنوات، ذهب **كيون**، الذي ازداد طوله عشرة سنتيمترات عن العام الفائت، للعمل في مصنع لشراب الشعير في البلدة، واشترى بمال الراتب الأول له أداة لقشر الأرز وأحضرها إلى البيت ليعطيها لزوجتك.

سألت زوجتك قائلة: "لماذا أحضرت هذه الأداة؟".

ابتسم **كيون** وقال: "إن أداتك هي الأقدم في القرية، ولم تعد حتى تثبت على قوائمها".

قبل أن يشتري **كيون** هذه الأداة، قالت لك زوجتك إن أداتها قديمة جداً وتتطلب منها مجهوداً أكبر من النساء الأخريات لقشر الحبوب، وطلبت منك أن تشتري لها واحدة جديدة، ولكن كلماتها لم تلقَ منك آذاناً صاغية، وفكرت في سرّك قائلاً: لا بأس بالأداة المتوفرة بين

يديها. ما الجدوى من شراء واحدة جديدة؟ غضبت زوجتك من **كيون** وهي تمسك بالأداة الجديدة، وربما كنت أنت سبب غضبها، وقالت: "لماذا اشتريت شيئاً كهذا في الوقت الذي نعجز فيه عن إرسالك إلى المدرسة؟".

قال **كيون** وقد احمر وجهه: "إن هذا أمر لا قيمة له".

لطالما انسجم **كيون** بشكل كبير مع زوجتك، ربما لأنه اعتبرها بمثابة أم له. وبعد أن اشترى أداة قشر الحبوب، اشترى أشياء متعددة للبيت كلما توفر معه بعض المال، وكلها أشياء تحتاج إليها زوجتك. فقد اشترى لها طستاً من النيكل، وشرح لكم وهو محرج بعض الشيء قائلاً: "إن هذا هو ما تستخدمه النساء الأخريات؛ إذ لم يعد أحد يستخدم سلة مطاطية ثقيلة كالتي تستخدمها زوجة أخي...". أعدت زوجتك أنواعاً عدة من الحساء في الطست الجديد. واستخدمته لتحمل الغداء إلى الحقول، وكانت تصقله بعد استخدامه وتضعه فوق الخزانة. وظلت تستعمله إلى أن زال عنه النيكل وتحول لونه إلى الأبيض.

نهضتَ فجأة وذهبتَ إلى المطبخ، ثمّ فتحتَ بابه الخلفي ونظرتَ إلى الرفوف المصنوعة من القضبان في غرفة الاحتياجات المتعددة. كما رأيتَ طاولات عريضة قوائمها مطوية مكدسة في القمة وفوقها طست النيكل الذي مضى عليه عقود من الزمن.

أنجبت زوجتك ابنك الثاني خلال غيابك عن البيت، ولكن **كيون** بقي إلى جانبها. كان الطقس شتاء والجو بارداً، وقد نفد حطب التدفئة من البيت، لذلك قطع **كيون** شجرة المشمش القديمة المزروعة في الباحة من أجل تدفئة زوجتك في غرفتها الباردة، ودفع بالحطب داخل

الفرن الواقع تحت غرفة زوجتك وأشعل بها النار. اقتحمت أختك غرفة زوجتك ووبختها وسألتها كيف تجرأت أن تفعل أمراً مماثلاً، إذ يقال إن أفراد العائلة يبدأون بالموت الواحد تلو الآخر إن قطع أحدهم شجرة من أشجار العائلة. فصاح كيون قائلاً: "أنا قطعت الشجرة! لماذا تتهمينها؟". أمسكت أختك بكيون من عنقه وقالت: "هل طلبت منك أن تقطعها؟ أيها الشرير! أيها الولد السيِّئ!" ولكن كيون رفض أن يعترف بخطئه، وبدت عيناه السوداوان الكبيرتان براقتين في وجهه الشاحب، وسألها قائلاً: "هل تريدينها أن تتجمد من البرد حتى الموت في هذه الغرفة الباردة بعد أن أنجبت طفلها؟".

بعد ذلك بوقت قصير، غادر كيون المنزل ليجني بعض المال، فغاب عن البيت لأربع سنوات. وعندما عاد مفلساً، رحبت زوجتك بعودته بحرارة، ولكنها لاحظت تغييراً كبيراً طرأ على كيون في أثناء غيابه؛ فمع أنه أصبح شاباً قوي البنية، لكنّ عينيه لم تعودا مشرقتين بعد الآن، وبدت الكآبة مرسومة على ملامحه. وعندما سألته زوجتك عما فعله وعن المكان الذي ذهب إليه، لم يجبها أو يبتسم لها، فظنت أن قسوة العالم الخارجي غيرت نفسيته.

في المكان الذي قطعت فيه شجرة المشمش، وبعد مرور عشرين يوماً تقريباً على عودة كيون إلى البيت، ركضت زوجتك إلى المخزن في البلدة ووجهها شديد الشحوب، فوجدتك تلعب لعبتك المفضلة، وقالت لك إن كيون يعاني خطباً ما، وأصرت عليك أن تأتي إلى البيت على الفور، ولكنك كنت مستغرقاً باللعبة، لذا، طلبت منها أن تسبقك، ولكن زوجتك ظلت واقفة وهي مصعوقة من عدم مبالاتك ثم قلبت الحصيرة التي وضعتم عليها اللعبة، وصاحت قائلة: "إنه يحتضر! يجب أن تأتي معي الآن!".

لقد تصرفت زوجتك بغرابة شديدة لدرجة أنك انطلقت نحو البيت وقلبك منقبض.

صاحت زوجتك قائلة وهي تتقدمك في الطريق: "أسرع! أسرع!"، كانت المرة الأولى التي تسبقك فيها في المشي. وجدت كيون مستلقياً مكان شجرة المشمش وهو يتلوى وفمه يزبد ولسانه متدلٍّ منه.

نظرت إلى زوجتك وقلت لها: "ما خطبه؟"، ولكنّ الحزن غمر مشاعرها، فلم تستطع أن تجيب عن سؤالك.

كانت زوجتك التي عثرت على كيون على تلك الحالة هي من تم استدعاؤها إلى مخفر الشرطة مرات عدة. وقبل أن يحددوا سبب وفاته، انتشرت شائعة في القرية المتاخمة لقريتكم بأنها سممت شقيق زوجها بمبيد الحشرات. صاحت أختك في وجه زوجتك وعيناها محمرتان من شدة البكاء: "لقد قتلت شقيقي الصغير!".

التزمت زوجتك الهدوء وهي تخضع لاستجواب المحققين وقالت: "إن كنتم تعتقدون أنني قتلته، فزجوا بي في السجن".

ذات مرة، أراد المحققون أن يحضروا زوجتك إلى البيت، فرفضت أن تغادر المخفر وطلبت منهم أن يزجوا بها في السجن. وعندما وصلت إلى البيت، راحت تشد شعرها وتلطم صدرها من شدة الحزن، أو كانت تذهب إلى البئر وتبتلع الماء البارد. وفي تلك الأثناء، أخذتَ تجوب أنحاء التلال والحقول مخبولاً وأنت تنادي باسم أخيك: كيون! كيون! وتأججت نيران الأسى في صدرك حتى عجزت عن تحمل شدة حرارتها في جسدك. كيون! إن صمت الموتى يجعل الباقين على قيد الحياة يصابون بالجنون.

الآن تدرك قدر الجبن الذي أبديته نحو زوجتك، فقد عشت حياتك

بطولها وأنت تثقل كاهلها بكل آلامك. كان **كيون** شقيقك أنت، ولكن زوجتك هي من شعر الناس بالحاجة إلى مواساتها. وعندما رفضت أن تتحدث في الأمر، عزلتها بعيداً عنك.

بالرغم من أنها كادت أن تفقد صوابها من الحزن، فقد تدبرت زوجتك نفسها واستخدمت شخصاً ما ليدفن **كيون**. مرت السنوات، ولكنك لم تسألها عن التفاصيل قط.

فكانت تسألك أحياناً: "ألا تريد أن تعرف مكان دفنه؟".

ولكنك لم تجبها بكلمة واحدة لأنك لم تودّ أن تعرف شيئاً.

"لا تحتقره هكذا لأنه رحل بهذه الطريقة... فأنت أخوه. ليس لديه أبوان، لذا، يجب عليك أن تزوره. أتمنى لو نستطيع أن نعيد دفنه في مكان جيد في مقبرة الأسلاف".

فكنت تصرخ عليها قائلاً: "لماذا يجب علي أن أعرف مكان دفن ذلك التافه؟".

ذات مرة، وبينما أنتما الاثنان تمشيان على طول أحد الطرقات، توقفت زوجتك وقالت: "إن قبر **كيون** قريب من هنا، ألا تريد أن تذهب لتلقي عليه نظرة؟"، فتظاهرت أنك لم تسمعها. لماذا جرحت شعورها بهذا الأسلوب؟ قبل عامين فقط، وفي ذكرى وفاة **كيون**، أعدت زوجتك بعض الطعام وأخذته إلى قبره، وعندما هبطت من التلة، كانت عيناها حمراوين من البكاء.

أحدث وفاة كيون تغييراً في شخصية زوجتك؛ فبعد أن كانت امرأة سعيدة مرحة، توقفت عن الابتسام. وإن ابتسمت فعلاً، اختفت ابتسامتها سريعاً. ومع أنها اعتادت أن تستغرق في النوم حالما تستلقي

على سريرها لشدة إرهاقها من العمل في الحقول، فقد أصبحت الآن تمضي لياليها والنوم يجافي عينيها، ولم تعد قادرة قط على النوم بعمق إلى أن أصبحت ابنتكم الصغرى صيدلانية ووصفت لها بعض الأقراص المنومة. لا بد من أن بعض الأقراص غير المتحللة لا تزال مكدسة في دماغ زوجتك المفقودة. أعدت بناء البيت الجديد بنفسك مرتين بعد وفاة **كيون**، فتخلصت من كل الأشياء القديمة، ولكن زوجتك اعتنت بطست النيكل خوفاً من أن يستولي عليه أحد أو ربما خشية أن يختلط مع أغراض أخرى ولا تعود قادرة على العثور عليه. وكان الطست أول غرض أحضرته معها إلى الخيمة المؤقتة التي أقمتم فيها إلى أن تمت إعادة بناء البيت. وعندما اكتمل العمل في البيت، وقبل أن تفعل أي شيء آخر، أحضرت الطست ووضعته على الرف في البيت الجديد.

إلى أن اختفت زوجتك، لم يخطر ببالك قط أن صمتك بشأن **كيون** قد ألحق الأذى بمشاعرها. فقد كنت تفكر في سرّك قائلاً: ما الجدوى من التحدث عن الماضي؟ وعندما قالت ابنتك: "لقد تحدث الطبيب عن تعرض الوالدة لصدمة عنيفة. هل هناك شيء لا أعرف بشأنه؟"، هززت رأسك نافياً. وعندما قالت: "إن الطبيب ينصح بعرضها على طبيب نفسي"، قاطعتها قائلاً: "من يحتاج إلى طبيب نفسيّ؟". لطالما اعتبرت **كيون** ذكرى يجب أن تنساها والعمر يتقدم بك، وأصبحت الآن تظن أنك نسيته. بعد أن بلغت زوجتك الخمسين من عمرها قالت: "لم أعد أرى **كيون** في أحلامي". ظننت أن زوجتك أصبحت على ما يرام لأنك شعرت أنك كذلك. وفي السنوات الأخيرة، بدأت زوجتك تتحدث عن **كيون** مجدّداً بعد أن افترضت أنها نسيت أمره كلياً.

في ليلة من الليالي قبل بضعة أشهر، هزتك زوجتك لتوقظك وقالت: "هل تظن أن **كيون** لم يكن ليفعل فعلته لو أننا أرسلناه إلى المدرسة؟"، ثم همست وكأنها تكلم نفسها قائلة: "عندما تزوجتك، كان **كيون** ألطف الجميع معي... إنني زوجة أخيه، ولكنني وقفت عاجزة حتى عن إرساله إلى المدرسة الإعدادية بالرغم من أنه تمنى تحقيق ذلك الحلم من كل قلبه".

تنهدت وانقلبت على جنبك الآخر، ولكن زوجتك واصلت حديثها بلا انقطاع: "لماذا تصرفت على ذلك النحو؟ لماذا لم ترسله إلى المدرسة؟ ألم تتألم لحاله وأنت تراه يبكي من شدة رغبته في الذهاب إلى المدرسة؟ لقد قال إنه سيعثر على طريقة ليتابع بها دراسته إن قمنا وحسب بمجرد إلحاقه بها".

رفضت أن تتحدث إلى أي شخص عن **كيون**، فقد شعرت أن موته أحدث جرحاً عميقاً يؤلم فؤادك. وبالرغم من أن شجرة المشمش قد قطعت، فقد بقيت تتذكر بكل وضوح مكان موته وترى زوجتك تحدق إلى ذلك المكان في بعض الأحيان أيضاً. لم تكن تريد أن يفتح أحد جروحك القديمة، إذ إن هناك أموراً أسوأ من ذلك في الحياة.

تنحنحت مرات عدة.

بعد اختفاء زوجتك، يخطر ببالك الآن أنه كان ينبغي لك أن تمضي المزيد من الوقت تلك الليلة وأنت تتحدث إليها بصراحة عن **كيون**. فقد ظلت ذكرى **كيون** ماثلة في قلب زوجتك وهو يصبح أكثر خواء. وأصبحت زوجتك تنهض فجأة في منتصف الليل وتهرع إلى الحمام وتركع أمام المرحاض أو تمد يديها إلى الأمام وكأنها تدفع شيئاً ما بعيداً عنها وتصرخ: "لست أنا من فعلها! لست أنا!". فإن سألتها إن راودها كابوس، حدقت إليك بعينين خاليتين من التعبير وكأنها نسيت ما

جرى لها. وبدأ هذا الوضع يتكرر أكثر فأكثر.

لماذا لم تفكر في أمر ذهاب زوجتك المستمر إلى مخفر الشرطة بسبب **كيون** وما أشيع في البلدة عن قتلها له؟ لماذا تدرك الآن فقط أن هناك ربما علاقة بين **كيون** والصداع الذي ينتاب زوجتك؟ لقد كان ينبغي لك أن تصغي إليها ولو لمرة واحدة، وأن تسمح لها بالتعبير عن مكنونات نفسها. لا بد من أن سنواتٍ أمضتها زوجتك في صمت بعد أن لمتها على ما حدث ولم تسمح لها حتى بالتحدث عنه قد جرتها إلى هاوية الألم. أصبحت تراها أكثر من مرة مسمّرة في مكانها والضياع بادٍ عليها. فكانت تقول: "لا أستطيع أن أتذكر ما كنت أقوم به". وبالرغم من أن الصداع اشتد عليها كثيراً في بعض الأحيان لدرجة جعلها عاجزة عن المشي، فقد ظلت ترفض أن تذهب إلى المستشفى، وأصرت ألا تخبر الأولاد بصداعها قائلةً: "ما الفائدة من إخبارهم؟ إنهم مشغولون بأعمالهم".

وعندما اكتشفوا أمر مرضها، بررت الموقف قائلة: "لقد أصبت بالصداع البارحة، ولكنني الآن أصبحت على خير ما يرام!". ذات مرة، وجدتها جالسة عند منتصف الليل، وعندما أصدرت ضجة، أصبحت ملامح وجهها باردة كالحجر، وقالت لك: "لماذا بقيت معي طوال تلك السنوات؟". بالرغم من كل شيء، فقد ظلت زوجتك تعد الصلصات وتقطف الخوخ الياباني البري لتعد العصير. وفي أيام الأحد، كانت تركب دراجتك النارية وتذهب إلى دار العبادة. وفي أوقات أخرى، أخذت تقترح عليك أن تذهبا لتناول الطعام خارجاً لأنها ترغب في تناول طعام جاهز. ناقش أفراد العائلة فكرة دمج جميع طقوس الأسلاف العديدة في يوم واحد، ولكنها قالت إنها ستفعل ذلك عندما يحين دور

زوجة **هايونغ تشول** لتتولى أمر الطقوس، وأصرت على أنها قد أدت الطقوس طوال حياتها وستستمر في الاحتفال بكل يوم منها على حدة طالما هي على قيد الحياة. ومع ذلك، فقد أصبحت زوجتك خلافاً لعادتها تنسى شيئاً ما يتعلق بمائدة طقوس الأسلاف وتعود إلى البلدة أربع أو خمس مرات، فافترضت أن هذا مجرد شيء طبيعي يحدث مع جميع الناس.

* * *

رنّ الهاتف عند الفجر. في هذه الساعة؟ رفعت السماعة والأمل يملأك.

"والدي؟".

إنها ابنتك الكبرى.

"والدي؟".

"نعم".

"ما الذي جعلك تستغرق كل هذا الوقت لتجيب على الهاتف؟ لماذا لم تجب على هاتفك الخلوي؟".

"ما الذي يجري؟".

"لقد اعترتني الدهشة عندما اتصلت بمنزل **هايونغ تشول** البارحة... لماذا عدت إلى البيت؟ لقد توجب عليك أن تخبرني بذلك. لا ينبغي لك أن تغادر بمفردك هكذا ولا تجيب على الهاتف".

لا بد من أن ابنتك قد اكتشفت لتوها أنك عدت إلى البيت.

"كنت نائماً".

"نائماً؟ طوال الوقت؟".

"أعتقد ذلك".

"ما الذي ستفعله هناك بمفردك؟".

"سأبقى في البيت تحسباً لأن تعود إلى هنا".

التزمت ابنتك الصمت. بينما ابتلعت ريقك وشعرت بحنجرتك جافة.

"هل تود أن آتي إليك؟".

من بين كل أولادك، تبدي ابنتك تشاي هون نشاطاً كبيراً في البحث عن زوجتك. إن السبب في ذلك على الأرجح هو أنها غير متزوجة. كان ذلك الصيدلي من يوكتشون دونغ آخر من اتصل بها ليقول إنه رأى امرأة تشبه زوجتك. نشر ابنك المزيد من الإعلانات في الصحف، ولكن لم يعد يردكم مزيد من المعلومات. وقال رجال الشرطة إنهم قد بذلوا كل ما في وسعهم ولم يعد بيدهم سوى انتظار اتصال أحدهم، ولكن ابنتك تجولت من غرفة طوارئ إلى أخرى كل ليلة لتتفقد كل مريض لا عائلة له.

"كلا، لا تأتي، ولكن اتصلي بي إن سمعت أي شيء".

"إن كنت تفضل ألا تبقى وحدك، فعد إلى هنا يا أبي. أو اطلب من عمتي أن تأتي لتقيم عندك".

بدا صوت ابنتك غريباً وكأنها احتست الشراب، إذ شعرت بأنها تخلط بين الكلمات.

"هل احتسيت شراباً؟".

"بضع كؤوس فقط"، ثم أوشكت أن تغلق الخط.

تشرب حتى ساعات الصباح الأولى؟ ناديت اسمها بعجلة، فأجابتك بصوت منخفض. شعرت بأن يدك التي تمسك سماعة الهاتف أصبحت رطبة، وتخاذلت ساقاك من تحتك، ثم قلت: "في ذلك اليوم، لم تشعر والدتك أنها على ما يرام بما فيه الكفاية لأن تذهب إلى سول. ما كان ينبغي لنا أن نذهب... في اليوم الذي سبق ذلك، باغتها الصداع،

فوضعت رأسها في طست مليء بالثلج، ولم تعد تسمع أحداً عندما يناديها. وفي الليل، وجدتها واضعة رأسها داخل الثلاجة؛ لقد عانت آلاماً مبرحة. وبالرغم من أنها نسيت أن تعد طعام الفطور، فقد قالت إنه يجب علينا أن نذهب إلى **سول** لأنكم بانتظارنا جميعاً. كان ينبغي لي أن أرفض الذهاب. أعتقد أن محاكمتي العقلية بدأت تتدهور لأنني أتقدم في السن، إذ إنني أخذت أقنع نفسي بأننا هذه المرة سنجبرها على الدخول إلى المستشفى في **سول**... كان ينبغي لي أن أتشبث بها... لم أعاملها قط كمريضة، إذ حالما وصلنا إلى **سول** بدأت أتقدّمها في المشي. لقد تغلبت عليّ عادتي القديمة التي عجزت عن التخلي عنها، وحدث ما حدث". وهكذا، تدفّقت الكلمات التي لطالما عجزت عن قولها لابنتك عبر الهاتف.

"أبي...".

أصغيت إليها.

قالت ابنتك كلمات مشوشة وغير واضحة: "أعتقد أن الجميع نسوا أمر أمي. لم يعد أحد يتصل بنا. هل تعرف لماذا باغتها الصداع في ذلك اليوم؟ لأنني عاملتها بحقارة شديدة. فقد قالت لي ذلك بنفسها".

"أفعلت أمك ذلك؟".

"نعم... لقد ظننت أنني لن أتمكن من القدوم لحضور حفلة ذكرى الميلاد، ولهذا اتصلت من **الصين** وسألت عن حالها. فقالت لي إنها تصب بعض الشراب في زجاجة من أجل ابنها الأصغر. إنك تعلم أنه يحب الشرب. لا أعرف ما الذي دهاني، إذ إن الأمر لم يكن يستحق ذلك، ولكنني استشطت غضباً لأنني أعتقد أنه يجب عليه أن يقلع عن الشراب... لقد حضرت أمي الشراب لأن صغيرها يحبه، لذا قلت لأمي: لا تأخذي تلك الزجاجة الثقيلة. إن ثمل وأحدث فوضى، فستكون تلك

غلطتك أنت، لذا، من فضلك تصرفي بذكاء حيال الأمر. قالت أمي بضعف: إنك محقة. ثم ذكرت أنها ستذهب إلى البلدة وتحضر كعك الأرز. إنها دائماً تحضر كعك الأرز من أجل ذكرى ميلادك، لذا قلت لها إن أحداً لا يأكل ذلك الكعك على أيّ حال، وإننا نأخذها إلى البيت ونضعها في الثلاجة. وطلبت منها ألا تتصرف كامرأة ريفية خرقاء وأن تذهب إلى سول من دون أن تحضر أي شيء. فسألتني إن كنت أضع كعك الأرز فعلاً في الثلاجة، فقلت لها إن لدي كعكاً مضى عليه ثلاث سنوات، فانفجرت باكية. قلت لها: لماذا تبكين، يا أمي؟ فقالت لي: يا لك من حقيرة! لقد قلت لها كل ذلك لأسهل الأمور عليها. وعندما نعتتني بالحقيرة، أعتقد أن جنوني قد جنّ قليلاً. وزادت شدة الحر هناك في بكين الطين بلة، فاستشطت غضباً وصحت قائلة: حسناً، آمل أن تكوني مسرورة لأن لك ابنة حقيرة! حسناً، أنا حقيرة! وأغلقت الخط في وجهها".

التزمت الصمت.

"إن أمي تكره أن يصرخ أحد في وجهها... ولكننا لطالما صرخنا في وجهها. أردت أن أتصل لأعتذر منها، ولكنني نسيت بسبب انشغالي بالقيام بأمور كثيرة في آن معاً. فقد كنت آكل وأمتّع نظري بالمناظر الخلابة وأكلم الناس، ولو أنني اتصلت واعتذرت، لما انتابها ذلك الصداع الرهيب... ولتمكنت عندئذ من اللحاق بك لركوب القطار.

أجهشت ابنتك بالبكاء.

"تشاي هون!".

التزمت ابنتك الصمت.

"لقد كانت أمك فخورة جداً بك".

"ماذا؟".

"إن نشرت الصحيفة صورتك، طوتها ووضعتها في حقيبتها وأخذت تخرجها وتتأملها مرة تلو أخرى. وإن رأت أحد معارفنا في البلدة، أخرجتها وتباهت بك أمامه".

بقيت صامتة.

"إن سألها أحد عن مهنتك... قالت له إنك تؤلفين الكتب. لقد طلبت أمك من فتاة في دار الأمل للأيتام في ناماسان دونغ أن تقرأ لها كتابك، إذ إنها تعرف عناوين كتبك. وعندما قرأت تلك الشابة الكتاب لأمك، أشرق وجهها وابتسمت. وهكذا، فمهما حصل، يجب أن تواصلي إبداعك بالكتابة. لقد عشت حياتي بطولها من دون أن أتحدّث إلى أمك، وهكذا، فقد فاتتني الفرصة، إذ إنني ظننت ربما أنها كانت تعلم بما يجول في خاطري. إنني أشعر الآن بأنني أستطيع أن أبوح بكل شيء في قلبي، ولكن لم يعد هناك من يصغي إلي. تشاي هون؟".

"نعم؟".

"أرجوك اعتني بأمك".

ضغطت السماعة على أذنك وأصغيت إلى بكاء ابنتك المقهور، وشعرت بأن دموعها تكاد تتقاطر على سلك هاتفك، وأصبح وجهك مبلّلاً بالدموع. لو نسي كل الناس حقيقة زوجتك، فستتذكّر ابنتك أن أمها أحبت الحياة من كل قلبها وأنك أحببتها.

# الخاتمة

## مسبحة من خشب الورد

### بعد مرور تسعة أشهر على اختفاء الوالدة

إنكِ الآن في **إيطاليا**، تجلسين على درج من الرخام يطل على ساحة **سانت بيتر في الفاتيكان** وتنظرين إلى النصب المصري. يصيح المرشد السياحي والعرق يتقاطر من جبهته: "تفضلوا من هنا"، ويرشد الناس في مجموعتك السياحية إلى أسفل الدرج حيث هناك مساحة ظليلة قرب أكواز الصنوبر الكبيرة، "لا يسمح لنا بالتحدث في المتحف أو الكاتدرائية، لذا، سأطلعكم على أهم الآثار في المتحف قبل أن ندخل إليه. وسأوزع سماعات للأذنين، لذا من فضلكم أصغوا إليّ من خلالها".

تأخذين السماعات، ولكنك لا تضعينها على أذنيك، ويتابع المرشد السياحي قائلاً: "إن لم تسمعوا شيئاً من خلال السماعات، فهذا يعني أنكم بعيدون جداً عني. سيكون هناك عدد كبير من الناس حيث إنني لن أتمكن من الانتباه إلى كل واحد منكم. إنني أستطيع فقط أن أرشدكم بشكل ملائم وأنتم قريبون مني حيث تستطيعون سماع صوتي".

تتوجهين إلى الحمام والسماعتان معلقتان حول عنقك، فيحدق إليك أفراد مجموعتك بدهشة؛ تغسلين يديك على المغسلة، وعندما تفتحين حقيبتك لتخرجي منديلك لتجففي يديك، تلاحظين رسالة

أختك المجعدة داخلها؛ إنها رسالة أخذتها قبل ثلاثة أيام من صندوق البريد أمام شقتك وأنت تغادرين سول مع يو بين. لقد أمسكت حقيبة السفر بيد واحدة وَأنت واقفة خارج باب بيتك وقرأت اسم أختك مكتوباً على المغلف. إن هذه أول مرة تتلقين فيها رسالة من أختك، إنها رسالة مكتوبة باليد وليست مجرد رسالة عبر البريد الإلكتروني. تساءلت إن كان ينبغي لك فتحها، ولكنك قمت بمجرد دسها في حقيبتك، وفكرت في أن قراءتها قد تمنعك من ركوب الطائرة مع يو بين.

تخرجين من الحمام وتجلسين مع المجموعة، وبدلاً من استعمال السمّاعتين، تخرجين رسالة أختك وتترددين لبرهة ثم تفتحين المغلف.

أختي العزيزة.

عندما ذهبت لزيارة أمي بعد عودتي من أميركا مباشرة، أعطتني شجيرة برسيمون يصل طولها حتى ركبتي. لقد ذهبت إلى البيت لآخذ أشيائي التي تركتها هناك، فوجدت والدتي منهارة بجانب المخزن حيث خزّنتُ ثلاجتي وبعض أغراضي الأخرى. رأيتها ممددة هناك وأطرافها خدرة. وكانت قططة الجيران التي اعتادت أمنا أن تطعمها جالسة حولها. وعندما هززتها، تمكنت من فتح عينيها وكأنها تستيقظ من النوم، ونظرت إليّ وابتسمت قائلة: "أنت هنا، يا صغيرتي الحبيبة!"، قالت لي أمي إنها بخير، ولكنني الآن فقط أُدرك أنها فقدت وعيها، ومع ذلك، فقد أصرت أنها بخير وأنها ذهبت إلى المخزن لتطعم القططة. حافظت أمي على كل شيء تركته هناك عندما غادرت إلى أميركا حتى القفاز المطاطي الذي قلت لها قبل أن أغادر أن تستخدمه. قالت لي إنها كادت أن تستخدم موقد الغاز المتنقل خلال أحد طقوس الأسلاف ولكنها امتنعت عن استخدامه. وعندما سألتها عن السبب قالت: "كي أعيد لك

كل شيء إلى الحالة التي تركته عليها عندما تعودين إلى البيت".

عندما انتهيت من تحميل كل شيء في الشاحنة، أتت أمي ومعها شجيرة البرسيمون من خلف المنزل حيث تحتفظ بمرطبانات الصلصة، ورأيتها تبدو محرجة. كانت جذور الشجيرة مليئة بالتراب ومغلفة بكيس من النايلون. لقد اشترتها أمي خصيصاً كي أزرعها في باحة بيتنا الجديد، ولكنني وجدتها صغيرة جداً لدرجة أنني تساءلت متى ستبدأ بحمل الثمار. بصراحة، لم أرغب في أخذها معي، إذ إننا كنا سنقيم في منزل ذي باحة، ولكنه ليس ملكاً لنا، وتساءلت عمّن سيعتني بالشجرة. قرَأت الوالدة أفكاري فقالت: "إنني أؤكد لك أن شجرة البرسيمون هذه ستحمل الثمار قريباً جداً، إذ إن السنوات تمضي بسرعة البرق".

ظللتُ غير راغبة في أخذها، ولكن أمي قالت: "إنني أريدك أن تأخذيها كي تتذكريني كلما قطفت الثمار منها بعد أن أموت".

بدأت أمي تذكر الموت كثيراً. إنك تدركين أنها استخدمت هذا السلاح لوقت طويل، إذ إنه سلاحها الوحيد عندما يرفض أولادها إنجاز عمل تريدهم أن ينجزوه، ولكنني لا أعرف متى بدأ هذا. فقد أصبحت، كلما عارضت قيامنا بأمر ما، تقول: "افعلوا ذلك بعد أن أموت". أحضرت شجيرة البرسيمون إلى سول في الشاحنة، بالرغم من أنني لم أكن واثقة من أنها ستعيش، ودفنت جذورها في التراب حسب العمق الذي حددته لي أمي، وعندما أتت أمي إلى سول في وقت لاحق، قالت إنني زرعتها قريباً أكثر من اللازم من السور ولهذا ينبغي لي أن أنقلها إلى مكان آخر، وأصبحت تلحّ عليّ كثيراً لأنجز تلك المهمة، فقلت لها إنني نفذتها مع أنني لم أفعل ذلك، إذ إن أمي أرادت أن أنقل الشجرة إلى بقعة فارغة في الباحة حيث اعتزمت أن أزرع شجرة كبيرة إن توفر لدي مبلغ كافٍ من المال لأشتري هذا المنزل. لم أعتقد فعلاً أنني سأنقل

تلك الشجيرة التي ليس لها سوى بضعة أغصان وبالكاد تصل الآن إلى خصري، ولكنني قلت لها إنني سأنقلها. قبل أن تختفي، بدأت فجأة تتصل بي يومياً وتسألني: "هل نقلت شجرة البرسيمون؟"، فكنت أقول لها: "سأفعل هذا لاحقاً".

البارحة فقط أخذت سيارة أجرة وحملت الطفل على ظهري وذهبت إلى سو أورنج لأشتري السماد وحفرت حفرة في الموقع الذي أشارت إليه أمي ونقلت شجيرة البرسيمون إليه. لم يراودني في حياتي قط شعور بالذنب عندما عصيت أمرها ورفضت أن أنقل تلك الشجيرة بعيداً عن السور، ولكنني الآن متفاجئة جداً. إذ عندما أحضرت الشجيرة إلى هنا أول الأمر بدت جذورها هزيلة لدرجة أنني ظللت أنظر إليها وأشك في أنها ستتمكن قط من النمو، ولكنني، عندما اقتلعتها مجدّداً لأنقلها، وجدت أن جذورها تشابكت وامتدت عميقاً في الأرض، فشعرت بالتأثر لإصرارها على التشبث بالحياة في هذه الأرض القاحلة. ترى هل كان غرضها من إعطائي هذه الشجرة أن تجعلني أراقب أغصانها وهي تزداد عدداً وجذعها وهو يكبر ويشتد؟ هل أرادت أن تعلمني أن أبذل كل عناية ممكنة لأرى ثمرة مجهودي؟ أم إنها ربما لم تكن تملك المال الكافي لتشتري شجرة كبيرة. للمرة الأولى، شعرت بالتعلق بتلك الشجرة، وتلاشت شكوكي في أن تثمر وتزدهر.

هل تتذكرين الوقت الذي طلبت فيه مني أن أخبرك شيئاً لا يعرفه أحد سواي عن أمنا؟ لقد قلت لك إنني لا أعرف أمي وإن كل ما أعرفه هو أنها مفقودة. إن الأمر سيّان بالنسبة إليّ الآن، فأنا لا أعرف من أين استمدَّت قوتها. فكري في الأمر؛ لقد أنجزت أمنا أعمالاً يعجز شخص واحد عن إنجازها بمفرده. أعتقد أنها لهذا السبب أصبحت أكثر خواء من الداخل. وأخيراً، أصبحت عاجزة عن العثور على بيوت أولادها.

لا أشعر أنني على حقيقتي الآن وأنا أطعم أولادي وأسرح شعرهم وأرسلهم إلى المدرسة كل يوم، ومع ذلك أظل عاجزة حتى عن البحث عن أمي المفقودة. لقد قلت لي إنني مختلفة عن باقي الأمهات الشابات في هذه الأيام وإنني قد اكتسبت بعض صفاتي منها، ولكن مهما فعلت يا أختي، فلا أعتقد أنني أستطيع أن أتشبه بأمي. منذ فقدنا أمي، بدأت أفكر غالباً: هل كنت ابنة صالحة لها؟ هل أستطيع أن أبذل في سبيل أولادي التضحيات نفسها التي بذلتها هي في سبيلي؟

إنني أعرف شيئاً واحداً وهو أنني لا أقوى على تحقيق ما حققته مهما حاولت، إذ إنني أشعر عندما أطعم أولادي بالانزعاج والعبء وكأنهم يثقلون كاهلي. إنني أحب أولادي وأشعر بالتأثر لوجودهم وأتساءل: هل أنجبتهم فعلاً؟ ولكنني لا أستطيع أن أمنحهم كل حياتي كما فعلت أمي من أجلنا. إنني مستعدة لأن أمنحهم عينيّ لو احتاجوا إليهما، ولكنني لست كأمي؛ فأنا أظل أتمنى أن يكبر طفلي بسرعة، وأشعر أن حياتي أصبحت معطلة بسبب الأولاد، وأنوي أن أنتظر حتى يكبر الطفل قليلاً ثم أرسله إلى بيت الرعاية النهارية أو أجد له جليسة أطفال ثم أعود إلى عملي. إن هذا هو ما أعتزم فعله لأنني أريد أن أعيش حياتي. عندما أدركت هذا حيال نفسي، تساءلت كيف استطاعت أمي أن تتصرف على ذلك النحو. فاكتشفت أنني لم أكن أعرفها حق المعرفة. وإن قلنا إن وضعها السيئ هو ما أجبرها على التفكير فينا فقط، فكيف استطعنا نحن أن نعتبر أمنا مجرد أم لنا ولا وجود لجوانب أخرى في حياتها؟ لم تمنعني أمومتي من أن تكون لي أحلام وطموحات لا أزال أحتفظ بها من طفولتي وشبابي. إذاً، لماذا نعتقد أن أمنا أصبحت أماً من مستهل حياتها؟ لم تتسنَّ لأمنا الفرصة لتحقيق أحلام شبابها وواجهت بمفردها كل ما فرضته عليها تلك المرحلة من فقر وحزن ويأس،

وواجهت حظها البائس في الحياة وعانت بصمت، ولكنها حاولت أن تتخطى المصاعب وتعيش حياتها إلى أقصى الحدود، ومنحت أولادها نفسها جسداً وروحاً. ترى لماذا لم أفكر قط في أحلام أمي؟

أختي العزيزة.

لقد أردت أن أدفن وجهي في الحفرة التي حفرتها لشجرة البرسيمون. إن عجزت أنا عن عيش حياة كحياة أمي، فكيف رغبت هي في عيش تلك الحياة؟ لماذا لم تخطر تلك الفكرة ببالي في أثناء تواجدها بيننا؟ لا جواب لدي عن هذا السؤال مع أنني ابنتها وأقرب الناس إليها. ترى كم شعرت بالوحدة بين الناس الغرباء؟ كم هو مجحف في حقها أن تبذل كلّ غالٍ ورخيص من أجلنا من دون أن تجد بيننا أحداً يتفهمها؟

أختي العزيزة، هل تظنين أننا سنحظى بنعمة تواجدها معنا مجدّداً ولو ليوم واحد فقط؟ هل تظنين أن الحياة ستمنحني الفرصة لأتفهّم أمي وأسمع قصصها وأخفّف عنها ضياع أحلامها القديمة التي دفنتها في مكان ما بين صفحات الزمان؟ لو أن الحياة تمنحني بضع ساعات فقط، فسأقول لها إنني أحب كل التضحيات التي بذلتها، وأحب أمي التي استطاعت أن تفعل كل ذلك بنفسها، وأحب حياتها التي لم يعد أحد يتذكرها، وأحترمها كل الاحترام.

أرجوك يا أختي، لا تفقدي الأمل في العثور على أمي. أرجوك اعثري عليها.

لا بد من أن أختك لم تستطع كتابة التاريخ أو كلمة وداع، إذ تحوي الرسالة بقعاً مستديرة وكأنها دموع ذرفتها وهي تكتب الرسالة. أخذت تتأملين البقع الصفراء بعينيك ثم طويت الرسالة وأعدتها إلى حقيبتك. تخيّلتِ أن طفل أختك الصغير، الذي كان على الأرجح

يأكل شيئاً ما عن الأرض تحت الطاولة بينما هي تكتب الرسالة، قد اقترب منها بارتباك وبدأ يُرنّم أغنية من أغاني الأطفال وتعلق بثيابها. كما تصورتِ أختك تنظر إليه وتكمل له الأغنية بالرغم من السحابة السوداء التي تعتلي تعابير وجهها. لا بد من أن الطفل الذي ليس من الممكن أن يفهم أحاسيس أمه قد ابتسم لها ابتسامة عريضة وتابع الغناء منتظراً أختك لتكمل الأغنية بدورها. لا بد من أن أختك عجزت عن إكمال بقية الرسالة، إذ ربما وقع الطفل وهو يتسلق ساقها وصدم رأسه بالأرض وبكى وأخذ ينتحب بصوت مرتفع يائس، فرأت أختك كدمة زرقاء تنتشر على بشرة الطفل الرقيقة وذرفت الدموع التي حبستها منذ وقت طويل.

طويت الرسالة ووضعتها في حقيبتك، وتردّد صوت المرشد السياحي الحماسي في أذنيك وهو يقول: "إن أهم ما يلفت الانتباه في هذا المتحف هو لوحة **مايكل آنجلو** المرسومة على سقف دار عبادة سيستين التي سترونها في نهاية جولتنا. لقد جلس الرسام **مايكل آنجلو** على عوارض لأربع سنوات ليتمكن من رسم تلك اللوحة. وفي وقت لاحق من حياته، ضعف نظره كثيراً لدرجة أنه لم يعد يساعده على القراءة أو رؤية الصور ما لم يخرج من المنزل. كانت اللوحات الجدارية الجصية تصنع من لصاقات الكلس، لذا، فقد توجب عليهم أن ينهوها قبل أن يتجمد الجص. وإن لم يتمكنوا من إنجاز عمل، يستغرق عادة شهراً، في يوم واحد تجمد الجص وتوجب عليهم أن يعيدوا العمل من البداية. لقد توجب عليه أن يتعلق من السقف هكذا لأربع سنوات، ولهذا، فمن المنطقي أن يعاني مشاكل في رقبته وظهره لبقية حياته".

كان آخر شيء قمت به في المطار قبل أن تركبي الطائرة هو أنك اتصلت بوالدك. بعد أن اختفت والدتك، أصبح والدك يعيش بين بيته وسول، ولكنه عاد إلى البيت بشكل نهائي في الربيع، فبدأت تتصلين به كل يوم صباحاً وأحياناً في الليل. وكان والدك يرفع السماعة بعد رنة واحدة وكأنه ينتظر قرب الهاتف ويذكر اسمك حتى قبل أن تقولي له إنك أنت المتصلة. لطالما تمتعت والدتك بهذه الموهبة، إذ إنها كانت عادة تقتلع الأعشاب في حديقة الزهور ثم يرن الهاتف فتقول لوالدك: "أجب على الهاتف.. إنها تشاي هون!"، فإن سألها كيف عرفت من المتصل، هزت كتفيها وقالت: "إنني أعرف وحسب...". أصبح والدك، بعد أن بدأ يعيش وحيداً في البيت من دون أمك، يعرف المتصل من الرنة الأولى. قلت لوالدك إنك قد لا تتمكنين من الاتصال به لبعض الوقت لأنك لن تعرفي الوقت الذي سيكون فيه مستيقظاً لتتصلي من روما، فقال لك والدك فجأة وكأنه لم يكن يصغي إليك جيداً أنه كان ينبغي له أن يدع والدتك تخضع لعملية جراحية لمعالجة إصابتها بالتهاب الجيوب الأنفية.

سألت قائلة بصوت رتيب: "هل كانت والدتي تعاني ألماً في أنفها أيضاً؟"، فقال والدك إن أمك كانت تعجز عن النوم عندما يتغير الطقس بسبب السعال، وقال: "إنها غلطتي. لم يتسنَّ لأمك الوقت الكافي لتعتني بنفسها، وكل ذلك بسببي أنا". في أي يوم آخر، كنت لتقولي: "إنها ليست غلطة أحد، يا أبي"، ولكنك في ذلك اليوم بالذات عجزت عن كبح نفسك من التفوه بالكلمات، فقلت بلا تفكير: "نعم، إنها غلطتك". سحب والدك نفسه بحدة على الطرف الآخر من الخط، ولم يدرك أنك تتصلين به من المطار.

قال لك بعد صمت طويل: "تشاي هون!".

"نعم".

"لم أعد أرى أمك في أحلامي".

فلم تقولي شيئاً.

التزم والدك الصمت للحظة وبدأ يتحدث عن الأيام الخوالي، فقال إنهما ذات يوم طبخا سمكة أرسلها إليهما هايونغ تشول، فاقتلعت أمك حبة فجل مغطاة بالأوراق الخضراء من الحديقة المجاورة للتل وغسلتها من التراب وقشرتها بالسكين وقطعتها إلى شرائح كبيرة ووضعتها في قعر القدر ثم طهت السمكة على البخار، فاكتسبت السمكة لوناً أحمر من كثرة الصلصات التي وضعتها عليها. أخذت أمك قطعة كبيرة من لحم السمك ووضعتها في طبق الأرز الخاص بوالدك. بكى والدك وهو يتذكر أنهما في أحد أيام الربيع تشاركا تناول الغداء الذي طهته أمك في الصباح وأخذا قيلولة معاً. وقال إنه آنذاك لم يشعر بطعم هذه السعادة الغامرة. أضاف قائلاً: "ينتابني شعور بالذنب بسبب أمك، إذ لطالما كنت أشتكي وأتذمر من مرضي"، وهذا صحيح فعلاً؛ فقد أمضى والدك معظم وقته إما غائباً عن البيت أو طريح الفراش، أما الآن، فقد أصبح نادماً على كل ما فعله.

"عندما بدأت الأمراض تداهمني، لا بد من أن الأمر نفسه حدث لوالدتك".

ترى هل امتنعت والدتك عن الشكوى من آلامها بسبب مرض والدك؟ لقد فرض واجب العناية بكل أفراد العائلة على أمك أن تكون شخصاً لا ينبغي له أن يمرض. عندما بلغ والدك الخمسين من عمره، بدأ يتناول دواء خفض ضغط الدم وأصبحت مفاصله تؤلمه وأصيب بضعف نظر. وقبل أن تختفي أمك مباشرة، أجرى والدك سلسلة من العمليات الجراحية لركبته لأكثر من سنة، وأصبح من الصعب عليه أن

يتبول، فأجرى عملية في غدة البروستات. وفي ما بعد، أصيب بالسكتة الدماغية. وهكذا، فقد دخل والدك المستشفى ثلاث مرات في عام واحد. وأمضى خمسة عشر يوماً أو شهراً في كل مرة. كلما دخل والدك المستشفى، مكثت والدتك إلى جانبه ولم تبارحه قط. لذا، استخدمت العائلة مساعداً للوالد، ولكن، لا يزال يتوجب على الوالدة أن تنام إلى جواره ليلاً. في الليلة الأولى، نام المساعد في المستشفى، فدخل والدك إلى الحمام وأقفل الباب ورفض الخروج، فتلقت والدتك، وهي في بيت هايونغ تشول، مكالمة من المساعد الذي لم يعد يعرف ماذا يفعل ليهدئ من ثورة والدك المفاجئة، فذهبت والدتك إلى المستشفى على الفور بالرغم من أن ذلك حدث في منتصف الليل، ووجدت والدك لا يزال حابساً نفسه داخل الحمام، ولكنها استطاعت أن تهدئ من روعه.

"هذه أنا، افتح لي الباب".

ففتح الوالد، الذي كان يرفض الاستجابة لأي شخص، الباب عندما سمع صوت والدتك، فوجدته جالساً القرفصاء بجانب المرحاض، وساعدته على النهوض والذهاب إلى السرير. حدق إليها والدك لبعض الوقت ثم استغرق في النوم. وفي اليوم التالي، لم يتذكر والدك أياً مما حدث، فسألتِه عن سبب قيامه بهذا الأمر، ولكنه سألك بدوره قائلاً: "أتعنين أنني فعلت هذا حقاً؟"، وأغمض عينيه بسرعة لأن القلق تملّكه من أن تستمري في طرح الأسئلة عليه.

"يجب أن تحظى أمي بقسط من الراحة يا أبي".

استدار والدك على الجهة الأخرى، فأدركت أنه يتظاهر بالنوم، ولكنه ظل يصغي إليك وإلى أمك. قالت أمك إنها تظن أنه فعل ذلك بدافع الخوف. فقد استيقظ ولم يجد نفسه في البيت بل في المستشفى الذي ليس فيه إلا الغرباء ولا أحد من أفراد العائلة. ولا بد من أنه خبّأ

نفسه متسائلاً عن مكانه بينما شلَّ الخوف حركته.

"ما المخيف في الأمر؟"، ولا بد من أن والدك سمعك وأنت تتمتمين بهذا الكلام.

ألقت أمك نظرة خاطفة إلى أبيك وتابعت كلامها بصوت منخفض: "ألم يستولِ عليك الخوف قط؟ يقول والدك إنني أعاني هذا أيضاً، إذ إنه يستيقظ أحياناً في منتصف الليل ولا يجدني، فيبحث عني ويعثر علي مختبئة في المخزن أو خلف البئر وأنا أرتعش وألوح بيدي وأصيح: لا تفعلوا هذا بي".

"أنت يا أمي؟".

"إنني لا أتذكر عادة ما يحدث، ولكن والدك قال لي إنه أدخلني وأجلسني وأعطاني بعض الماء. وأخيراً استغرقت في النوم. إن حدث هذا لي، فأنا واثقة من أنه قد يحدث لوالدك أيضاً".

"مم قد يخاف المرء؟".

تمتمت أمك بضعف قائلة: "أظن أنه من المخيف مجرد العيش يوماً بعد يوم، ولكن أكثر ما يخيف في الأمر هو ألا يتبقى شيء في مرطبان الأرز وأن اضطر إلى ترككم تتضورون جوعاً... وهذا ما جعل شفتيّ ترتجفان من فرط الرعب. لقد مرت بي أيام عصيبة كهذه".

لم يخبرك والدك أو يخبر أحداً في العائلة قط أن والدتك كانت تتصرف على ذلك النحو في بعض الأحيان. وعندما اتصلت به بعد أن اختفت أمك، راح يذكر قصصاً عشوائية قديمة ليؤجل إنهاء المحادثة، ولكنه لم يخبرك قط أن أمك مشت في أثناء نومها واختبأت في مكان ما في منتصف الليل.

* * *

نظرتِ إلى ساعتك؛ إنها العاشرة صباحاً. تُرى هل استيقظ يو بين؟

هل تناول الفطور؟

* * *

لقد استيقظت صباح اليوم عند الساعة السادسة في الفندق القديم الذي يواجه محطة تيرميني، وشعرت باختفاء أمك يثقل كاهلك بيأس عميق ويرهق جسدك وقلبك وكأنك تغرقين في أعماق مظلمة. نهضت من السرير، ورأيت يو بين نائماً مديراً لك ظهره، ثمّ التفت وحاول أن يعانقك، ولكنك أخذت يده ووضعتها بلطف على السرير، لذا، شعر بالاستياء لرفضك له ووضع يده على جبينه قائلاً: "ينبغي لك أن تحظي بقسط من النوم".

"لا أستطيع النوم".

أنزل يده عن جبينه واستدار على جنبه الآخر، فحدقت إلى ظهره العنيد ثم مددت يدك وربت عليه. منذ اختفت والدتك، لم تعودي تشعرين برغبة في معانقته بحرارة.

أصبح من عادة أفراد عائلتك، الذين نال منهم الإرهاق جميعاً من البحث عن والدتك، أن يغرقوا في الصمت عندما يجتمعون معاً ثم يبدأون بالبوح بمشاعرهم من خلال تصرفاتهم العفوية. فقد كان أحدهم يركل الباب ليفتحه ويغادر أو يصب الشراب في كوب كبير ويبتلعه دفعة واحدة. لقد سيطرت عليكم جميعاً فكرة واحدة لجأتم إليها لتصرفوا عن أذهانكم ذكريات الوالدة التي أخذت تظهر في كل مكان من حولكم: لو أن الوالدة تعود مجدّداً لترد ولو لمرة أخيرة على الهاتف بعبارتها المعهودة: "هذه أنا!"، بعد أن اختفت، لم تعد عائلتك تستمر في أي محادثة لأكثر من عشر دقائق. وظل التساؤل عن مكان تواجدها يهيمن على أي أفكار تخطر ببالكم ويبعث القلق في نفوسكم.

غامرت قائلة: "أعتقد أنني أريد أن أبقى وحدي اليوم".

فسألك وهو لا يزال يواجه الطرف الآخـر: "ماذا ستفعلين لوحدك؟".

"أريد أن أذهب إلى كاتدرائية **سانت بيتر**. عندما كنت بانتظارك في الفندق البارحة، سجلت اسمي لأشترك في جولة **الفاتيكان**. علي أن أستعد للذهاب. ستنطلق الجولة عند السابعة وعشرين دقيقة من البهو، إذ إن الطابور يصبح طويلاً جداً لدرجة أننا إن لم نصل إلى هناك بحلول التاسعة، فسنستغرق ساعتين ليتسنى لنا الدخول".

"بإمكانك أن تذهبي برفقتي غداً".

"إننا في **روما**، وهناك أماكن أخرى أستطيع أن أرافقك لزيارتها".

غسلت وجهك بهدوء لئلا تزعجيه، وأردت أن تغسلي شعرك، ولكنك خشيت أن يزعجه صوت الماء المرتفع، ولهذا، فقد ربطته وأنت تنظرين إلى انعكاس صورتك في المرآة. عندما خرجت من الحمام، وبعد أن ارتديت ملابسك، قلت له، وكأنك تذكرت هذا لتوك: "شكراً لأنك اصطحبتني إلى هنا".

سحب الملاءة وغطى بها وجهه، فأدركت أنه يحاول التحلي بأكبر قدر من الصبر تجاهك، إذ إنه قدَّمك على أنك زوجته للناس الذين التقيتما بهم، وقد كنت على الأرجح لتصبحي زوجته الآن لو أنكم عثرتم على أمك. بعد مؤتمره الصباحي، كان من المقرر أن تتناولا الغداء مع بعض الأزواج الآخرين. وهكذا، فإن ذهب وحيداً إلى الغداء، تساءل الآخرون عن سبب عدم حضور زوجته. ألقيت نظرة خاطفة على صديقك والملاءة لا تزال تغطي رأسه وغادرت الغرفة.

بعد أن اختفت والدتك، بدأت تميلين إلى التصرّفات المتهورة،

فقد أصبحت تشربين بانفعال وتستقلين القطار فجأة إلى بيت والديك في الريف. وإن جافاك النوم وجلست تحدقين إلى سقف شقتك، نهضت فجأة وذهبت للتجول في شوارع سول وتعليق الإعلانات سواء أكان ذلك عند منتصف الليل أو فجراً. وذات مرة، اقتحمت مخفر الشرطة وصرخت عليهم ليعثروا على أمك، فحضر هايونغ تشول إلى المخفر بعد أن تلقى مكالمة هاتفية وقام بمجرد التحديق إليك بصمت. فصحت في وجه أخيك، الذي بدأ يتقبل حقيقة اختفاء أمك في بعض الأحيان ويذهب حتى للعب الغولف: "اعثر على أمنا!".

لقد شكل صياحك اعتراضاً على الناس الذين يعرفون أمك وكراهيةً لنفسك لأنك وقفت عاجزة عن العثور عليها. أصغى أخوك إلى صراخك وهجومك بهدوء، ثم قال: "لماذا تتصرفين هكذا؟ لم لا تعثرين أنت عليها؟ لماذا؟ لماذا؟".

كل ما استطاع أخوك القيام به هو التجول معك في أنحاء المدينة ليلاً؛ فذهبتما في جولات بحث في نفق المترو. كنت ترتدين معطف المينك الذي أحضرته معك الشتاء الماضي من خزانة أمك أو تضعينه على ذراعك كي تغطي به أمك التي شوهدت آخر مرة ترتدي ملابس صيفية، فكنت ترين ظلك وأنت تحملين المعطف منعكساً على الأبنية الرخامية بينما تمشين بين المشردين الذين رأيتهم يستخدمون أوراق الصحف أو الورق المقوى كملاءات ليتغطوا بها ويناموا. ظل هاتفك مفتوحاً طوال الوقت، ولكنّ أحداً لم يتصل ليقول إنه وجد امرأة تشبه أمك.

ذات يوم، ذهبت إلى محطة سول وإلى المكان نفسه الذي تركت فيه أمك وحدها، فوجدت أخاك واقفاً هناك بلا حراك. جلستما معاً وراقبتما قطارات الأنفاق تأتي وتذهب إلى أن انتهت الخدمة لذلك

اليوم. قال لك إنه ظن عندما جلس هناك للمرة الأولى أن والدته ستظهر فجأة وتربت على كتفه وتقول: "**هايونغ تشول**"، ولكنه الآن لم يعد يعتقد أن هذا سيحدث. قال لك إنه لم يعد يفكر في شيء بعد الآن وإن رأسه أصبح خاوياً. وذكر أنه غالباً ما أصبح يجد نفسه غير راغب في العودة إلى البيت مباشرة بعد العمل ويأتي إلى المحطة.

في أحد أيام العطلة، ذهبت إلى منزله، فرأيته خارجاً من سيارته وفي حوزته مضارب الغولف وصحت قائلة: "أيها التافه!"، وأحدثت جلبة كبيرة. فإن تقبّل أخوك اختفاء أمك، فمن غيره سيفكر في العثور عليها؟ انتزعت مضارب الغولف منه ورميت بها أرضاً. لقد بدأ الجميع يصبحون شيئاً فشيئاً الوالد والابنة والابن الذين اختفت بالنسبة إليهم الزوجة أو الأم ورحلت بلا عودة. فقد استمرت حياتهم اليومية في المضي قدماً.

مرة أخرى، عدت في الصباح الباكر إلى المكان الذي اختفت فيه أمك، فصادفت أخاك هناك. أحطته بذراعيك من الخلف وعانقته وهو واقف في ضوء الفجر. قال لك إن أولاد أمك وحدهم هم من يعتبرون حياتها مليئة بالألم والتضحية بسبب شعورهم بالذنب وإنكم ربما تقللون من قيمة حياتها وتعتبرونها عديمة الفائدة. تذكر أخوك شيئاً اعتادت والدتك أن تقوله دائماً حتى عندما يحدث أصغر شيء إيجابي: "إنني شاكرة جداً! إنه شيء ينبغي لنا أن نشعر بالامتنان من أجله!". لطالما عبّرت الوالدة عن امتنانها لأصغر لحظات السعادة التي يعيشها كل شخص. قال أخوك إن امتنان أمك نابع من القلب، وإنها شاكرة لكل نعمة في حياتها، وإن شخصاً ممتناً مثلها لا يمكن أن يعيش حياة تعيسة. عندما ودعته، قال لك أخوك إنه يخشى ألا تميزه أمه بعد الآن حتى لو عادت، فقلت له إن والدته تعتبره أغلى شخص في العالم وإنها ستميزه

دائماً كيفما بدا مظهره ومهما تغير. عندما التحق بالجيش ودخل معسكر التدريب، كان هناك يوم يأتي فيه آباء الجنود لزيارتهم، فأعدّت الوالدة كعك الأرز وحملته على رأسها لتذهب برفقتك لرؤية **هايونغ تشول**. وبالرغم من أنكما رأيتما مئات الجنود يرتدون الزي نفسه وينفذون حركات رياضة التايكواندو نفسها، فقد تمكنت أمك من تمييز أخيك على الفور. لقد بدا الجنود في نظرك متشابهين جميعاً، ولكن أمك ابتسمت ابتسامة عريضة وأشارت بيدها قائلة: "ها هو أخوك!".

تحدثت إلى أخيك بهدوء عن والدتك، ولكنك بعد ذلك رفعت صوتك وسألته لماذا لم يكن يبذل المزيد من الجهد للبحث عنها، وصحت في وجهه قائلة: "لماذا تتحدث عن الوالدة وكأنها ذهبت بلا عودة؟"، قال لك: "أخبريني كيف يفترض بي أن أعثر عليها؟"، ودفعته شدة إحباطه لنزع الأزرار العلوية من قميصه الأبيض تحت سترة بذلته وذرف الدموع. وبعد ذلك، توقف عن الرد على اتصالاتك.

بعد أن اختفت أمك، أدركت أن قصصها مطبوعة وراسخة في صميم أعماقك. لقد كانت حياة أمك اليومية تسير في نمط تكراري لا ينتهي، فاستيقظت في داخلك كلماتها اليومية، التي لم تفكري فيها بعمق أو صرفت ذهنك عنها وكأنها عديمة المعنى، وشكلت تيارات هائجة في ذاتك، وأدركت أن موقعها في الحياة لم يتغير حتى بعد أن وضعت الحرب أوزارها وأصبحت العائلة قادرة على إعالة نفسها. عندما اجتمع أفراد العائلة للمرة الأولى بعد وقت طويل، وتحلقوا حول الطاولة مع الوالد وتحدثوا عن الانتخابات الرئاسية، انهمكت الوالدة بالطهي وتحضير الطعام وغسل الأطباق والتنظيف وتعليق خرقة مسح الصحون لتجف. لطالما اهتمت والدتك وحدها بإصلاح البوابة

والسقف والشرفة. وبدلاً من مدها بيد العون لإنجاز العمل الذي ظلت تؤديه بلا كلل، اعتبرتم ذلك أمراً طبيعياً وجزءاً من واجبها تجاهكم. في بعض الأحيان، كنت تجدين حياة أمك مخيبة للآمال مع أنها لم تعِش في وضع مريح قط، ولكنها حاولت جاهدة لأن تقدم لك أفضل ما في وسعها. وكانت تربت على ظهرك بحنان كلما سيطرت عليك مشاعر الوحشة.

* * *

عندما بدأت أوراق الأشجار الصغيرة تنمو وتتبرعم في أشجار الجنكا المصفوفة أمام مجلس البلدية، جلست القرفصاء تحت شجرة كبيرة في الشارع العام المؤدي إلى **سامتشونغ دونغ**. لم تصدقي أن الربيع حلّ في أثناء غياب أمك وأن الدفء عاد يسري في أوصال الأرض المتجمدة، وأن الأشجار الميتة أخذت تصحو من سباتها. شعرت بقلبك، الذي عاش طوال هذه المحنة على أمل أن تتمكني من العثور على والدتك، كجدار مهدم. بالرغم من أن أمي مفقودة، فسيحلّ الصيف والخريف مجدّداً ويأتي بعدهما الشتاء وتدور الدورة إلى ما لا نهاية. أما أنا فسأعيش في هذا العالم بقية حياتي من دون أمي. تخيلت أمامك طريقاً مهجوراً وتلك المرأة الضائعة تمشي بمشقة على طول ذلك الطريق منتعلة صندلاً بلاستيكياً أزرق اللون.

من دون أن تخبري أحداً من أفراد العائلة، سافرت برفقة **يو بين** إلى **روما** حيث كان من المقرر أن يحضر مؤتمراً. لقد طلب منك أن تسافري معه ولكنه لم يتوقع أن توافقي. وعندما قررت بالفعل أن تذهبي معه، أصابته الدهشة بعض الشيء بالرغم من أنه تحلى بالصبر وأجرى بعض التغييرات في جدول مواعيده. وفي اليوم الذي

سبق مغادرتك، اتصل بك ليسألك: "لم يتغير شيء، أليس كذلك؟". وبينما أنت تستقلين معه الطائرة المتوجهة إلى روما، تساءلت إن كانت والدتك قد حلمت أن تسافر إلى مكان ما. لطالما تملّك القلق والدتك من سفرك بالطائرة وطلبت منك ألا تفعلي ذلك. ومع ذلك، فإن عدت من مكان ما، راحت تطرح عليك أسئلة مطولة عن المكان الذي قمت بزيارته، مثل: "أي نوع من الملابس يرتدي الصينيون؟"، و"كيف يحمل السكان الأصليون أطفالهم؟"، و"ما هو ألذ طبق تناولته في اليابان؟"، وهكذا، أخذت أسئلة والدتك تتدفق عليك من كل حدب وصوب، ولكنك اعتدت أن تعطيها أجوبة مقتضبة مثل: "الرجال الصينيون يخلعون قمصانهم في الصيف ويمشون هكذا"، أو: "النساء اللواتي رأيتهن في البيرو يحملن أطفالهن موضوعين في كيس على خواصرهنّ". أو: "الطعام الياباني شديد الحلاوة". وإن طرحت عليك أمك المزيد من الأسئلة، أصابك الانزعاج وقلت لها: "سأخبرك لاحقاً، يا أمي!"، ولكنك لم تكوني عادة تحظين بالفرصة لاستكمال المحادثة لاحقاً لأنك كنت دائماً مشغولة بأعمالك. اتكأت على كرسيك في الطائرة وأطلقت تنهيدة عميقة. لقد أرسلتك أمك في سن مبكرة إلى مدينة بعيدة عن مسقط رأسك، فأدركت بألم أن أمك كانت آنذاك في مثل سنك الآن عندما أحضرتك إلى المدينة وتركتك واستقلت قطار الليل عائدة إلى البيت. إنها امرأة واحدة، ولكن تلك المرأة اختفت رويداً رويداً بعد أن نسيت فرحة وجودها وطفولتها وأحلامها وزواجها وإنجابها الأولاد وتربيتها لهم. إنها المرأة التي لم يُثِر شيء دهشتها طوال حياتها، تلك المرأة التي أمضت حياتها بالتضحية بكل شيء حتى اليوم الذي اختفت فيه. إنك تقارنين نفسك بأمك، ولكن شخصيتها عميقة جداً وكأنها عالم واسع بحدّ ذاته. فلو

كانت مكانك، لما هربت هكذا من فرط الخوف.

تعتبر مدينة **روما** برمتها موقعاً تاريخياً حقيقياً، وبالرغم من كل الأشياء السلبية التي سمعتها عن **روما**، كإضراب عمّال النقل كل يوم من دون أن يعتذر أحد إلى الركاب قط وتعرض الناس لسرقة ساعاتهم في الشارع أمام أعينهم والشوارع التي تصبح ليلاً موبوءة بالقمامة والكتابات السيئة على الجدران، فلم تكترثي قط، بل أخذت تتأملين كل ما حولك غير مبالية بالرغم من أن سائق سيارة الأجرة قد أخذ منك أجرة كبيرة، وقد سُرِقَت نظارتك الشمسية بعد أن وضعتها بجانبك في المقهى. ذهبت إلى أماكن أثرية عديدة بمفردك خلال الأيام الثلاثة التي انشغل فيها **يو بين** بمؤتمره. فزرت آثار **فورو رومانو** ومدرج **روما** القديم وحمامات **كاراكالا** والسراديب تحت الأرض. وقفت بفتور بجانب الآثار الضخمة للمدينة الكبيرة. إن كل شيء في **روما** يرمز إلى الحضارة. وبالرغم من أن آثاراً للماضي بدت منتشرة أمام عينيك في كل مكان ذهبت إليه، إلا أنك لم تحتفظي بأي شيء منها في قلبك.

تنظرين الآن إلى تماثيل الصالحين في الساحة الدائرية، ولكنّ نظرك لا يتوقف ليتأمل أي مكان بعينه. لا تتعدى مساحة تلك المنطقة أربعة وأربعين هكتاراً، ولكنها بلاد مستقلة لها عملتها وطوابعها الخاصة. لم تصغي إلى شرح المرشد السياحي بل أخذت تجولين ببصرك من شخص إلى آخر. ومع أن هناك أناساً قلائل فقط، تردّد طرفك بينهم باضطراب وأنت تتساءلين: ترى هل أمي هنا في مكان ما؟ من المستحيل أن تكون أمك بين السواح الغربيين، ولكنك عجزت عن النظر إلى مكان واحد بحد ذاته. التقت عيناك بعيني المرشد السياحي الذي قال إنه أتى إلى هنا قبل سبع سنوات ليدرس الموسيقى الصوتية. وشعرت بالإحراج لأنك

لا تضعين سمّاعتي الأذنين فتسحبينهما وتضعينهما في أذنيك. وتسمعين المرشد السياحي يقول: "إن الفاتيكان هي أصغر بلد في العالم، ولكن ثلاثين ألف شخص يزورونها في اليوم الواحد". وبينما كنت تستمعين إلى شرح المرشد السياحي، عضضت على شفتك وخطرت كلمات أمك ببالك في لمح البصر. متى حدث هذا؟ لقد سألتك أمك عن أصغر بلد في العالم. وطلبت منك أن تحضري لها مسبحة من خشب الورد إن ذهبت إلى ذلك البلد. نعم، إنها أصغر بلد في العالم. وفجأة تنتبهين إلى مغزى كلامها. أتقصد هذا البلد؟ الفاتيكان؟

ابتعدتِ عن المجموعة الجالسة تحت الدرج الرخامي بمنأى عن الشمس وأنت لا تزالين تضعين سماعتي الأذنين ودخلت إلى المتحف وحدك. لقد أرادت مسبحة من خشب الورد! مشيت بجانب اللوحات الفنية العظيمة وصفٌّ من المنحوتات يمتد إلى آخر ما تراه عيناك. لا بد من وجود متجر هدايا في مكان ما قد يبيع مسبحة من خشب الورد. وبينما أنت تشقين طريقك بسرعة بين الناس في بحثك عن مسبحة من خشب الورد، توقّفتِ قليلاً أمام مدخل دار عبادة سيستين. لقد جلس الرسام مايكل آنجلو على عوارض بشكل يومي وعلى مدى أربع سنوات ليعمل على لوحته الضخمة. أدهشك النظر إلى حجم اللوحة الضخم وهي تبدو مختلفة جداً عما تبدو عليه في الكتب. نعم، إنه لمن الغريب ألا يعاني الرسام متاعب جسدية بعد انتهاء مشروعه. يتدفق ألم الفنان وشغفه كتدفق المياه على وجهك وأنت واقفة تحت لوحة مايكل آنجلو. لا بد من أن فطرتك سليمة، إذ عندما غادرت دار عبادة سيستين، وجدت على الفور متجر هدايا ومكتبة. ورأيت أخوات يرتدين ملابس بيضاء واقفات وراء صناديق العرض، فالتقت عيناك بعيني إحداهنّ.

تحدّثت إليك باللغة الكورية قائلة: "هل أنت كورية؟".

"نعم".

ابتسمت قائلة: "إنني من **كوريا** أيضاً. وأنت أول كورية أقابلها منذ تم تعييني هنا قبل أربعة أيام".

"ألديك مسابح من خشب الورد؟".

"من خشب الورد؟".

"نعم، إنها مسابح مصنوعة من خشب الورد".

قالت: "آه! فهمت قصدك"، ثمّ أشارت إلى أحد زوايا صندوق العرض قائلةً: "أتقصدين هذه؟".

فتحتِ علبة المسبحة بعد أن سلّمتك إياها، وفاحت رائحة الورود من علبة المسبحة المضغوطة. ترى هل كانت أمك تعرف هذه الرائحة؟

"لقد بُورِكت هذا الصباح".

أهذه هي مسبحة خشب الورد التي تحدثت عنها والدتك؟

"أهذا هو المكان الوحيد الذي أستطيع فيه الحصول على هذه المسبحة؟".

"كلا، يمكنك الحصول عليها من أي مكان، ولكن أن تحصلي عليها من هنا، من **الفاتيكان**، فهذا يكسبها قيمة معنوية أكبر".

حدّقت إلى البطاقة المدلاّة من علبة المسبحة: ثمنها خمسة عشر يورو. ارتعشت يداك وأنت تعطين الأخت النقود. وبينما لا تزال الأخت تمسك بعلبة المسبحة، سألتك إن كانت هدية. هدية؟ ترى هل سأتمكن من تقديمها لأمي؟ هل سأحظى بهذه الفرصة؟ عندما أومأت برأسك، أخرجت الأخت من داخل صندوق العرض مغلفاً أبيض ووضعت العلبة فيه وأغلقته بلصاقة.

أمسكت مسبحة خشب الورد بيدك وحثثتِ الخطى نحو دار عبادة **سانت بيتر**، وأمعنتِ النظر من المدخل إلى داخل دار العبادة، ورأيت

الضوء يتساقط كالشلال من السقف الدائري. تخطين خطوة واحدة داخل دار العبادة وتنظرين إلى ما وراء شلال الضوء. وبينما أنت تمشين في الممر الأوسط، تسمّرت قدماك مكانهما، وشعرت بدافع ملح نابع من داخلك يجذبك إلى هناك. ما هذا؟ اخترقتِ الحشد إلى الشيء الذي يجذبك كالمغناطيس ثم نظرت لتري ما ينظر إليه الناس. إنه تمثال محجوب خلف زجاج مقاوم للرصاص، فشققتِ طريقك عبر الحشد وكأن هناك ما يشدك نحوه وتقدّمت إلى الأمام. وحالما رأيتِ التمثال شعرتِ برعشة تجمدك في مكانك. أهذا التمثال من رخام؟ يبدو الجسد وكأنه لا يزال دافئاً، وتبدو العينان مفعمتين بالألم والرأس محنيًّا.

أدركت أنك أصبحت معتادة على التفكير في أمك كلما عانيت من أيّ متاعب في حياتك لأنك عندما تفكرين فيها تشعرين أن كل شيء يعود إلى مساره وأنك تستعيدين نشاطك مجدّداً. لا تزالين معتادة على الاتصال بأمك هاتفيًّا حتى بعد أن اختفت. فقد أوشكت أكثر من مرة أن تتصلي بأمك ثم تسمّرت في مكانك ومشاعرك خدرة. وضعتِ مسبحة خشب الورد أمام التمثال وجثوتِ على ركبتيك. سكتت الأصوات من حولك واختفى شلال الضوء الذي كان يتسرب من السقف وساد الهدوء، ظل الجرح الصغير على جلد شفتك من الداخل ينزف، فابتلعتِ الدم الذي تجمع في فمك ورفعت رأسك وامتدت راحتا يديك بشكل عفوي لتلمسا الزجاج المقاوم للرصاص. لو استطعتِ لأغمضتِ عيني التمثال الحزينتين شفقة. إنك تكادين تشمين عطر أمك وكأنكما استغرقتما في النوم في سرير واحد في الليلة الماضية واستيقظتما متعانقتين هذا الصباح.

في شتاء أحد الأعوام، لفت أمك يديها الخشنتين حول يديك الفتيتين الباردتين وأخذتك إلى الموقد في المطبخ وقالت: "آه! إن

يديك كقطع الجليد"، فشممت رائحة عطر أمك المميزة وهي تحتضنك أمام النار وتفرك يديك لتبعث فيهما الدفء.

لو أنك أخبرت أحداً في العائلة أنك ذاهبة في رحلة، لفسروا تصرفك هذا بأنك تخليت عن البحث عن أمك، ولما وجدت وسيلة تقنعينهم بها بعكس ذلك، ولهذا فقد أتيت إلى روما من دون أن تخبري أحداً. هل أتيت إلى هنا لتري التمثال؟ لقد خطرت هذه المنحوتة ببالك ربما بشكل غير إرادي عندما اقترح عليك يو بين أن ترافقيه إلى إيطاليا، فأردت أن تمارسي الطقوس الدينية في هذا المكان كي تري ولو للمرة الأخيرة تلك المرأة التي عاشت في بلد صغير في أقاصي القارة الآسيوية الواسعة، ولهذا السبب أتيت إلى هنا. وقد لا يكون هذا هو السبب، إذ إنك ربما بدأت تتقبلين أن أمك لم تعد موجودة في هذا العالم، فأتيت إلى هنا لأنك أردت أن تتوسلي قائلة: يا الله! أرجوك أرجع لنا أمنا. لم تتفوّهي بحرف وإنما تأمّلت شفتي التمثال بهدوء ثم أغمضتِ عينيك وتراجعتِ إلى الوراء مغادرة المكان. مرّ بك حشد من رجال الدين متوجهين على الأرجح للاحتفال الديني، فخرجتِ من دار العبادة وتأمّلت وأنت مذهولة الساحة المحاطة بأروقة طويلة مغمورة بضوء مبهر. والآن فقط تبدأ الكلمات التي عجزت عن البوح في الداخل تتسرب من بين شفتيك.

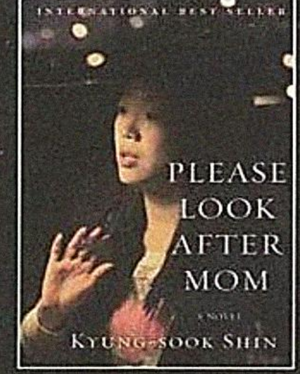
"أرجوك... أرجوك اعتنِ بأمي".

«بعد أن اختفت، أصبحت حاضرة في حياتكم، وكأنكم تستطيعون مدّ أيديكم إليها ولمسها».

رواية تدور أحداثها حول فقدان أمّ في محطة سول لقطار الأنفاق، بعد أن سبقها زوجها مخلّفاً إياها خارج القطار. في ذاك اليوم، ذكرى ميلاد كلّ من الزوجين، انقلبت حياة أفراد العائلة رأساً على عقب، وبدأت مسيرة البحث عن الأمّ المفقودة، الأمّ التي ضحّت بنفسها جسداً وروحاً لإسعاد الآخرين.

إن هذه الأم واحدة، ولكنها اختفت رويداً.. رويداً بعد أن نسيت فرحة وجودها وطفولتها وشبابها وأحلامها؛ إنها المرأة التي لم يُثر شيء دهشتها طوال حياتها، تلك المرأة التي أمضت حياتها مضحّية بكلّ شيء حتى اليوم الذي اختفت فيه...

فهل سيجدها أولادها؟ هل ستعود إلى زوجها؟ أصبحوا الآن يعترفون بأخطائهم حيالها، فهل يا ترى إن عادت، عدّلوا من طريقة تعاملهم معها؟ فأين هي؟؟




ألّفت كيونغ سوك شين العديد من الأعمال الروائية وهي تُعدّ واحدة من أشهر الروائيين في كوريا الجنوبية، وتعتبر مؤلفاتها من بين الكتب الأكثر قراءة وانتشاراً على نطاق واسع. وقد تم تكريمها بالعديد من الجوائز التقديرية في بلدها وفي بلدان أخرى مثل فرنسا. رواية «أرجوك اعتنِ بأمي» هي الأولى التي تصدر لها بالعربية.

علي مولا


ISBN 978-614-01-0304-7





الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

تصميم الغلاف: سامح خلف – Kyung-sook Shin's (front cover) photo © Lee Byungryul